

حِكْمَةُ الْمَوَدَّةِ وَمَقَانِجُ الْكُفْرِ

فِي سِرِّهِ بَعْضُ الْمَصْطَلَحَاتِ وَلِفَافِئِهِمُ الصُّوفِيَّةِ الْمُبْهَمَةِ

تَأَلَّفَ

اِسْتَبْرَحَ الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى
عِزُّ الدِّينِ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلَانِمِ الْمُقَدِّسِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٦٧٨ هـ

تَحْقِيقَ

الدُّكْتُورَ مُحَمَّدَ بُوخْنَيْفِي



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kutob Al-Ilmiyyah

DKI

أَسَّسَهَا مَحْتَضَرَاتُ بَيْرُوتَ سَنَةِ ١٩٧١ بَيْرُوتَ - لُبْنَانُ
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title : **HALL AL-RUMŪZ**
WAMAFĀTĪH AL-KUNŪZ
(Explanation of some obscure mystic terms and concepts)

Classification: Sufism

Author : Al-ṣayḥ 'Abdul Salām ben Aḥmad ben Ḡānim

Editor : Dr. Muḥammad Būḥnayfī

Publisher : Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Pages : 224

Size : 17*24

Year : 2011 A.D -1432 H.

Printed in : Lebanon

Edition : 1st

الكتاب
حل الرموز
ومفاتيح الكنوز

التصنيف : تصوف

المؤلف : الشيخ عبد السلام بن أحمد بن غانم

المحقق : الدكتور محمد بوخنيفي

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات : 224

قياس الصفحات : 17*24

سنة الطباعة : 2011 م - 1432 هـ

بلد الطباعة : لبنان

الطبعة : الأولى



DKi
Dar Al-Kotob
Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عزمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت
رياضي الصلح، بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut-Lebanon No part of this publication may be
translated, reproduced, distributed in any form or by any
means, or stored in a data base or retrieval system, without
the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation
préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à
des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية
بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضيد الكتاب
كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.



ISBN 978-2-7451-6210-6

ISBN 2-7451-6210-1

9 782745 162106

القسم الأول

- التقديم: التعريف بالمؤلف وبالكتاب.

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته، ورحلته وحجه.

المبحث الثالث: شيوخه وتلامذته.

المبحث الرابع: مؤلفاته.

المبحث الخامس: شعره.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه واحتفالهم بتصانيفه والنقل عنها.

المبحث السابع: وصيته ووفاته.

الفصل الثاني: التعريف بكتاب "حل الرموز".

المبحث الأول: تأصيل عنوان الكتاب ونسبته.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب.

المبحث الثالث: منهج الكتاب.

المبحث الرابع: أسلوب الكتاب.

المبحث الخامس: النسخ المعتمدة والعمل في التحقيق.

الفصل الأول: التعريف بالمؤلف.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المبحث الثاني: مولده ونشأته، ورحلته وحجه.

المبحث الثالث: شيوخه وتلامذته.

المبحث الرابع: مؤلفاته.

المبحث الخامس: شعره.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه وعلى تصانيفه ونقلهم عنها.

المبحث السابع: وصيته ووفاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التعريف بالشيخ

عز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي⁽¹⁾

(قبل: 628هـ - 678هـ)

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

هو عبد السلام بن أحمد بن غانم بن علي بن إبراهيم بن عساكر بن حسين، كذا ورد نسبه في: "ذيل مرآة الزمان"، و"مرآة الجنان"، و"البداية والنهاية"، و"المنهل الصافي"، في حين اكتفى غيرهم ممن ترجم مؤلفنا بذكر والده وجده. وعلى هذا النحو أيضا وقفنا على نسب جده ابن غانم لدى من ترجمه⁽²⁾ وترجم

(1) تراجع ترجمته في:

- ذيل مرآة الزمان، لليونيني (ت: 727هـ): 2 / 11 - 16. - تاريخ الإسلام للذهبي (ت: 748هـ): 306/50.

- العبر في خبر من غير، له أيضا: 312/5. - والوافي بالوفيات، للصفدي (ت: 764هـ): 18 / 251 - 253.

- و"مرآة الجنان"، لليافعي (ت: 768هـ): 4 / 190. - والبداية والنهاية، لابن كثير (ت: 774هـ): 289/13.

- الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني (ت: 852 هـ): (في ترجمة عيسى بن أحمد بن غانم) 237 - 236/4.

- عقد الجمان، للعيني (ت: 855هـ): 509 - 510. - المنهل الصافي، لابن تغري بردي (ت: 874هـ)، الترجمة: 1422.

- كشف الظنون، لحاجي خليفة: (ت: 1067 هـ) 1 / 463. - شذرات الذهب، لابن العماد (ت: 1089هـ): 362/5.

- هدية العارفين، له أيضا: 1 / 301. - إيضاح المكنون، للبغدادى (ت: 1339هـ): 3 / 416، 84/4.

- ومعجم المطبوعات، لسركيس: (ت: 1351 هـ) 2 / 196 - 197 - الأعلام، للزركلي: (ت: 1396هـ) 355/3.

- ومعجم المؤلفين، لكحالة: 223/5.

(2) شذرات الذهب: 153/5.

ابنيه عبد الله⁽¹⁾ وموسى⁽²⁾.

وهو أبو محمد الملقب بعز الدين، وبهذا اللقب اشتهر، ولقبه به جل من ترجمه، غير أننا وقفنا أيضاً على تلقيه بسلطان العلماء في إحدى النسخ المخطوطة لكتابه المسمى "بالشجرة"، إذ جاء في أوله قول ناسخه: «قال الشيخ الإمام العلامة الحافظ الورع الزاهد أوحّد زمانه وفريد عصره سلطان العلماء أبو محمد عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي»⁽³⁾، ولقب به أيضاً من قبل العلامة محمد الصّغير الإفرائي في كتابه "درر الحجال" في قوله: «الإمام المجتهد الذي لا ينقعد للمسلمين إجماع بدونه سلطان العلماء»⁽⁴⁾.

أنصاري النسب، مقدسي المولد، قاهري الوفاة، شيخ واعظ وصوفي عارف، وشاعر صاحب نظم رائق.

وإلى النسبة المذكورة رفع كثير ممن ترجم للشيخ عبد السلام ابن غانم ولأفراد هذا البيت وأقدم هؤلاء المؤرخ اليونيني (ت: 727هـ) في كتابه "ذيل مرآة الزمان" في الترجمة للشيخ المذكور⁽⁵⁾ ولوالده أحمد⁽⁶⁾ ولعمه عبد الله ابن أحمد⁽⁷⁾ أيضاً، ووافقه على هذه النسبة الأنصارية أيضاً من علماء القرن الثامن ابن كثير (ت: 774هـ) في كتابه "البداية والنهاية"⁽⁸⁾، ثم تواطأ على ذلك علماء القرن التاسع كالعيني (ت: 855هـ) في "عقد الجمان"⁽⁹⁾، وابن تغري بردي (ت: 874هـ) في كتابه: "المنهل

(1) عقد الجمان: 410.

(2) النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي: 270/7.

(3) نسخة مخطوطة بالمكتبة الخالدية بالقدس الشريف تحت رقم: 111 تصوف، من مصورات معهد المخطوطات العربية تحت رقم: 267 تصوف وآداب. (اطلعنا على صفحتها الأولى من خلال الصورة الواردة في مقدمة تحقيق كتاب "الشجرة").

(4) درر الحجال: 60.

(5) ذيل مرآة الزمان: 11/2.

(6) نفسه: 61/2.

(7) نفسه: 360/1.

(8) البداية والنهاية: 289/13.

(9) عقد الجمان: 509.

الصَّافِي"، في ترجمة الشَّيْخ عبد السَّلام ابن غانم⁽¹⁾، وفي "النُّجُوم الزَّاهِرَة" في ترجمة عمِّه موسى ابن غانم⁽²⁾. وأيضاً أحد علماء القرنين التاسع والعاشر نحو المؤرخ العليمي (ت: 927هـ) في "الأنس الجليل" وهو من أهم وأوسع ما صنف في تواريخ القدس الشريف وبلدة الخليل، ذكر فيه الأعيان والصُّلحاء والزُّهاد الذين دخلوا القدس زائرين كانوا أو مستوطنين، ومن ولي فيها المناصب الحُكُمِيَّة والوظائف الدِّينِيَّة، وترجم لجملة كبيرة منهم، ومن هؤلاء أفراد بين ابن غانم الذين نسبهم بدوره إلى الأنصار⁽³⁾.

وإلى هذا أيضاً ذهب بعض مؤرخي القرن الثاني عشر كالمُحبي الدِّمشقي (ت: 1111هـ) في كتابه "خُلاصة الأثر" في مَوْضَعَيْن منه؛ الموضع الأول في التَّرْجَمَة لعبد الباقي أحد ذرية موسى بن غانم⁽⁴⁾، والموضع الثاني في التَّرْجَمَة لعلي⁽⁵⁾ حفيد آخر من حفدة المذكور، إذ رفع نسبهما إلى الصُّحابي سَعْد بن عُبَادَة سَيِّد الخَزْرَج. يتحصَّل مما ذكرناه أنَّ الشَّيْخ عبد السَّلام ابن غانم وأفراد بيت ابن غانم، بحسب ما ذكره ثلَّة من المؤرخين المذكورين بداية من القرن الثَّامن وانهاء إلى القرن الثاني عشر الهجري، بيت سَعْدِي عُبَادِي خَزْرَجِي أنصاري، يرتفع نسبه إلى الصُّحابي سَعْد بن عُبَادَة بن دليم بن حارثة الخَزْرَجِي الأنصاري السيد الجَوَاد، وصاحب راية الأنصار في المَشَاهِد كُلِّهَا، الَّذِي دعا له ولذُرِّيَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله كما في "سنن" أبي داود، و"السُّنن الكُبرى" للنَّسَائِي: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَة"⁽⁶⁾، فكان من آل الصُّحابي سعد هذا رضي الله عنه

(1) المنهل الصافي: الترجمة: 1422.

(2) النجوم الزاهرة: 230/7.

(3) الأنس الجليل: 141/2، ترجم لابن غانم جد مؤلف حل الرموز فقال: «الشَّيْخ القدوة المحقِّق الملك غانم بن علي ابن حسين الأنصاري الخَزْرَجِي المقدسي»، كما ترجم فيه أيضاً لعَم المؤلف موسى ابن غانم: «موسى بن غانم الأنصاري» 264/2.

(4) خلاصة الأثر: 285/2.

(5) نفسه: 180/3.

(6) سنن أبي داود: 347/4، والسُّنن الكُبرى للنَّسَائِي: 89/6.

بيت ابن غانم الذي قال فيه العلامة خير الدّين الرّملي: «ما أنجبت بطون العرب كأبي غانم، وما خرج من أفواه العرب وعقولهم كما خرج من شيوخهم وفقهائهم». وإلى جانب هذا القول البالغ حدّ التّواتر والصّادر عن علماء أخذ أكثرهم عن أفراد هذا البيت، نُلقي قولاً آخر يُعزا إلى المؤرخ المغربي الدكتور عبد الهادي التّازي في كتابه "الأصول التاريخية للأشراف في الشّرق" يرفع فيه نسب هذا البيت إلى النّبي صلى الله عليه وسلّم عن طريق أبي العبّاس أحمد الغماري بن أبي محمد عبد السّلام بن مشيش (ت: 622هـ وقيل: 625هـ)، ويذكر أن جدّه علي قدم من المغرب حاجاً واستقر بالقدس.

المبحث الثاني: مولده ونشأته، ورحلته، وحبّه.

أ. مولده ونشأته:

ليس بين أيدينا في المظان التي احتفت بالترجمة للشيخ عبد السّلام ابن غانم المقدسي الشّيء الكثير عن تاريخ مولده ونشأته، إلا أنّ الرّاجح أنّه ولد بعد سنة 628هـ⁽¹⁾ بالقدس الشّريف في بيت علم وصلاح وتصوف ودين، من والده أحمد بن غانم الشّيخ الكبير الجليل المنقطع عن النّاس، المشتغل بأوراده وأذكاره، والمتوفى بالقدس الشّريف في شعبان سنة 681هـ وقد تجاوز التّسعين⁽²⁾، وأمّا جدّه غانم بن علي فهو «القدوة الزّاهد أحد عباد الله الأخفياء الأتقياء والسّادة الأولياء»⁽³⁾، كان «من سادات المشايخ وأعيانهم وأعلمهم بطريق القوم»⁽⁴⁾، ولد بقرية نورين؛ من عمل نابلس سنة 562هـ، وله بها زاوية أقام بها عشرين سنة ثم قدم إلى القدس عام أنقذه السّلطان صلاح الدّين الأيوبي من الفرنج سنة 583هـ⁽⁵⁾ واستوطنه، وولاه السّلطان المذكور «المشيخة بالخانقاه الصّلاحية المنسوبة إليه بالقدس الشّريف

(1) استناداً إلى ما ذكره اليونيني في ترجمة الشيخ أنه توفي ولمّا يتجاوز سنه الخمسين سنة.

(2) ذيل مرآة الزمان: 61/2.

(3) شذرات الذهب: 153/5.

(4) ذيل مرآة الزمان: 364/1.

(5) شذرات الذهب: 153/5 - 154.

والتَّظَر عليها (...) وهو أول من وَلَّيَها»⁽¹⁾، وتوفي بدمشق سنة 632هـ، «وتناسل منه ذُرِّيَّة معروفون مشهورون»⁽²⁾.

ومن هذا البيت أيضا الشَّيْخ الواعظ عيسى بن أحمد بن غانم شرف الدِّين أخو مترجمنا، المتوفي بدمشق في ربيع الأول سنة 749هـ⁽³⁾.

ومنه أيضا الشَّيْخ الصُّوفي موسى عم مترجمنا، كان كبير القدر صدرا، وافر الحُرمة، «قرره السلطان الناصر صلاح الدين مشيخة الحرم بالقدس»⁽⁴⁾، وكان كريما وله سُمعة وبعد صيت، توفي بالقدس سنة 668هـ وقد جاوز سبعين سنة.

ومنه أيضا أخوه عبد الله بن غانم الصُّوفي الشَّاعر، كان يتردد إلى بيت المقدس ويكثر المُقام به وله فيه زاوية مشهورة وأتباع ومُريدون، ينظم رائع الأشعار، وله «كلام قويٌّ في التَّصوُّف»⁽⁵⁾، توفي بنابلس في شعبان سنة 672هـ.

ومن هذا البيت أيضا ابن عم مترجمنا أبو الحسن بن عبد الله، «كان رجلا صالحاً فاضلا، له شعر لطيف وكلام في الطَّريقة طريف، توفي في يوم الأربعاء رابع ذي القعدة سنة 707هـ»⁽⁶⁾.

ومنه أيضا أخوه الشَّيْخ محمد بن عبد الله، كان صالحا زاهدا له فقراء مريدون، «قدم دمشق وتفقه على الشَّيْخ تاج الدِّين الفَزاري وأفتى ببلده مدَّة إلى حين وفاته»⁽⁷⁾، توفي سنة 693هـ.

في بيت ابن غانم المقدسي هذا، بيت العلم والصَّلاح والتَّصوف والدِّين، وبيت المناصب السَّامية، كمشيخة الحرم القدسي والخانقاه الصَّلاحية وقضاء بيت

(1) الأُنس الجليل: 146/2. ومما ذكره أيضا قوله: «ورأيت توقيعَه بذلك وعليه خطُّ السُّلطان (...) وقد قطع تاريخه لطول الزَّمان». وأما الخانقاه: فرباط الصُّوفية.

(2) الأُنس الجليل: 146/2.

(3) الدرر الكامنة: 236/4 - 237.

(4) الأُنس الجليل: 264/2.

(5) عقد الجمان: 410.

(6) أعيان العصر، للصفدي: 277/1.

(7) الوافي بالوفيات: 292/3.

المقدس، ولد مترجمنا ولازم جدّه وانتفع به⁽¹⁾ بعد أن اشتغل أوّل عمره، بحفظ القرآن الكريم⁽²⁾، كما هو حال غيره من نظرائه من متعلمي زمانه، بعدها انصرف إلى تحصيل باقي العلوم المتداولة إلى أن حصّلت له مشاركة جيّدة، تصدّر بعدها للوعظ.

وكان مبدأ شروع الشيخ ابن غانم المقدسي في الوعظ أنّه طلب منه ابن عمه أبو الحسن بن عبد الله مجلس تذكير في حياة عمّه الشيخ العارف عبد الله بن غانم، فأطربه، فستل منه الجلوس، فجلس واشتهر وقُصد لسماع كلامه⁽³⁾.

ب - رحلته إلى مصر وإقامته بالقاهرة:

رحل الشيخ ابن غانم المقدسي من القدس الشريف متوجّها إلى الديار المصرية، فطلب منه الجلوس بها فجلس وحصل له قبول، فأقام بالقاهرة وعقد بها مجالس الوعظ، وبنى له بها زاوية وبالقائه في الإحسان إليه، فأقام بها على كُزّه منه لفراق والده وأهله، وصار يتردّد إلى القدس الشريف لزيارتهما، ومنه كان يتردد أيضا إلى دمشق للجلوس بها في الجامع الأموي⁽⁴⁾، ويحضر عليه به جماعة من فضلاء العلماء والزهاد ويلاقي كلامه استحسانهم ويتنفعون به.

ج - حجّه:

حجّ مترجمنا سنة 675هـ، وأثناء حجته هاته اجتمع ببعض أعيان العلماء، وقد حكى ذلك الشيخ شرف الدّين ابن ضياء الفزاري، ونقله اليونيني في "تذيله لمرآة الزّمان" وغيره قال؛ قال الفزاري: «حججت في سنة خمس وسبعين وست مائة واجتمع في الحجّ من علماء الأقطار ابن العجيل من اليمن، وتقي الدّين بن دقيق العيد من الديار المصرية، والشيخ تاج الدّين الفزاري من الشام وغيرهم،

(1) ذيل مرآة الزمان: 11/2.

(2) نفسه.

(3) ذيل مرآة الزمان: 11/2.

(4) لأفراد هذا البيت في ما تبينا من تراجم علمائه ارتباط قوي بدمشق يفسر بكون جدهم غانم بن علي تزوج من إحدى بنات أمراء أشراف الشام.

واجتمعوا في الحرم الشريف وكان عزُّ الدِّين عبد السَّلام المذكور قد حجَّ من مصر، فجلس تجاه الكعبة المعظَّمة وحضر أمير مكَّة وغيره فارتجل خطبة أولها: الحمد لله ذي القدرة التي لا تنهاى...»⁽¹⁾.

المبحث الثالث: شيوخه وتلامذته.

لم تُسعف مصادر ترجمة الشَّيخ عبد السَّلام ابن غانم المقدسي في مَدِّنا بمعلومات عن شيوخه وتلامذته، كما أنَّ البحث في كتب التَّراجم أيضا لم يُفَضَّ إلى شيء كثير، خلا أنه أخذ عن جدِّه غانم بن علي المقدسي، والغالب أنَّه أخذ أيضا عن بعض أفراد بيت ابن غانم الذين نبغ فيهم كثير من العلماء ممن عاصرهم لا سيَّما عمه عبد الله ابن غانم.

وأما تلامذته فلم نقف إلا على اسم علم واحد مع طول البحث، ذكره العلَّامة ابن حجر العسقلاني في "درره الكامنة"⁽²⁾، وهو محمد بن محمد ابن العنبري الواعظ المتوفى في شوال سنة 710هـ.

المبحث الرابع: مؤلفاته.

لابن غانم المقدسي إسهام متميز في حركة التَّأليف لا سيَّما في التَّصوف والوعظ، أوقف كثيرا منها بزايته بمصر⁽³⁾، وهذا ثبت بهذه التَّأليف مع الإحالة على مظانها.

1 - تفسير القرآن العظيم. في مجلد.

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

2 - تفسير آيات. كل آية بمجلس يبينه عليها ولا يخرج عن حكمها في أول

المجلس إلى آخر مجلد.

ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزَّمان": (16/2).

(1) ذيل مرآة الزمان: 13/2 - 14.

(2) الدرر الكامنة: 459/5.

(3) ذيل مرآة الزمان: 16/2.

- 3 - مختصر الشفا للقاضي عياض (ت: 544هـ).
- ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزمان": (16/2).
- 4 - شرح أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.
- ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزمان": (16/2).
- 5 - خطب، في مجلد.
- ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزمان": (16/2).
- 6 - كتاب في الوعظ، في مجلدين.
- ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزمان": (16/2).
- 7 - الرّوض الأنيق في الوعظ الرّشيق⁽¹⁾.
- ذكره: البابلي في: "هدية العارفين": (301/1) بعنوان "الرّوض الأنيق في الوعظ الرّقيق"، وعمر كحالة في: "معجم المؤلفين": 223/5، والزركلي في: الأعلام: (355/3).
- 8 - الأثمار والأطيار.
- ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزمان": (16/2). لعله "كشف الأسرار".
- 9 - اعتذارات. في مجلد.
- ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزمان": (16/2).
- 10 - مسائل في علم الطّريق وأجوبة.
- ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزمان": (16/2).
- 11 - مجاميع مختلفة.
- ذكره اليونيني في "ذيل مرآة الزمان": (16/2).
- 12 - الشّجرة، في التّصوف⁽²⁾.
- 13 - تلخيص العبارة، في نحو الإشارة⁽³⁾.

(1) توجد نسخة منه مخطوطة بالإسكوريال تحت رقم: 1987 c

(2) طبع بتحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

(3) طبع بتحقيق: د. خالد زهري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

14 - شرح حال الأولياء ومناقب الأتقياء⁽¹⁾.

15 - تفليس إبليس⁽²⁾.

ذكره: الصَّفدي في "الوافي بالوفيات": (252/18)، وحاجي خليفة في "كشف الظنون" (463/1)، والبابلي في "هدية العارفين" (301/1)، والزركلي في "الأعلام" (355/3).

16 - الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية⁽³⁾.

ذكره: الصَّفدي في: "الوافي بالوفيات": (252/18)، والبابلي في: "هدية العارفين" (301/1).

17 - الأجوبة الفاطمة لحجج الخصوم الواقعة في كل العلوم.

ذكره: بروكلمان في: "ملحق تاريخه".

18 - كتاب في طرق الوسائل وتملق السائل⁽⁴⁾.

ذكره: البابلي في: إيضاح المكنون" بعنوان: "طرق الوسائل وتملق الوسائل"، وفي: "هدية العارفين" بعنوان: "طرق الوسائل وتملق الرسائل" (301/1).

19 - كتاب المجاز.

ذكره: بروكلمان في: "ملحق تاريخه".

20 - كشف الأسرار عن الحكم المودعة في الطيور والأزهار⁽⁵⁾.

(1) توجد نسخة منه مخطوطة بالأزهرية تتكون من: 195 لوحة.

(2) طبع باعثناء مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، وتوجد نسخة منه مخطوطة بالإسكوريال تحت رقم: 1987 c ناسخها بدر الدين محمد بن يوسف، وثلاث نسخ بالمكتبة الوطنية بالرباط الأولى تحت رقم: 44 د، بعنوان: "تفليس إبليس ورميه بالذل والتنكيس وإبطال ما زوره من البهتان والخديعة والتلبس". والثانية والثالثة تحت الرقمين: 1118 د و 1224 د بعنوان: "القول النفيس في تفليس إبليس"، ونسخة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 7602، بعنوان: "تفليس إبليس".

(3) طبع بتحقيق: د. ماجد مصطفى الصعدي، ط1، دار الكوثر، القاهرة، 2010م.

(4) توجد نسخة منه مخطوطة بالإسكوريال تحت رقم: 1987 c ناسخها الحاج سالم سليمان.

(5) توجد نسختان منه مخطوطتان بالإسكوريال الأولى تحت رقم: 1987 c تاريخ نسخها 1188 هجرية، والثانية تحت نفس الرقم، الناسخ عمر بن أحمد الجرهمي، ونسختان في مكتبة

ذكره: الصَّفدي في "الوافي بالوفيات": (252/18)، وسَمَّاه بـ: "الأطيار والأزهار"، وحاجي خليفة في: "كشف الظنون" (1485/2)، وسركيس في: "معجم المطبوعات": (355/3)، وعمر كحالة في: "معجم المؤلفين": (223/5)، والزركلي في: "الأعلام": (355/3) بعنوان: "كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار".

21 - كشف الأسرار ومناقب الأبرار ومحاسن الأخيار بجميل العبارة ولطيف الإشارة.

ذكره: عمر كحالة في: "معجم المؤلفين": (223/5).

22 - مناظرة له مع الشيطان.

ذكره: الزركلي في: "الأعلام": (355/3)، وسركيس في: "معجم المطبوعات"، بعنوان: "محاوراته ومناظراته التي وقعت له مع إبليس"، وقد يكون هو كتابه: "تفليس إبليس".

23 - مفاخرة الأزهار والنَّبَاتَات النَّادِرَات، ومجاهرة الأطيار والجمادات

الناطقات.

ذكره: بروكلمان في "ملحقه التاريخي".

24 - أفراد الأحد عن أفراد العدد.

ذكره: الزركلي في: "الأعلام": (355/3)، وأشار إلى أنَّه في جزء لطيف، وقد

اقتنى نسخة منه كتبت سنة 778هـ.

25 - رسالة في شرح حديث السَّبعة الَّذِينَ يَظْلَهُمُ اللهُ.

ذكره بروكلمان في "ملحقه".

العلامة عبد الله كنون بطنجة تحت الرقمين: 10392، و10476، وأربع نسخ بالمكتبة الوطنية بالرباط، تحت الأرقام: 56 د و 1013 د و 1548 د و 1452 د، وثلاث عشرة نسخة في الخزانة الملكية بالرباط، تحت الأرقام: 1553 و 4289 و 5713 و 5805 و 6260 و 9986 و 12337 و 12347 و 13552 و 13649 و 13650 و 13961 و 14027، ونسخة بخزانة القرويين بفاس تحت رقم: 1532.

26 - رسالة في فوائد المحن والفتن والبلايا والزّرايا⁽¹⁾.

27 - رسالة في بيان المصالح والمفاسد⁽²⁾.

28 - كتاب الصّوم⁽³⁾.

29 - مناسك الحج⁽⁴⁾.

30 - ديوان شعر.

ذكره اليونيني في: "ذيل مرآة الرّمان": (16/2)، وأشار إلى أنّه في مجلدين، وذكره الزركلي في الأعلام: (355/3)، وأشار إلى أنّه مخطوط يقع في 62 ورقة.

31 - حل الرّموز ومفاتيح الكنوز. وهو كتابنا هذا.

المبحث الخامس: شعره.

للمؤلف نظم رائع⁽⁵⁾، فصيح⁽⁶⁾، لا يخرج عن المَنحى العِرفاني الذي انتهجه في مثوره، ولا أدل على ذلك تائيّاته، ومن ذلك قوله في إحداهن وهي أطولهن:

(الطويل)

شَهِدْتُ بِعَيْنِ الْقَلْبِ فِي حَانَ حَضْرَتِي حَبِيباً تَجَلَّى لِلْقُلُوبِ فَحَنَّتْ
سَقَانِي كَأَسْ مِنْ مُدَامَةِ حُبِّهِ فَكَانَ مِنَ السَّاقِي خُمَارِي وَسَكْرَتِي⁽⁷⁾

ويتبدّى من شعر ابن غانم اقتداره على نظمه ارتجالاً من ذلك ما وقع له أثناء كلامه في مجلس وعظ حيث أنشأ في الحبّ الإلهي والخمرة الصّوفية قوله:

(الخفيف)

يَا عَذُولِي سَلِّمْ إِلَيَّ قِيَادِي ثُمَّ دَغْنِي فَمَا عَلَيْكَ رَشَادِي
لَا تَلْمَنِي إِذَا سَكِرْتُ فَحُبِّي قَدْ سَقَانِي صِرْفاً بِكَأْسِ وَدَادِي

(1) لم تذكر في مصادر ترجمته، وتوجد نسخة منه مخطوطة بالإسكوريال تحت رقم: 1987. c

(2) نفسه.

(3) نفسه.

(4) نفسه.

(5) تاريخ الإسلام: 306/50.

(6) مرآة الزمان: 213/2 وشذرات الذهب: 361/5.

(7) الحقائق الإلهية في التائيّات الصوفية: 87.

وَحَبِيبِي مُوَاعِدِي بِوَصَالٍ
إِلَى أَنْ يَقُولَ:

فَحُمَارِي مِنْ نَشْوَةِ الْمِيعَادِ
حُبَّهُ مَذْهَبِي وَأَضْلُ اغْتِقَادِي⁽¹⁾

إِنْ تَلَمَّنِي أَوْ لَا تَلَمَّنِي فَإِنِّي
وَلَهُ فِي الْمَدِيحِ النَّبَوِي:

(البسيط)

يَا نَسْمَةَ الرِّيحِ بُنْيَ أَطْيَبِ الْخَبَرِ
وَحَدِيثِي عَنْ رُبَا وَادِي الْعَقِيقِ وَعَنْ

وَعَلَّيْنَا بِرِيًّا نَشْرِكِ الْعَطِيرِ
أَهْلَ الْفَرِيقِ فَكَمْ فِي ذَلِكَ مِنْ غُرَرٍ⁽²⁾

ومن شعر المخاطبات الإخوانية ما أنشأه جواباً لقول قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان (ت: 681هـ) الذي امتدح الشيخ في إحدى زيارته لدمشق، بقوله:

(الكامل)

لِلَّهِ ذُرٌّ مُبَشِّرِي بِقُدُومِهِ
لَوْ كَانَ يَفْنَعُ بِالْخَلِيعِ وَهْبَتُهُ
فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ بِقَوْلِهِ:

فَلَقَدْ أَتَى بِأَطَايِبِ الْمَسْمُوعِ
قَلْبًا يَقْطَعُ سَاعَةَ التَّوْدِيعِ

(الكامل)

حَاشَاكَ يَا قَاضِيَ الْقَضَاةِ بِإِمْرَتِي
أَهْلَ الْقَضِيَّةِ إِنِّي عَبْدٌ لَكُمْ
الْقَلْبُ يَغْمَى كَيْفَ أَمْلِكُ رَدَّهُ

حُكْمًا تُخَالِفُ سُنَّةَ التَّشْرِيعِ
وَالْأَضْلُ لَا يَنْفَكُ بِالتَّفْرِيعِ
مِنْ بَعْدِ مَا مَلَكَ الْغَرَامُ جَمِيعِي⁽³⁾

وإذا كان الشيخ عبد السلام ابن غانم المقدسي قد قصر شعره على موضوعات التصوف من مديح نبوي وخمرة صوفية وما إليها من موضوعات الشعر الصوفي، فإنه قد نوع من أشكال الأداء الشعري، ومن هذه الأشكال التي وظفها الموشح، يقول في مناجاة إلهية:

(1) ذيل مرآة الزمان: 13/2.

(2) الوافي بالوفيات: 252/18.

(3) ذيل مرآة الزمان: 13/2.

(السيط)

أَمِنْ أُنَاجِيهِ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي وَمَنْ أَرْجِيهِ فِي بُؤْسِي وَفِي حَزَنِي
أَفَرَدْتَنِي عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ يَا سَكِينِي وَأَنْتَ أُنَى إِذَا اسْتَوْحَشْتُ مِنْ سَكِينِي

وَأَنْتَ رُوحِي إِذَا جُرَذْتُ عَنْ بَدَنِي وَأَنْتَ رَاحَةُ قَلْبِي فِي ثَقَلِيهِ
مَنْ لِي مِنْ مُغِيثٍ أَسْتَغِيثُ بِهِ إِذَا تَضَاقَقَ أَمْرٌ فِي تَكْرِبِهِ

وَمَنْ أَرْجِي إِذَا أُذِرَجْتُ فِي كَفَنِي وَإِنْ شَهِدْتُكَ غَابَ الْكُلُّ عَنْ نَظَرِي
وَإِنْ حَضَرْتُكَ لَا أَلْوِي عَلَى بَشَرٍ وَإِنْ مَرَزْتُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الشَّمْرِ

فَغَيْرُ ذِكْرِكَ لَا تَضْغِي لَهُ أُذُنِي وَلَا عَنَابِي إِلَى الْأَغْيَارِ مُنْخَرِفُ
فَأَمِنْ فَإِنِّي بِمَا قَدَمْتُ مُغْتَرِفُ فَإِنْ عَطَفْتُ فَكُلُّ النَّاسِ مُنْعَطِفُ

وَإِنْ وَصَلْتُ فَكُلُّ النَّاسِ يُسْعِدُنِي إِلَى سِوَاكَ وَلَا حَبْلِي بِمُنْجَذِبِ
وَلَا أَرَاكَ بِذَمِّكَ مُنْسَكِبِ حَتَّى أَرَاكَ بِطَرْفٍ غَيْرِ مُخْتَجِبِ

فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ لَا فِي حَضْرَةِ الدِّمَنِ⁽¹⁾

ومن شعره أيضا موشحة خميرية نقلها الصفدي من خط الشيخ في "وفياته"،
أولها قوله:

(المقارب)

تَجَلَّى حَبِيبِي وَنَادَانِيهِ وَأَغْصَانُ وَصَلِي بِهِ دَانِيهِ

تَجَلَّى عَلَيْنَا وَكَأْسُ الْعَقَارِ

تُدَارُ وَقَدْ طَابَ خَلْعُ الْعِذَارِ

فَقَالَ وَقَدْ جَلَّ ثَوْبُ الْوَقَارِ:

رِدُّوا وَاشْرَبُوا الصِّزْفَ مِنْ كَابِسِيهِ فَأَنْوَارُ صَفْوَتِهَا كَابِسِيهِ

مُدَامَ مِنَ الدَّرِّ قَدْ عَتَقْتَ
وَفِي حَانَةِ الذِّكْرِ قَدْ رُوِّقَتْ
بِهَا ظُلْمَةُ الْكَوْنِ قَدْ أَشْرَقَتْ⁽¹⁾

وشعره كثير رائق جيد في عمومه.

المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه، واحتفاؤهم بتصانيفه والنقل عنها.

أ. مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

حظي الشيخ عبد السلام ابن غانم المقدسي بثناء أكابر العلماء، فهذا الحافظ الذهبي يقول في ترجمته: «الواعظ الكبير عز الدين النابلسي، قدم دمشق ووعظ بها وأعجب الناس، له نظم رائق وكلام حسن»⁽²⁾، ويقول عنه الياضي: «الواعظ أحد المبرزين في الوعظ والنظم والنثر»⁽³⁾، وحلّاه الحافظ ابن كثير بـ«الواعظ المطبق المفلق الشاعر الفصيح»⁽⁴⁾، وكذا قال أيضا العيني في كتابه "عقد الجمان"⁽⁵⁾ وأشار إلى احتذائه لأسلوب أبي الفرج ابن الجوزي (ت: 597هـ) وأمثاله والنسج على منواله، ولعله يعني بذلك الوعظ⁽⁶⁾.

ب - احتفاء العلماء بتصانيفه والنقل عنها.

حظيت تأليف الشيخ عبد السلام ابن غانم المقدسي بعناية العلماء فنقل عن "حل الرموز"⁽⁷⁾ وكذا عن "كشف الأسرار"⁽⁸⁾ العلامة محمد ابن عيسى الديمري

(1) الوافي بالوفيات: 252/18.

(2) تاريخ الإسلام: 306/50.

(3) ذيل مرآة الزمان: 213/2.

(4) تاريخ الإسلام: 306/50.

(5) عقد الجمان: 510.

(6) لابن الجوزي المذكور شهرة في فن الوعظ لما خلف فيه من تصانيف مشهورة منها: "نسيم الرياض" و"الوجوه النواضر في الوجوه والتظائر" و"الأرج"، و"المنثور في الموعظة".

(7) حياة الحيوان الكبرى: 35/2، وسماء: فيه بـ "حكم الطيور والأزهار". ونقل عن "حل الرموز" أيضا ابن عجيبة في إيقاظ الهمم: 31، وفي الفتوحات الإلهية: 52/1، 53.

(8) حياة الحيوان الكبرى: 245/1، وسماء فيه بـ "مفاتيح الكنوز".

(ت: 808هـ) في كتابه "حياة الحيوان الكبرى"، ونقل عن الأول أيضا العلامة عبد الحي الحلبي (ت: 1120هـ)⁽¹⁾، كما أورد معظم "كشف الأسرار" لويس شيخو في كتابه "مجانبي الأدب"⁽²⁾، وأما العيدروسي فقد نقل عن "حال الأولياء ومناقب الأصفياء" في كتابه "الثور السافر"⁽³⁾.

انتهج العلامة عبد السلام ابن غانم في منشوره نمطا أسلوبيا غريب المنزع شكلت المناظرة والحوار أبرز سماته، فصار ميسما له وعنوانا عليه، يقول الغلامي في ترجمة عثمان أفندي: «أديب معدود في سلك أعيان المتأدبين، ومنار بين أعيان الزمان، رأيت له نثراً ضاهى به ابن غانم المقدسي»⁽⁴⁾، ولعل هذا أحد الدواعي التي حدت بالمستشرق الفرنسي غارسن دي تاسي (1794 - 1878) (GARCIN DE TASSY) إلى العمل على نشر كتابه "كشف الأسرار" وتحشيثه وترجمته إلى الفرنسية سنة 1821م، ولعله أول ما نُشر من تأليف مترجمنا، ثم انصرف العرب بعد ذلك إلى العناية بتراث هذا العالم فتم في سنة 1314/ 1899 نشر كتابه "حل الرموز" الذي يعتبر من أشهر تصانيفه وأكثرها ذيوفا وانتشارا.

وأما شعره فيبدو أنه كان أكثر حظا من صنفه المنشور، إلا أن كثيرا ممن ذكره وانتخب منه لا سيّما من المتأخرين، للأسف، لم يعزه إلى صاحبه، بل منهم من نسب غلطا إلى العز بن عبد السلام، فممن أورد شعره من المتقدمين نذكر اليونيني وهو أكثرهم من حيث كمّ الشعر الذي جلبه للمقدسي في كتابه "ذيل مرآة الزمان"⁽⁵⁾، والصّفدي في "الوافي بالوفيات"⁽⁶⁾، والسيوطي في

(1) الدر الثّقيس: الملزمة 6/31. كما ذكر كتاب "حل الرموز" العلامة عبد الله بن محمد الخياط الهاروشي (ت: 1175هـ) في كتابه "الفتح المبين" في ترجمة شيخه محمد بن جابر النّائلي الطرابلسي (ت: 1137هـ) في جملة الكتب التي أخذها عنه.

(2) مجاني الأدب: 1004 - 1035.

(3) الثور السافر: 85/1.

(4) شمامة العنبر: 45.

(5) ذيل مرآة الزمان: 12/2، 13، 14. أورد له ست قصائد ومقطوعة وموشح.

(6) الوافي بالوفيات: 252/18 - 253، أورد له قصيدة رائية من 11 بيتا، وموشحة.

"الأزهار"⁽¹⁾، وقد انتشر شعر مترجمنا إلى أن بلغ أقاصي الغرب الإسلامي، فهذا العلامة أبو المحاسن يوسف الفاسي كان كثيرا ما ينشد في مجالسه شعرَ المقدسي من ذلك إنشاده في شروط طلب الوصول إلى الله قول المقدسي:

[الرمل]

أَيُّهَا الْعَاشِقُ مَعْنَى حُسْنِنَا مَهْرِنَا غَالٍ لِمَنْ يَخْطُبُنَا
الأبيات⁽²⁾.

وإنشاده في معنى حيرة خاصّة الخاصّة قولَ المقدسي:
(الطويل)

وَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ أَحَبِّ تَكْرِمَا وَأَشْهَدُنِي ذَاكَ الْجَنَابَ الْمُعْظَمَا⁽³⁾
كما كان للعلامة الحسن اليوسي (ت: 1102هـ)⁽⁴⁾ وللعلامة أحمد بن عبد الحي الحلبي (ت: 1120هـ)⁽⁵⁾، وللعلامة ابن عجيبة التّطوّاني (ت: 1224هـ)⁽⁶⁾ وللعلامة الحَجّوي الثّعالي (ت: 1376هـ) ولغيرهم من علماء المغرب والغرب الإسلامي اعتناء بشعر المقدسي⁽⁷⁾.
المبحث السّابع: وصيته ووفاته.
أ. وصيته:

لَمَّا حَانَ أَجَلُ وَفَاةِ الشَّيْخِ عَزُّ الدِّينِ ابْنِ غَانِمِ الْمَقْدِسِيِّ خَطَرَ لَهُ إِِنْشَاءُ وَصِيَّةٍ

(1) الأزهار في ما عقده الشعراء: 18.

(2) ابتهاج القلوب، لعبد الرحمان الفاسي: 282.

(3) نفسه: 283.

(4) زهر الأكم: 339/1، أورد له تائيه ونسبها له.

(5) أورد للمؤلف خمسة أبيات في السماع مذكورة أيضا في حل الرموز، أولها:

ما حيلة الساقى إذا طاف على ندمانه بالخمرة المحلله

(الدر النفيس: ملزمة 31/5 - 6).

(6) إيقاظ الهمم: 6/1 - 7، نقل نونته: أيها العاشق معنى حسنا، بدون نسبة.

(7) الفكر السامي: 69/3 - 70، أورد لامية المقدسي التي أولها: ذهب الرجال، ونسبها للعر بن

عبد السلام، والغالب أنه نقلها من الطبعة الأولى لحل الرُّموز المنسوب غلطا للعر بن

عبد السلام.

لا بأس من إيرادها لما لها من أهمية، يقول: «إلهي أنت قلت، وقولك الحق: "أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظنَّ بي ما شاء"، فأنت على لطفك دلتني، وفي جنب جودك أطمعنتني، وإلى كرم حزمك أوصلتني، فقد حسن بك ظني، على ما كان مني، فحاشاك عن بوارد أوليائك تمنعني، وعن موارد نعمائك تدفعني، سيدي إن أقلعتني تخلطي عفوك يُنهضني، وإن رماني تفريطي فجودك يُنعشني.

إلهي أنا في أسر نفسي، ولو شئت خلصتني، وفي حبس هواي، ولو شئت عتقتني، وفي رقة غفلتي، ولو شئت أنقظتني. إلهي فهل لي منك توفيق يُسعفني، وإلى طاعتك يعطفني، ومن هذه الأوزار يُنقذني.

إلهي أسألك رحمةً تشملني، وأسألك مغفرةً تعتقني.

إلهي إنك أمرتنا بالوصية⁽¹⁾ عند حلول المنية، وقد تهجمت عليك، (وجعلت وصيتي إليك)⁽²⁾، عند قدومي لديك، فأول ما بدأ به من أمري إذا نزلت قبري وخلوت بوزري، (وأسلمني أهلي أن تؤنس وحشتي)⁽³⁾، وتوسع خفرتي، وتلهمني جواب مسألتني، ثم تكتب (علي منسوب نصيبي)⁽⁴⁾ في لوح صحتي بقلم: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁽⁵⁾ [يوسف: 92]. فإذا جمعت رفااتي (وحشرتني)⁽⁶⁾ يوم ميقاتي ونشرت صحيفة سياتي وحساناتي، انظر عملي فما كان (من حسن)⁽⁷⁾ فاصرفه في زمرة أوليائك وما كان

(1) معظم هذه الوصية مقتبس من صئوة لها تنسب إلى محيي الدين ابن عربي الحاتمي (ت: 638هـ)، واقتبس منها أيضا المؤلف في كتابه: الفتوحات الغيبية، الفصل الخامس والعشرون. وقد نبهني إلى اقتباس المؤلف من الحاتمي، فضيلة العلامة شيخي سيدي عمر بناني حفظه الله.

(2) كذا في وصية ابن عربي، وغير وارد في الفتوحات الغيبية: 78.

(3) في وصية ابن عربي: (وأسلمني أهلي في وحدتي، تؤنس وحشتي)، وفي الفتوحات الغيبية: 78 (وأسلمني أهلي في غربتي، أن تؤنس وحشتي).

(4) في وصية ابن عربي والفتوحات الغيبية: 78 (على ناصية مصيبي).

(5) في وصية ابن عربي والفتوحات الغيبية: 78 ﴿اليوم يغفر...﴾.

(6) في وصية ابن عربي: (ونشرتني).

(7) في الفتوحات الغيبية: (حسنا).

(مِنْ قَبِيحٍ)⁽¹⁾ فَمَدَّ بِهِ إِلَى سَاحِلِ عُتَقَانِكَ وَاغْرَقَهُ فِي بَحْرِ عَفْوِكَ (وَعُفْرَانِكَ)⁽²⁾. ثُمَّ (إِذَا وَقَفَ)⁽³⁾ عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، (وَلَمْ)⁽⁴⁾ يَبْقَ إِلَّا افْتِقَارُهُ إِلَيْكَ، وَاعْتِمَادُهُ عَلَيْكَ، فَقَسَّ بَيْنَ عَفْوِكَ وَذَنْبِهِ، وَبَيْنَ غِنَاكَ وَفَقْرِهِ، بَيْنَ (جِلْمِكَ)⁽⁵⁾ وَجَهْلِهِ⁽⁶⁾، وَبَيْنَ عِزِّكَ وَذُلِّهِ، ثُمَّ أَفْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ.

فهذه وصيَّتي إليك، تطفلاً بفضلِكَ عليك، وأنا أشهد (أن لا إله إلا الله وأشهد أن) ⁽⁷⁾ محمداً (عبدك ورسولك)⁽⁸⁾، وأنَّ الموتَ حقٌّ، (وأنَّ الحياةَ باطل)⁽⁹⁾، وأنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ⁽¹⁰⁾.

ب وفاته:

توفي الشيخ ابن غانم شهيدا بالقاهرة ودفن بمقبرة باب النصر، فقد ذكر بعض من ترجمه أنه وقع من موضع مرتفع فتوجع ولم يلبث إلا قليلا فمات، وذلك يوم الأربعاء ثامن عشر شوال سنة 678هـ/1279م، ولم يبلغ الخمسين من العمر، كما أرَّخه البيهقي في ذيله على "مرآة الزمان"⁽¹¹⁾، والذهبي في كتابيه؛ "تاريخ الإسلام"⁽¹²⁾

(1) في الفتوحات الغيبية: (قبيحا).

(2) في وصية ابن عربي: (ووفائك)، والفتوحات الغيبية: 78 (ووفائك).

(3) في وصية ابن عربي: (أوقف).

(4) في وصية ابن عربي: (فإن)، والفتوحات الغيبية: 78 (فإذا).

(5) في وصية ابن عربي: (علمك).

(6) إلى هنا ينتهي ما اقتبس المؤلف من وصية ابن عربي، وتام الوصية المقتبسة: «أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن سيدنا محمد عبدك ورسولك، وأن الموت حق وأن الساعة حق».

(7) في الفتوحات الغيبية: 78 (أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن).

(8) نفسه: 78 (عبده ورسوله).

(9) نفسه: 78 (وأنَّ الجَنَّةَ حقٌّ وأنَّ النَّارَ حقٌّ وأنَّ البعثَ حق).

(10) ذيل مرآة الزمان: 15/2.

(11) ذيل مرآة الزمان: 15/2.

(12) تاريخ الإسلام: 306/50.

و"العبر"⁽¹⁾، والياضي في "مرآة الجنان"⁽²⁾، والصَّفدي في "الوافي بالوفيات"⁽³⁾، وابن كثير في "البداية والنهاية"⁽⁴⁾، والعسقلاني في "الدرر الكامنة"⁽⁵⁾، وغيرهم ممن ترجموه خلا حاجي خليفة في "كشف الظنون"⁽⁶⁾، والبغدادى في تأليفه "إيضاح المكنون"⁽⁷⁾، و"هدية العارفين"⁽⁸⁾ اللذين قدَّما وفاته إلى سنة 978هـ، والصَّحيح القول الأول.

(1) العبر في خبر من غير: 321/5.

(2) مرآة الجنان: 190/4.

(3) الوافي بالوفيات: 253/18.

(4) البداية والنهاية: 289/13.

(5) الدرر الكامنة: 237/4.

(6) كشف الظنون: 463/1.

(7) إيضاح المكنون: 416/3.

(8) هدية العارفين: 301/1.

الفصل الثاني:

التعريف بكتاب "حل الرُّموز".

المبحث الأول: تأصيل عنوان الكتاب ونسبته.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب.

المبحث الثالث: منهج الكتاب

المبحث الرابع: أسلوب الكتاب.

المبحث الخامس: النسخ المعتمدة، والعمل في التحقيق.

المبحث الأول: تأصيل عنوان الكتاب ونسبته.

أ. تأصيل عنوان الكتاب.

ورد عنوان كتاب الشيخ عبد السلام ابن غانم لدى جل من ترجموه، وفي كل النسخ المخطوطة التي رجعنا إليها وطالعناها كالآتي: "حل الرُموز ومفاتيح الكنوز"، وهي الصيغة التي اعتمدها.

ب - تأصيل نسبة الكتاب.

وأما نسبة الكتاب فقد جاء "حل الرُموز" منسوباً إلى الشيخ ابن غانم المقدسي لدى كثير ممن ترجموه حين تعرضهم لتأليفه، وكذا أيضاً في جل النسخ التي طالعناها، إلا أنه التبس على طابقي هذا الكتاب في طبعته الأولى المؤرخة في سنة 1317هـ/ 1899م السيدان: أحمد علي الشاذلي وحسين فهمي فنسباه للعلامة العز ابن عبد السلام (ت: 660هـ)⁽¹⁾، وتبعهما في هذا الغلط في نسبة الكتاب إلى صاحبه المحقق محمد عبد الرحمن الشاغول الذي عمل على تحقيقه باعتماده على النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية تحت رقم: 62 تصوف، ويظهر من الصورة الملحقة بتحقيقه لهذا الكتاب عنوانه وهو كالآتي: "حل الرُموز ومفاتيح الكنوز"، كما يظهر منها أيضاً اسم المؤلف وهو كالآتي: عز الدين عبد السلام، وليس العز بن عبد السلام كما ذكر، وليس غريباً أن يقع مثل هذا اللبس في نسبة الكتاب بين عالَمين متعاصرين، كان الأوّل خطيباً وإماماً بالجامع الأموي والثاني واعظاً به، وتشابها في المشرب وفي بعض عناوين كتبهما.

المبحث الثاني: موضوع الكتاب.

قسّم المعتنون بتصنيف أنماط التأليف وأقسامه إلى سبعة أقسام ذكرها

(1) هو شيخ الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام إمام علامة، لقب من قبل ابن دقيق العيد بسلطان العلماء، سلمي دمشقي ثم مصري، تولى الخطابة والإمامة بالجامع الأموي بدمشق، ثم القضاء بمصر، له تصانيف في غاية النفاة، توفي سنة 660 هـ. (البداية والنهاية: 235/13 - 236، الوافي بالوفيات: 318/18 - 320، وشذرات الذهب: 301/5 - 302).

العلامة ابن حزم (ت: 456هـ) ونظمها بعضهم في قوله:

(الطويل)

أَلَا فَاغْلَمْنِ أَنْ التَّالِيفَ سَبْعَةٌ لِكُلِّ لَبِيبٍ فِي النَّصِيحَةِ خَالِصٌ
فَشَرْخٌ لِإِغْلَاقٍ، وَتَضْجِيجٌ مُخْطِئٌ وَإِنْدَاغٌ خَبِرَ مُقَدِّمٌ غَيْرُ نَاكِصٍ
وَتَزْيِيبٌ مَنْثُورٌ، وَجَمْعٌ مُفَرَّقٌ وَتَقْصِيرٌ تَطْوِيلٌ، وَتَمِيمٌ نَاقِصٌ⁽¹⁾

ويندرج كتاب "حل الرُّموز" تحت القسم الأول؛ أي شرح المغلق، أو بتعبير المؤلف: حلُّ ما أشكل على الأفهام من كلام الصُّوفية العِرْفاني، واستخراج كنوزه وأسراره.

ومعنى المُشْكل في اللُّغة أي المختلط، لذلك يقال: التَّبَيُّدُ المُشْكل؛ أي المختلط، ويقال أيضاً: أشكل العينين؛ أي خالطهما الدَّم، وبهذا المعنى أيضاً استعمل في معناه الاصطلاحي، وذلك للدُّلالة على المُلتبس من الكلام الذي لا يفهم حتَّى يذُلَّ عليه دليل غيره، فهو ممَّا يحتاج إلى فضل تأمل ودقَّة نظر لفهم المُراد منه، وتجاوز تناقض ظاهره، وقد عنت حركة التَّأليف عند العرب بالمُشْكل بعد أن تم تدوين العلوم، فانصُرِفَ أولاً إلى التَّأليف في مشكل القرآن الكريم والأحاديث النَّبوية والآثار، ثم انصرف في ما بعد إلى حلِّ مشكل الشَّعر، في حين تأخرت العناية بمشكل التَّصوف لكونه علماً حادثاً، فلمَّا قويت حركة التَّأليف في هذا العلم، وأفضى ذلك إلى تعبير الصُّوفية عن مواجيدهم وما انقذ من الأنوار الرُّبانية في مشكاة قلوبهم التي انشغلوا بجلاء مرآتها وصفائها، تحامل علماء الظَّاهر والفقهاء عليهم بدمهم وتبديعهم والطَّعن عليهم في عقيدتهم إلى حدِّ التَّكفير، فصارت الحاجة إلى هذا الصِّنف من التَّأليف ضرورة لبيان ما اختلف فيه الفهم مما جاء به الصُّوفية مقالاً وحالاً والذُّب عنهم والانتصار لمذهبهم ومنهجهم.

وقد جالت أقلام المؤلفين في موضوع كتاب "حل الرُّموز"، وتناولته عَرَضاً في ثنايا التَّصانيف، كما أفردته بالتَّصنيف، ومن هؤلاء الذين خاضوا فيه يمكن أن نذكر الإمام الغزالي (ت: 505هـ)، وابن القيسراني (ت: 507هـ)، وعمر السهروردي

(ت: 632هـ)، والشَّيْخُ أَحْمَدُ زُرُّوق (ت: 899هـ)، وجمال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، والإمام عبد الوهاب الشَّعْرَانِي (ت: 973هـ) وغيرهم كثير.

وأما في ما يخص كتاب "حل الرُّموز" فقد أشار مؤلفه في ديباجته إلى موضوعه ومنهجه بقوله: «وإني رأيتُ كثيراً من الألفاظ قد ارتبكت في أَعْمَاضِهَا كثيرٌ من أهل الاعتراض، فمنهم الذين يستمعون القولَ فيَتَّبِعُونَ الأحسن من جوامعها، ومنهم الذين يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضعه، وقد عجز كثيرٌ عن حلِّها لِجَزِّ مَحَلِّهَا، فمنها ما جاء في الآيات والأخبار المشهورة ومنها ما جاء في الآثار المأثورة»، ثم قال بعد ذلك: «فلمَّا رأيتُ هذه الأقوال الصَّادرة عن أهل الأحوال وقد أَشْكِلَ على الأفهام تعليلُها، وعَزَبَ عن الأوهام تأويلُها، أحببتُ أن أشرحَ منها ما انشرح له صدري»، فبيَّن أنَّ مدار اهتمام الكتاب تأويلُ الأقوال العرفانية لأهل الأحوال والتي أَشْكِلَ على الأفهام حلُّ رموزها.

فالعلوم ما دامت في معادنها فهي واسعة مطلقة ولا تقبل التَّغْيِيرَ، فإذا ظهرت مقيدة بالحروف دخلها ما يدخل الكون من التَّغْيِيرِ والتَّبدِيلِ واختلاف العبارات، فكلام الصُّوفِيَّة متفاوت وليس على مرتبة واحدة وإنَّما هو على مراتب مختلفة، فهو وإن كان يُسْقَى من ماء واحد فإن ثمراته مختلفة، فمنه السَّلس المنقاد القريب المأخذ، ومنه العويص الثَّانِي المطلب، وبحسب صقل مرآة القلب وتعهدها بالتَّنْظِيف يكون انعكاس أنوار المعارف، وكذلك أيضا حال مُتَقَبِّلِهِ ومُتَلَقِّيهِ من حيث تفاوت فهمه في أخذ المعاني الكامنة في كلام العارفين، فليس كل فهم بمقدوره بلوغ مقاصد الكلام بالتَّأْوِيلِ، وتجاوز ظاهر دليله الموهوم المُشْكِل لبلوغ بواطن مدلولاته، فإن ذلك أيضا توفيق منه عزَّ وجلَّ يُلْهِمُ كُلَّ مُدْرِكٍ بحسب ما يناسب استعدادَه، ويُمَدُّه بحسب صفاء سريرته.

ومنهج التَّأْوِيلِ الَّذِي تبناه الشَّيْخُ عبد السَّلام ابن غانم المقدسي، منهج أصيل في الثَّقَافَةِ الإسلاميَّة والعربيَّة ولدى الصُّوفِيَّة أيضا، وهو منحى الرَّاسِخِينَ في العلم، يقول العلامة محمد بن عبد الكبير الكَتَّانِي: «وَلَعَمْرِي إِنَّ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ لَمْ تُذَكَرْ فِي الْقُرْآنِ أَيْضاً عَثّاً، ومن وجوه ذكرها التماسُ المَحَامِلِ والمَخَارِجِ الْحَسَنَةِ،

وانتخاب وجوه التأويلات للأكابر، ولذلك قَصَرَ تعالى العلم بالتأويل على الراسخين في العلم، لا التفسير، في قوله: ﴿وَمَا يَغْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: 7]»⁽¹⁾.

وتأويل ما أشكل من كلام العارفين منهم كثير من أكابر الصوفية، أملاه قصور اللغة عن الإيفاء بوظيفتها العادية ألا وهي التبليغ، وقد عُبِّرَ عن إشكالية اللغة وحجابها اللطيف في كون «دائرة المعاني عند العارفين أوسع من دائرة الألفاظ، والصدور أفسح من الكتب والمؤلفات»⁽²⁾، أو كما قيل أيضا «لأن من المشهود ما هو أوسع من أن يدخل في ضيق العبارة والطف من أن تكثفه الإشارة»⁽³⁾، فهذه المعارف عويصة التحرير ويصعب تخليصها لأنه إن عُبِّرَ عنها الصوفي بعبارة اللسان فاته الذوق والوجدان، وإن أشار إليها بضرب من التلميح والرمز والإشارة لا يفهمها أهل التصريح، فصعب أمرها على كل حال إلا من أسعده الله بصحبة الرجال أهل الهمة والتربية.

كما أن «في كلامهم من الاستعارات وإطلاق العام وإرادة الخاص، وإطلاق اللفظ وإرادة إشارته دون حقيقة معناه ما ليس في لسان أحد من الطوائف غيرهم»⁽⁴⁾.

ومن ثم فكما قال أبو المواهب الشاذلي الوفاي: «من طلب علم الإشارة من العبارة فقد طلب المحال وأنكر على الرجال وحرم تمام الكمال»⁽⁵⁾، وتعين حمل هذه الأقوال الموهمة على المحامل السديدة بضرب من التأويل، يقول الشيخ زروق في هذا الشأن متحدثا عن مشكل كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي: «وما أشكل من كلامه تعين تأويله كغيره من أئمة الدين وقادة المسلمين بالوجه القابل له،

(1) خبيثة الكون: 470.

(2) نفسه.

(3) الطبقات الكبرى، للشعراني: 301/1.

(4) مدارج السالكين: 253/2.

(5) الطبقات الكبرى، للشعراني: 303/1.

فإن لم يوجد له سُلم له، ولا يُعترض عليه بمجرّد الإيهام والإشكال الذي لا إيهام فيه»⁽¹⁾، وإلى هذا المنهج أيضا استند الإمام الغزالي حين أعتذر للبسطامي وما صدر عنه من إطلاقات «وحملها كلّها على محامل حسنة بضرب من التأويل»⁽²⁾، ونحوه أيضا قول ابن عطاء الله السكندري: «ما جاء من الأكابر أولي الاستقامة مع الله سبحانه من أقوال وأفعال يُنكر ظاهرها أولناها لهم لما علمنا من استقامتهم وحسن طريقتهم»⁽³⁾.

وأما مؤلف كتابنا الشيخ عبد السلام ابن غانم المقدسي فقد ألمح إلى جملة ما ذكرناه وألّم به الإمامة لطيفة، ذلك أنّ ثمرة علم التّصوف المسماة بعلوم المكاشفة لا تكشف عنها العبارة، وليس يمكن أن توضع لها الألفاظ، فإنّ طورها وراء طور العقل، فالألفاظ الموهمة الصّادرة عن كثير من أئمّة الصّوفية كلام لا يقدر على تحصيل مقتضاه أهل الظّاهر لغموضه وانغلاقه، إذ هو حروف مُعرّبة مفهومة من قبل الصّوفية الدّائنين؛ لأنّ المُخبر عن الشّيء ذوقا مخبّر عن عين اليقين، في حين أنّها حروف معجمة مُطلّسة عن غير أهلها من أهل الظّاهر، وعن هذا المعنى عبر ابن غانم المقدسي في قوله:

(الخفيف)

يَا فَقِيهًا إِنْ كُنْتَ تَفْقَهُ قَوْلِي	هَاتِ قُلْ لِي مَا سِرُّ كَلَامِي
أَنَا أَفَرَأْتُ بِالْمَحَبَّةِ حَرْفًا	مُعْرَبًا، مُعْجَمًا عَلَى الْأَفْهَامِ
هُوَ مَعْنَى لَيْسَ فِي كُلِّ مَعْنَى	بِصَلَاةٍ وَقِيَامٍ وَصِيَامٍ
هُوَ سِرٌّ وَأَنْتَ عَنْهُ حِجَابٌ	فَهُوَ نُورٌ مُسْتَسَرٌّ بِظُلَامٍ ⁽⁴⁾

والمتحصل من جملة هذا الكلام أنّ مقاصد الخطاب الصّوفي العرفاني توجب العدول عن المعنى الظّاهر بضرب من التأويل لأنّه غير مقصود، ولأنّ اللّغة

(1) شرح حزب البحر، لزروق: 43 - 44.

(2) وفيات الأعيان: 149/2، في ترجمة الحلاج.

(3) تأييد الحقيقة العلية، للسيوطي: 69.

(4) ذيل مرآة الزمان: 14/2، عجز البيت الأول مكسور، وتقرأ "أنا" في صدر البيت الثاني باختلاس مدها للوزن.

ظاهر واحد وبواطن عديدة، إلى معاني آخر لكون القرائن تؤكد مقصوديتها.

المبحث الثالث: منهج الكتاب.

وأما منهج الكتاب وهيكله فقد بيّنه أيضا المؤلف وحدّده في مكونين؛ الأول: تأويل ما جاء في الآيات والأخبار المشهورة، ومراده بذلك تأويل متشابه الآيات القرآنية والأحاديث والآثار النبوية المتداولة من قبل الصوفية.

وأما الثاني: فتأويل ما جاء في الآثار الماثورة، وقصد بذلك تأويل كلام بعض مشاهير الصوفية.

ويتبدى لنا أنّ هيكل الكتاب يتكون من أكثر من ذلك وتحديدًا من خمسة مكونات، وهي:

1 - تأويل الآيات القرآنية.

وتصدى في هذا المكون إلى تأويل الآيات: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁽¹⁾، و﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾⁽²⁾، و﴿تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾.

2 - تأويل الأحاديث النبوية والقدسية والآثار.

تناول فيه بالتأويل حديث جبريل عليه السلام، وأحاديث وآثار أخرى نذكر منها: "من عرف نفسه عرف ربّه"، و"كن في الدنيا كأنك غريب..."، و"مرضت فلم تعدني..."، و"لا زال عبيد يتقرّب إلى بالتوافل..."، و"نعم العبد ضهيّب...".

3 - تأويل ما جاء في الآثار الماثورة؛ أي أقوال الصوفية.

تناول بالتأويل في هذا المكون أقوال الصوفية نحو: "أنا الحق" و"سبحاني"، و"أنا من أهوى ومن أهوى أنا".

(1) طه: 5.

(2) النور: 35.

(3) النور: 31.

4 - تأويل ما صدر عن الصوفية حالا. ويتضمن حديثا عن السماع والكرامات.

يعد السماع أحد أهم ما أشكل على الأفهام فهمه من أحوال الصوفية وقد تضاربت الأقوال فيه مما حثم على المؤلف تناوله لبيانها يقول: «واعلم أنه تحتم ذكر السماع وما هو منه محظور وما هو مباح، وما هو مستحب مستحسن، فإن كثيراً من المتعمقين والمتقشفين كرهوه وأنكروه أصلاً وفرعاً، وحقيقةً وشرعاً، وهذا غلط منهم لأن ذلك يفضي إلى تخطئة كثير من أولياء الله وتفسيق كثير من العلماء»، فالسماع بحسب المؤلف لا يمكن تحريره وحضره أصلاً، ولا تحليله على الإطلاق أيضاً، فإباحته وتحريره بحسب القلوب كثافة ولطفا فهو:

(البسيط)

نُورٌ لِمَنْ قَلْبُهُ بِالنُّورِ مُشْرِخٌ نَارٌ لِمَنْ صَدْرُهُ نَافُوسٌ وَشَوَاسٌ
وقد سئل عن السماع فأجاب كما قال اليونيني بكلام طويل لم يدرجه في كتابه واكتفى بإيراد قصيدة مما جاء فيها قول عبد السلام ابن غانم.

(الخفيف)

قُمْ فَرِّدْ فِي الْحَانَ ذِكْرِي فَسَمَاعِ الْأَلْحَانِ غَيْرُ حَرَامٍ
وَاشْقِنِي مِنْ مَدَامَةِ الْحَبِّ صِرْفاً تَمَحُّ عَنِّي كِبَائِرُ الْأَثَامِ
وَاضْطَبِّحْ وَاغْتَبِقْ بِهَا وَتَهْتِكْ وَتَمَرِّدْ تَبِيهاً عَلَى اللُّؤَامِ
وَإِذَا قِيلَ مَنْ أَبَاكَ هَذَا قُلْ بِفَتْوَى الْفَقِيرِ عَبْدُ السَّلَامِ⁽¹⁾

ومما أشكل أيضاً على الأفهام فهمه من أحوال الصوفية فأنكروها عليهم، الكرامات، يقول المؤلف: «واعلم أن طائفة ممن عديموا العقل وخالفوا الثقل عدلوا عن الحق وصدّوه، وعمدوا إلى الباب فسّدوه، فقالوا بإبطال كرامات الأولياء ومكاشفات الأصفياء».

وتناول في هذا المكون ما يدل على الكرامة عقلاً ونقلًا من الكتاب والسنة النبوية الشريفة، كما أنه عرّج على كثير من الموضوعات الأخرى ذات الصلة

بالكرامة والولاية، نحو الفرق بين المعجزة والكرامة، وهل الولي من شرطه أن يعلم أنه ولي أم لا؟ وهل يجوز أن يكون الولي معصوما أم لا؟

5 - بيان صفات الفقير الصادق.

يعدُّ هذا المكون آخر مكونات موضوعات الكتاب، تغيا منه المؤلف النصِّ وتقويم الحركة الصوفية ونقد ما اعتراها وشابها من انحرافات، ويبدو أنَّ هذه الظاهرة قديمة شهدها القرن السادس ممَّا حدا بالإمام الغزالي لمَّا شاهد في هذه الطائفة الخلل في عصره إلى النصِّ لمن يرغب في الاهتداء فأورد في "إحياء علوم الدين" أمورا شبيهة بما ذكره أيضا عبد السلام ابن غانم المقدسي، من ذلك قوله عن المتصوفة: «اغترُّوا بالرِّيِّ والهيئة، وشاركوا الصادقين من الصوفيَّة في زِيَّهم وهيئتهم وفي ألفاظهم، فلمَّا تكلفوا هذه الأمور... ظنُّوا أنَّهم صوفية، تكالبوا على الحرام والشُّبهات...»⁽¹⁾.

- موضوعات فرعية أخرى.

تناول كتاب "حل الرُّموز" فضلا عن تأويل ما أشكل من أقوال وأحوال الصوفية، باعتباره موضوعه الأساس، مفاهيم عرفانية وحقائق علوية من رقائق التَّصوف من قبيل شرح كلمة التَّوحيد، ولأنَّ الكلام في الحقائق ومتشابه التَّوحيد في الآيات تحديدا وفي بعض الأحاديث التي تناولها المؤلف يوهم التَّشبيه والتَّجسيم فقد عزَّج المؤلف على التَّنزيه لرفع هذا الالتباس ولبیان سلامة عقيدتهم من البدعة، فاعتقادات أكابر مشايخ الصوفية ابتداء بإمام الطائفة ومن تلاه في ما بعد موافقة لأصول السلف الصالح وأهل السُنَّة والجماعة، فالثَّابت كما قال الشَّيخ ابن تيمية «عن أكابر المشايخ يوافق ما كان عليه السلف»⁽²⁾، فهم «أقرب إلى مذهب سلف الأُمَّة وأبعد عن البدعة والهوى»⁽³⁾.

ومُجمل القول في ذلك كما يتبين من الكتاب أنَّ الصوفية أثبتوا الصِّفة لله

(1) إحياء علوم الدين: 404/3.

(2) الاستقامة: 82/1.

(3) نفسه.

باسمها من غير تشبيه، ونفوا التشبيه عنها من غير تعطيل لصفات الخالق عز وجل، وآيسوا من إدراك كُنْهها، فالعجز عن الإدراك إدراك كما قيل، واستيفاء تأويلها، فلا مبالغة في التزنيه المفضي إلى التَّعطيل.

ولعل هذا يبين أحد أهم مقاصد الكتاب الضمنية غير المعلنة عنها، فضلا عن مقصده الأساس المصريح به في الديباجة، لا سيَّما إذا وضعناه في سياقه التاريخي الفكري وما شهدته القرن السابع والذي قبله من تيارات فكرية من قبيل الجمود على ظواهر النص الذي أفضى إلى التجسيم والتشبيه والتعطيل، في حين يظهر هذا التأليف عدم جمود الصوفية على رسوم وظواهر النص وتوسلهم بالتأويل كمنهج لفهمه من غير تعسف مع الانضباط لأحكام الشريعة ودونما وقوع في ما وقع فيه خصوم التأويل.

والكتاب وإن صنفناه في تصوف العرفان فإنه لم يخل أيضا من تناول كثير من موضوعات تصوف الثرية والسلوك نحو المقامات والأحوال وشرحها؛ كالمحبة وأقوال القوم فيها، والسكر والفناء والتلوين والتمكن، والثوبة وشروطها وأقسامها، والفرق بين الرحمة والرضا وغيرها، مما يجعله كتابا شاملا أحاط بموضوعات عرفانية وسلوكية.

المبحث الرابع: أسلوب الكتاب.

سبق أن بيَّنا أن مقصد كتاب "حل الرُّموز" الذب عن التصوف العرفاني بتأويل ما صدر عن الصوفية مقالا وحالا، فبديهي من ثم أن يكتسي أسلوبه أبعادا حجاجية وإقناعية كثيرة من خلال المناظرة والجدال، فللحوار ثلاثة أبعاد تتباين بتباين المتحاور، فلاهل الصديق الدعاء إلى الله بالحكمة، ولأهل الاعتقاد والتسليم الدعاء بالموعظة الحسنة، ولأهل الانتقاد الجدل بالتي هي أحسن، وقد ذكرت هذه الأساليب مجتمعة في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽¹⁾.

ولمّا كان الكتاب متوجّها إلى أهل الانتقاد فإنّ أنسب أساليب الحوار لهذا المقام الجدال. من ثم فقد نافح المؤلّف عن الصّوفية وانتصر لمذهبهم وما صدر عنهم مقالاً وحالاً باستعمال أساليب الجدال، أي البرهان والدليل والاستدلال العقلي، وتنزّل في الخطاب على قدر أفهام المخاطبين لا على ما هو الأمر عليه في نفسه، تفادياً لتأويل مُشكل الكلام بكلام مُشكل، كما تنزّل أيضاً في العبارة بتوخي الوضوح، وبيان وجوه من التّأويل وعدم الاقتصار على وجه واحد قصد الإفهام وتحقيقاً لمقصديّة الخطاب الصّوفي في الكتاب والمتمثلة في الإقناع.

ومن هذه الأساليب الجّجاجة التي يستدعيها توخي بيان حقيقة علوم المكاشفات لأهل الظّاهر التّمثيل والتّشبيه والمخاطبات الشّعريّة. فأما التّمثيل والتّشبيه فأسلوب قرآني ومن أساليب الوعاظ أيضاً، ويعتبر من أبرز ملامح الجّجاج في الكتاب، ومن أمثلته نذكر قوله:

- «فما مثالُ فناء المُحبِّ في بقاء المحبوب إلّا مثال النّار...»

- «ومثالُ كُمون المحبّة في ذات المُحبِّ وسلْب ذاتيّة المحبِّ عن صفاتها ككُمون النّار في ذاتيّة الماء الحار...»

- «وما مثال ذلك إلّا مثال رجل بيده سراج.»

- «ويتنزّل القلبُ بمنزلة المرأة في لطيفها وكثيفها.»

بل لقد ينحو المؤلّف إلى استمداد عناصر التّمثيل من مرجعية ذات قوة جّجاجة كبيرة، لا سيما وأن طرفي عملية الجدال؛ أي المُنكر والمجادل له تنظّمهما معاً مرجعية عقديّة واحدة، ونعني بهذا استمداد التّمثيل من القرآن الكريم، نحو قوله:

- «ونظيرُ هذا قصّة زليخا...».

وأما المخاطبات الشّعريّة فتعدّ أيضاً من أساليب الجدال الإقناعيّة التي توظف لاستمالة المتلقي وحمله على تغيير منظومة أفكاره واعتقاداته، وقد وُظّفها المؤلّف لهذا الغرض أيضاً فذيل بها مجمل فصول الكتاب، وأتى بهذه الأشعار، وهي في أغلبها من إنشائه، في آخر منشور كل فصل يلخّص بها مجمل ما تناوله،

وإلى وظيفة كل من التمثيل والمخاطبات الشعرية واستناد كل من رام تفهيم العلم العرفاني وعلوم المكاشفات إليهما أشار الإمام الشَّعراني في قوله: «ومن هنا كان من يريد تفهيم العلم لهذا الغير لا يقدِّر أن يوصل ذلك العلم إلى الأفهام الضَّعيفة إلَّا بضرب الأمثلة والمخاطبات الشعرية»⁽¹⁾.

ومن أساليب الجدل أيضا الموظفة في الكتاب؛ أسلوب الفُتْلَة والمراجعة، ونمثل للأول بقول المؤلف:

- «فإن قال لك قائل: فكيف تصحُّ دعوى من ادَّعى الأنانية؟ وكيف تُؤوَّل...؟»

فأقول: اعلم أنَّ المحبَّة لطيفةٌ روحانيةٌ تستولي بلطف روحانيَّتها على كيف جُثمانية المحب...».

وأما المراجعة فنمِّل لها بقوله:

إِنْ قِيلَ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ قُلْ: كَيْفَ شَاءَ وَلَا تُضْغِي إِلَى كَيْفٍ تُضْغِي تَنْمُ نَدْمَانَا
أَوْ قِيلَ: أَيْنَ؟ فَقُلْ حَيْثُ اتَّجَهْتَ تَجِدْ مَوْلَاكَ مَا غَابَ طَرْفَا لَا وَلَا بَانَا

ولا غرو أنَّ القراءة المتأنية لهذا الكتاب تكشف عن توفُّق المؤلف في تناول علوم الحقائق والمكاشفات ومسائلها التي تدقُّ عن النَّظر العقلي، ومناظرة أهل الجدل بأساليب الجدل، ومُحاجَّة خصوم العرفان والحقيقة بأساليب الشريعة، فتتَّحَصَّل من نصِّ الكتاب لذة عقلية ناشئة بسبب معرفة الأشياء والوقوف عليها بضرب من التحقيق والتدقيق، كما تَمَكَّنَ أيضا المؤلف من إيصال هذا الخطاب بلُبُّوس أدبي بديع رائق متوسلا بأساليب بلاغية ذات أبعاد جمالية وإقناعية في ذات الآن، مما تتحصل عنه لذة فنيَّة متميزة، الأمر الذي يمنح هذا الكتاب قيمة مزدوجة معرفيَّة وأدبيَّة.

المبحث الخامس: النسخ المعتمدة ومنهجنا في التحقيق. أ. النسخ المعتمدة.

اعتمدنا في تحقيق كتاب "حل الرُّموز"⁽¹⁾ على خمس نسخ مخطوطة وهي:
الأولى: نسخة خاصة من مكتبة الفقيه العلامة سيدي عبد الحي العمراوي،
حفظه الله، بفاس، أمدني بصورة منها العلامة الحاج سيدي عمر بناني.
نسخة جيدة، مقابلة على نسخة أخرى في ما يتبين من طررها، عارية من
اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، مسطرتها: 20 سطرا، مقياسها: 29×20 سم. مجموع
صفحاتها: 119.

أولها: « بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلّم.
قال الشيخ الإمام العلامة الصوفي أبو محمد سيدي عبد السلام بن محمد
ابن غانم المقدسي رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين.
الحمد لله...».

وآخرها: «تَمَّ حُلُّ الرُّمُوز ومفتاح الكنوز بحمد الله تعالى وحسن عونه
وتوفيقه الجليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل».
رمزنا لها في التحقيق: ب: (ع).
النسخة الثانية:

نسخة خاصة بحوزة أحمد بن قاسم البادشي بفاس، أمدني بصورة منها
العلامة الحاج سيدي عمر بناني حفظه الله.

(1) لهذا الكتاب خلا النسخ الخمس التي اعتمدناها نسخ كثيرة نذكر منها: نسخة بخزانة
الإسكوريال تحت رقم: 1987 c ناسخها: شهاب الدين، ونسخة بمكتبة العلامة عبد الله
كنون بطنجة، تحت رقم: 10434، وإحدى عشرة نسخة بالخزانة الملكية بالرباط، تحت
الأرقام: 325 و 981 و 1558 و 3205 و 5144 و 6328 و 7445 و 8871 و 9922 و 10163 و 11983،
ونسخة بخزانة ابن يوسف بمراكش، تحت رقم: 236، ونسخة بخزانة القرويين بفاس، تحت
رقم: 1512، ونسخة بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، تحت رقم: مج/2/99.

نسخة لا بأس بها من حيث جودة الخط، عارية من اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، مسطرتها: 23 سطرا، مقياسها: 26.5×20 سم. مبتورة الآخر نحو صفحة، مجموع صفحاتها: 87.

أولها: « بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّدٍ وآله
هذا كتاب حلُّ الرُّموز ومفاتيح الكنوز تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة
ابن الشيخ الإمام سيدي عزَّ الدين بن سيدي ابن غانم المقدسي رحمه الله تعالى
ورضي عنه ونفعنا به وأفاض علينا من بركاته، آمين.
الحمد لله...».

آخرها: البيت الشعري: «مُتفاوتون بقربهم...».

رمزنا لها في التحقيق: ب: (ب).

النسخة الثالثة:

نسخة المكتبة الوطنية بالرباط تحمل رقم: 74 د/ 1، أول مجموع (من:
اللوحة 1 إلى: اللوحة 39).

نسخة جيدة، مقابلة في ما يتبين من طررها، عارية من اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ، مسطرتها: 23 سطرا، مقياسها: 21×17 سم، مجموع صفحاتها: 78.

أولها: « بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا مُحَمَّد
وآله وصحبه وسلَّم.

كتاب حلِّ الرُّموز ومفاتيح الكنوز تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام
عزَّ الدين بن الشيخ سيدي عبد السلام ابن غانم المقدسي رحمه الله ورضي عنه
ونفعنا به.

الحمد لله...».

آخرها: «انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل، وصلى الله
على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلَّم تسليما».

رمزنا لها في التحقيق: ب: (و).

النسخة الرَّابِعة:

نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، تحمل رقم: 4802 ف، أول مجموع (من: اللوحة 1، إلى: اللوحة 66). عليها تملك في اسم: محمد أمين الخانجي.

نسخة جيدة، عارية من اسم النَّاسِخ وتاريخ النَّسْخ، مسطرتها: 22 سطرا، مقياسها: 16×24.5 سم، مجموع صفحاتها: 132.

أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي.

الحمد لله الذي فتح...»

آخرها: «تَمَّ الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وجوده وكرمه وصلى الله على سيدنا محمد».

رمزنا لها في التحقيق: ب: (س).

النسخة الخامسة:

نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، تحمل رقم: 5509.

نسخة جيدة، عارية من اسم النَّاسِخ وتاريخ النَّسْخ، مسطرتها: 17 سطرا، مقياسها: 16×24.5 سم، مجموع صفحاتها: 88.

أولها: «بسم الله الرحمن الرحيم، قال الشيخ الإمام العالم العامل المحقق الموصول المسلك العارف الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ابن العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن الشيخ غانم المقدسي قدس الله روحه ونفعنا بعلمه.

الحمد لله الذي فتح بمفاتيح...».

آخرها: «والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم، تَمَّ الكتاب المبارك بعون الله وحسن توفيقه».

رمزنا لها في التحقيق: ب: (د).

ب: عملنا في التحقيق.

بعد النظر المتأن في النسخ التي ارتأينا اعتمادها في التحقيق اتخذنا النسخة (ع) أصلاً وقابلناها على النسخ الأربع الأخرى وأثبتنا الصواب الرّاجح في المتن في حين وضعنا الروايات الأخرى في الهامش.

كما قمنا أيضاً بما يلي:

- تخريج الآيات القرآنية.

- تخريج الأحاديث النبوية والآثار من مظانها.

- توثيق المادة العلمية ومقابلتها بأصولها وعزوها إلى مصادرها.

- التعليق على ما يستوجب ذلك وتبيانه بما يُشاكله في المعنى من أقوال

المؤلف في تصانيفه الأخرى، أو ما قاله غيره لا سيّما من أئمة القوم وأكابر الصوفية.

- الترجمة لبعض الأعلام الواردة في المتن.

- شرح ما يحتاج إلى الشرح من الألفاظ المستغلقة والاصطلاحات

الصوفية.

- ضبط الشواهد الشعرية ووزنها وتقويمها.

واستيفاء لخدمة النصّ المحقق قمنا بالتقديم له بمقدمة اشتملت على

التعريف بالمؤلف وبكتابه، ثم أخيراً ذيلنا الكتاب بمجموعة من الفهارس الفنية تُيسّر للقارئ الوقوف على مُرادَه بأدنى جهد من البحث.

وختاماً فهذا جهد العبد الفقير العاجز، المنشغل باله بما امتحن به،

المتشوّف ناظره إلى رحمة مولاه وكريم فضله وجزيل منحه وعطاياه، المتقدّم إليه بفقره بتضرع وابتهاال:

مَا لِي سَوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ رَبِّي أَجْزَعُ

مَا لِي سَوَى قَزْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمَّئِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ

أَقْدِمَهُ للقارئ وحسبي أنّي بذلت فيه الجهد مخلصاً لله تعالى متوخياً تيسير

الكتاب وتصويب ما اعتوره من أخطاء في طبعاته السالفة، آملاً أن يعمّ به النفع،
سائلاً منه تبارك وتعالى أن يثيني وجميع من أعانني على إنجازهِ لا سيّما الشَّيخ
العلامة الحاج سيدي عمر بناني حفظه الله، وما توفيقِي إلا بالله عليه توكلت وإليه
أُنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربّ العالمين.

كتبه: محمد بوخنيّفي

يوم الاثنين 26 رمضان 1431 هـ

الموافق: 6 شتنبر 2010 م.

في: الجديدة / وسيدي بنور

d.m.boukhanifi@gmail.com

صور من النسخ المعتمدة في التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الشيخ الامام العلامة العزيم ابو محمد
بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
رضي الله عنه وتفضل بكاتبه : امير

الحمد لله الذي جعل في كتابه من كل شيء علة وحكمة وجمع
حبيب السراة ونور البصائر وفضلها كان لمحبوبه وحده
عزائس العزيم وروايات السعدية من بيع الفصحة . بلغ
الكلوب . وروى من كتاب من عباد الله بجلاله الله على عباده
بما سبى له في المكتوب . ثم هلاله بعزما يسر له هلاله ثم رفا له
بعزما نقله من العيوب ثم رفا له بعزما نقله ثم اولا نعمها
لا يحصيها حبيب . ثم سفلها بالنعيم عن النعم ثم انما به
على نرح العزيم في المخرج . ثم خلق عليه خلقة من خلقة العزيم
والعزيم الكرم لا يسترد العزيم . ثم اول نرح من دار الكرم
وضعه في دار الكرم . ثم اسر به على عزما حبروته
با خنقته هناك خنقات بليته . بعزما خنقته محزوب
ثم اخبرته بركاب الرابطة . ثم انكباب الجبانية
ببعزما خنقته مشبه مسلوب . بلما اخبره من نرحته
وسلبه عن حبه . وراشه من ابنا . جنسه . رجمه اليه

ع

صورة الصفحة الأولى من النسخة: (ع).

(نسخة خاصة بحوزة العلامة عبد الحي العمراوي بفاس)

لا ينكرون الـ سوى مبررهم ، سفلوا به عن سائر الأسفل
 مبرر اليك وسليته يا سير ، الدوطة جالهم جبال
 واخية الأمال ان افضيت ، عن بابهم راحة الأمال
 مع الصلاة على النبي محمد ، وكذا السليل عليه مع النال
 وارض عن العجب الكريم معهم ، والتابعين والملك منزال
 ثم حل الرموز ومفتاح الثموز بحجر الله تعالى
 وحسن عونه وترفيه الجليل ورا حول واخرة الاله
 العلى العليم وهو حسنا ونم الوكيل مع

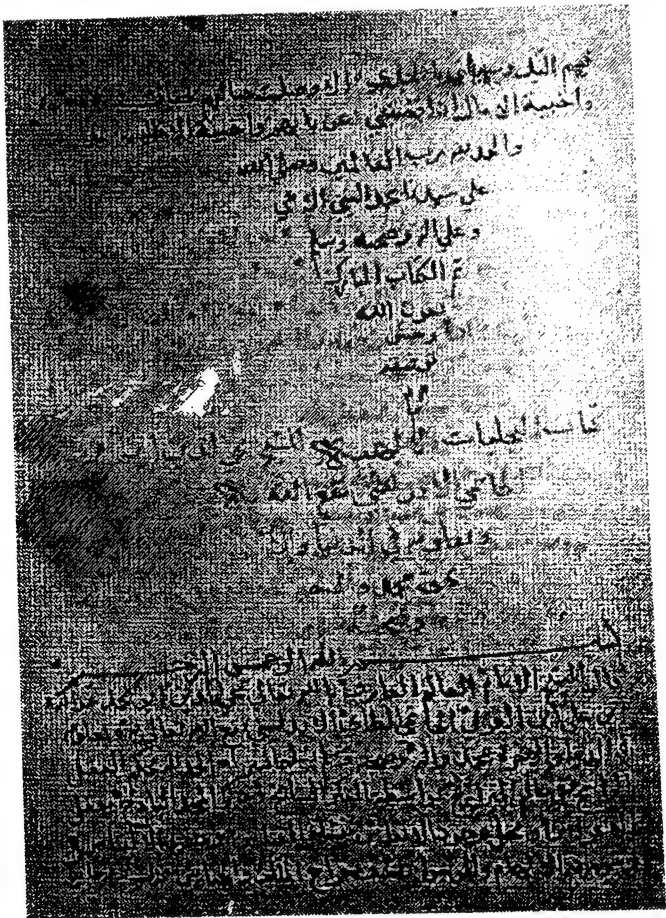
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة: (ع).

(نسخة خاصة بحوزة العلامة عبد الحي العمراوي بفاس)



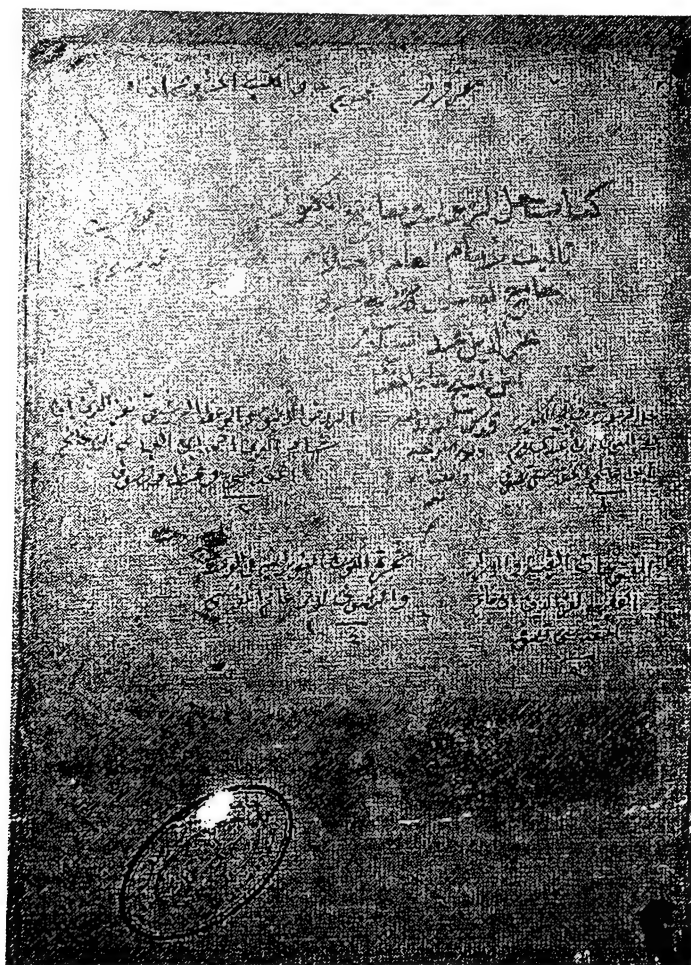
صورة الصفحة الأولى من النسخة: (س)

(نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، رقم: 4802ف)



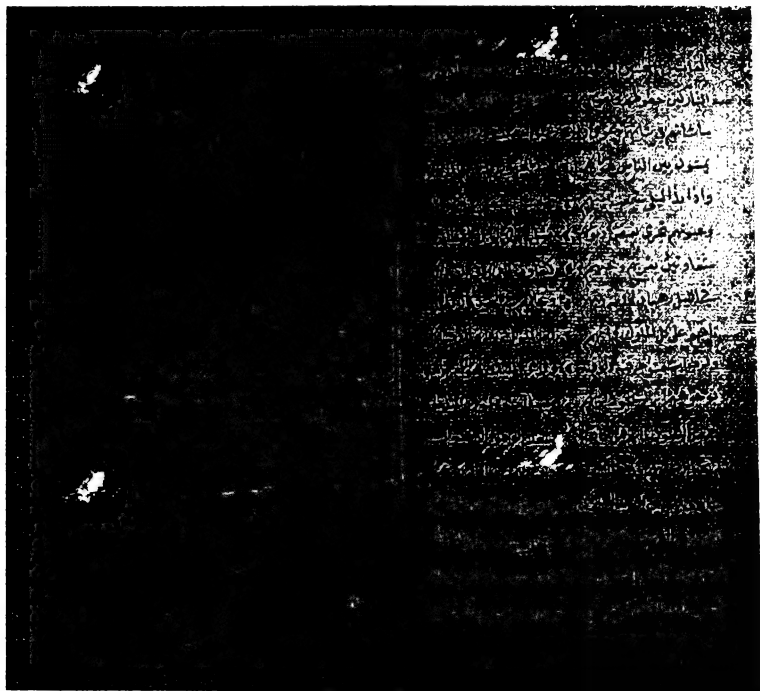
صورة الصفحة الأخيرة من النسخة: (س)

(نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، رقم: 4802ف)



صورة الصفحة الأولى من النسخة: (د)

(نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، رقم: 5509)



صورة اللوحة الأخيرة من النسخة: (د)

(نسخة مكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات)، رقم: 5509)

القسم الثاني: النص المحقق

[افتتاح]

بسم الله الرحمن الرحيم، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
قال الشيخ الإمام العلامة الصوفي أبو محمد
سَيِّدِي عَبْدُ السَّلَامِ بْنِ (أحمد)⁽¹⁾ بْنِ غَانِمِ الْمَقْدِسِيِّ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَنَفَعَنَا بِبَرَكَاتِهِ، آمِينَ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ بِمِفْتَاحِ الْعُيُوبِ أَقْفَالَ الْقُلُوبِ، وَرَفَعَ (حُجَبَ)⁽²⁾
السَّرَائِرِ وَنَوَّرَ أَبْصَارَ الْبَصَائِرِ فَظَهَرَ مَا كَانَ (مَحْجُوبَ)⁽³⁾، وَجَلَّ عَرَائِشُ الْوُجُودِ فِي
مِرَاةِ الشُّهُودِ فَمَنْ فِيهِمُ الْمَقْصُودُ بَلَّغَ الْمَطْلُوبِ، وَوَفَّقَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فَجَاهِدَ
فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ⁽⁴⁾ بِمَا سَبَقَ لَهُ فِي الْمَكْتُوبِ، ثُمَّ هَدَاهُ بَعْدَمَا بَيَّنَّ لَهُ هُدَاهُ ثُمَّ رَفَّاهُ
بَعْدَمَا نَقَّاهُ مِنَ الْعُيُوبِ، ثُمَّ وَلَّاهُ⁽⁵⁾ بَعْدَمَا تَوَلَّاهُ ثُمَّ أَوْلَاهُ نِعْمًا لَا يُحْصِيهَا حَيْسُوبُ،
ثُمَّ شَغَلَهُ بِالْمُنْعَمِ عَنِ النَّعَمِ، ثُمَّ أَقَامَهُ عَلَى قَدَمِ الْخِدْمَةِ فِي الْخَدَمِ، ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ
خِلْعَةً مِنْ (خِلْعِ)⁽⁶⁾ الْقَدَمِ، وَالْوَاهِبِ الْكَرِيمِ لَا يَسْتَرِدُّ الْمُوْهَبُ، فَأَوَّلَ قَدَمَ (رَفَعَهُ)⁽⁷⁾

(1) في (ع): (محمد)، والصواب ما أثبتناه، يراجع ما ذكرناه في ترجمته.

(2) كذا في: (ع) و(س) و(د)، وفي (و): (حجاب)، وفي (ب): (حجوب).

(3) كذا في جل النسخ، والصواب النصب؛ أي: (محجوباً)، وقد ارتكب هذا مراعاة للتناسب بين
سجعتي القسمين (القلوب) و(محجوب).

(4) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: 78].

(5) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: 6].

(6) في (ع): (خلعة)، و(ب): (خلع) والمثبت من: (و) و(س) و(د).

(7) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س) و(د).

من دار مُلكه وضعه في دار مَلِكوتِه، ثُمَّ أَشْرَفَه على عَرَصَات جَبَروتِه فاخْتطَفْتِه هُنَاكَ خَطَفَات هَيْبَتِه فَهُوَ مُحْتَطَفٌ مَجْذُوبٌ، ثُمَّ (أَخَذْتِه) ⁽¹⁾ يَدَ اللَّطَائِفِ الرَّبَّانِيَةِ عَنِ الْكَثَائِفِ (الْجُثْمَانِيَةِ) ⁽²⁾ فَهُوَ هُنَاكَ مُنْتَهَبٌ ⁽³⁾ مَسْلُوبٌ، فَلَمَّا أَخَذَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَسَلَبَهُ عَنْ حِسِّهِ وَانْتَهَبَهُ مِنْ (بَيْنِ) ⁽⁴⁾ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ، رَفَعَهُ إِلَيْهِ/1/ ثُمَّ رَدَّهُ عَلَيْهِ، وَقَرَّبَهُ لَدَيْهِ، فَهُوَ حِينَئِذٍ مُرَادٌ ⁽⁵⁾ وَمَخْطُوبٌ، فَلَمَّا اصْطَفَاهُ لِقُرْبَتِهِ، وَاجْتَبَاهُ لِحَضْرَتِهِ، لَمْ يَكُنْ غَيْرَ مُحِبٍّ وَمُحْبُوبٍ، ثُمَّ رَوَّقَ ⁽⁶⁾ لَهُ مِنْ كَرَمِ كَرَمِهِ شَرَاباً (مَسْتَخْرَجاً) ⁽⁷⁾ مِنْ رَأُوقٍ ⁽⁸⁾ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ ⁽⁹⁾ (فَسَكَّرَ قَبْلَ أَنْ يَتَنَاوَلَ الْمَشْرُوبَ) ⁽¹⁰⁾، ثُمَّ تَجَلَّى لَهُ فِي سَاعَةِ سُعُودِهِ، فَغَابَ بِشُهوْدِهِ عَنْ وَجُودِهِ، فَمَا أَفَاقَ إِلَّا بِمُذَكِّرٍ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ⁽¹¹⁾، (فَلَمَّا صَاحَ) ⁽¹²⁾ بِذِكْرِهِ وَصَحَا مِنْ سُكْرِهِ، (أَفْصَحَ) ⁽¹³⁾ لِسَانَ عَشْقِهِ الطَّرُوبِ (يَقُولُ) ⁽¹⁴⁾ ⁽¹⁵⁾:

-
- (1) كَذَا فِي (ع) وَ(ب)، وَفِي (و) وَ(س) وَ(د): (أَعْرَتِه).
 (2) وَكَذَا فِي (ب)، (س) وَ(د)، وَفِي (و): (الْجِسْمَانِيَةِ).
 (3) مُنْتَهَبٌ: مَأْخُوذٌ. (الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ، لِلْفَيْرُوزِ أَبَادِي: 179/1).
 (4) غَيْرُ وَارِدٍ فِي (ع)، وَالْمَثْبُتُ مِنْ: (و) وَ(ب).
 (5) الْمُرَادُ: «هُوَ الَّذِي يَجْذِبُهُ الْحَقُّ جَذْبَةَ الْقُدْرَةِ وَيُكَاشِفُهُ بِالْأَحْوَالِ فَيُثِيرُ قُوَّةَ الشُّهُودِ مِنْهُ اجْتِهَاداً فِيهِ وَاقْبَالاً عَلَيْهِ وَتَحَمُّلاً لِأَثْقَالِهِ» (التَّعْرِيفُ، لِلْكَلاِبَادِي: 158).
 (6) رُوقٌ: صَفَا، وَالتَّوْرِيقُ: التَّصْفِيَةُ، وَرُوقُ الشَّرَابِ صَيَّرَهُ صَافِياً. (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ، لِلزَّمَخْشَرِيِّ: 259 - 260).
 (7) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (و).
 (8) الرَّأُوقُ: آلَةُ تَصْفِيَةِ الْخَمْرِ (الْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ، لِلْفَيُومِيِّ: 246/1)، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضاً: النَّاجُودُ (لِسَانُ الْعَرَبِ، لِابْنِ مَنْظُورٍ: 419/3)، وَالْكَرْبَاسُ (نَفْسُهُ: 195/6).
 (9) الْمَائِدَةُ: 54.
 (10) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (ع)، وَالْمَثْبُتُ مِنْ: (و) وَ(ب)، وَفِي (س): (يَدِي)، وَفِي (د): (بَنِي).
 (11) الرِّعْدُ: 28.
 (12) فِي (ع): (صَحَّ)، وَ(س) وَكَذَا فِي (ب) إِلَّا أَنَّهُ صَحَّحَهَا فِي الطَّرَةِ بِالْمَثْبُتِ، وَهُوَ الْوَارِدُ أَيْضاً فِي: (و).
 (13) فِي (ع): (صَاحَ)، وَ(س)، وَالْمَثْبُتُ مِنْ: (و).
 (14) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (و).
 (15) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (د).

[الكامل]

أَنَا فِي الْمَحَبَّةِ خَاطِبٌ وَمَخْطُوبٌ وَهُوَ الْمُحِبُّ (لِقَائِي) وَالْمَخْبُوبُ⁽¹⁾
 لَوْلَا قَدِيمُ الْحُبِّ مَا أَخْلَصْتُ فِي حُبِّي فَهُوَ الطَّالِبُ الْمَطْلُوبُ⁽²⁾
 أَبَدًا يُصَافِينِي الْهَوَى/1/ فَكَأَنَّمَا أَنَا فِي الْحَقِيقَةِ صَاحِبٌ مَضْحُوبٌ⁽³⁾

أَحْمَدُهُ حَمْدٌ مِنْ إِلِيهِ يُوُوبُ، وَمِنْ ذَنْبِهِ يَتُوبُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً (أَذْخَرَهَا)⁽⁴⁾ لِتَفْرِيجِ الْكُرُوبِ، (فِي)⁽⁵⁾ يَوْمٍ لَا شُرُوقَ لشمسه وَلَا غُرُوبَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ (سَيِّدَنَا)⁽⁶⁾ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)⁽⁷⁾ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي اخْتَارَهُ مِنَ الْأَنَامِ مَحْبُوبًا فَنَعَمَ الْمَحْبُوبُ، وَجَعَلَ حُبَّهُ عَلَى خَلِيقَتِهِ مَفْتَرَضًا لَا مَدُوبًا، وَكُلَّهُمْ إِلَيْهِ مَدُوبٌ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً دَائِمَةً إِلَى يَوْمِ (الَّذِينَ يَوْمٌ)⁽⁸⁾ وَعَدَهُ غَيْرَ مَكْذُوبٍ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْمَعَانِي جَوَاهِرَ وَالْأَلْفَاظُ أَصْدَافُهَا، وَالْحِكْمُ مَعَادِنُ وَالْقُلُوبُ أَهْدَافُهَا، وَجَبَ عَلَى كُلِّ مَنْ فَتَحَتْ الْيَقِظَةُ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ، وَجَلَّتِ الْمَوْعِظَةُ مِرَاةَ (عَيْنِ)⁽⁹⁾ سَرِيرَتِهِ، أَنْ يَتَّبِعَ مِنْ (أَجَلٍ)⁽¹⁰⁾ الْكَلَامَ مَعَانِيهِ، وَمَنْ الْحِكْمَ مَا يَبْلُغُ (بِهِ)⁽¹¹⁾ أَمَانِيهِ، وَلَا يَقْنَعُ مِنَ الْمَعْدِنِ بَدُونِ كَنْزِهِ، وَلَا مِنَ اللَّفْظِ إِلَّا بِفَهْمِ رَمْزِهِ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنَ الْأَلْفَاظِ قَدْ (ارْتَبَكَ)⁽¹²⁾ فِي أَغْمَاضِهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْإِعْتِرَاضِ،

(1) كَذَا فِي: (ع) و(س)، و(د)، وَفِي (و): (لِقَاء)، وَنَكْسَرُ بِهَا الْوِزْنَ. وَتَقْرَأُ (أَنَا) وَ(لِقَائِي) بِإِخْتِلَاسٍ الْمَدَ لِلْوِزْنِ.

(2) فِي (خ) وَ(و): (حُبِّهِ)، وَنَكْسَرُ بِهَا الْوِزْنَ.

(3) تَقْرَأُ أَنَا فِي عَجْزِ الْبَيْتِ بِإِخْتِلَاسِ الْمَدَ لِلْوِزْنِ.

(4) كَذَا فِي: (ع) و(س)، و(د)، وَفِي (و): (أَذْكَرَهَا).

(5) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (و).

(6) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (ع) و(س)، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ: (و) وَ(ب) وَ(د).

(7) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (ع) و(س) وَ(د)، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ: (و) وَ(ب).

(8) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (ع) و(س) وَ(د)، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ: (و) وَ(ب).

(9) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (ع)، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ: (و) وَ(ب) وَ(س) وَ(د).

(10) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (ع) و(س) وَ(د)، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ: (و).

(11) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (ع)، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ: (و) وَ(ب) وَ(س) وَ(د).

(12) فِي (ع): (ارْتَبَطَ)، وَفِي (ب): (ارْتَبَكَ)، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ: (و) و(س) وَ(د).

فمنهم الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ الْأَحْسَنَ⁽¹⁾ مِنْ جَوَامِعِهِ، وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ⁽²⁾، وَقَدْ عَجَزَ كَثِيرٌ عَنْ حَلِّهَا لِعِزِّ مَحَلِّهَا، فَمِنْهَا مَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ (وَالْأَخْبَارِ)⁽³⁾ الْمَشْهُورَةِ، وَمِنْهَا مَا جَاءَ فِي الْأَثَارِ الْمَأْثُورَةِ.

فمثال ما جاء في صريح الخبر الصَّحِيح، كقوله عليه السَّلام حاكياً عن الله سبحانه: "مَا وَسَّعَنِي سَمَاوَاتِي وَلَا أَرْضِي وَوَسَّعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ"⁽⁴⁾.

ومنها: "لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافُلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَلِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصِيراً"⁽⁵⁾، وفي حديث: "وَفُؤَاداً"، وفي حديث: "وَلِسَاناً وَيَدَا فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَبْطِشُ"⁽⁶⁾.

ومنها ما جاء في الحديث: "أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِنِي"⁽⁷⁾.
وفي الحديث: "مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتَهُ (هَزُولَةً)"⁽⁸⁾⁽⁹⁾.

(1) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: 18].

(2) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: 46]، وقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: 13].

(3) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

(4) إحياء علوم الدين: 15/3. وفيه برواية: "مَا وَسَّعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَاوِي. الْمُؤْمِنُ اللَّيْنُ الْوَادِعُ".
(5) نوادر الأصول، للترمذي الحكيم، عن أنس رضي الله عنه: 139/1، وأخرجه البخاري، الحديث: 6021 عن أبي هريرة بلفظ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا اقْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَافُلِ حَتَّى أَجِبُّهُ فَلِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرَجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا." الحديث.

(6) نوادر الأصول: 382/1.

(7) بحر الفوائد: 23/1، 252، 273، 274.

(8) في (ع): (أهرو)، والمثبت من: الصحيحين وكذا من: (و) و(ب) و(س) و(د).

(9) صحيح البخاري، الحديث: 6856، وصحيح مسلم: الحديثان: 4832 و4851، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومنها ما جاء بلفظ العِندِيَّة: "(تجدني)" ⁽¹⁾ عند المنكسرة قلوبهم من أجلي" ⁽²⁾.

وبلفظ المَعِيَّة كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ⁽³⁾.

وبلفظ الاتِّحاد كقوله لعبده في القيامة: "يا ابن آدم مرضت فلم تغدني، واستطعمتك فلم تُطعمني" ⁽⁴⁾ الحديث.

ومن ذلك ما أخبر به النَّبي صَلَّى الله عليه وسلَّم عن نفسه/2: "لست كأحدكم (إني) ⁽⁵⁾ أظل عند ربِّي يطعمني ويسقيني" ⁽⁶⁾، وكقوله صَلَّى الله عليه وسلَّم: "لي وقت لا يسعني فيه غير ربِّي" ⁽⁷⁾.

(1) كذا في (ع) و(ب) و(س) و(د): (تجدني)، وفي (و): (أنا).

(2) الهم والحزن لابن أبي الدنيا: 56، وفي حلية الأولياء، لأبي نعيم: (32/4) «عن وهب بن منبه قال، قال: داوود عليه السَّلام إلهي أين أجذك إذا طلبتك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي»، ومرواة المفاتيح، للقاري: 252/7. ومن الأحاديث الواردة أيضا بلفظ المعية ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة، قال صلى الله عليه وسلم قال تعالى: "أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت به شفتاه".

(3) الحديد: 4.

(4) في صحيح مسلم، الحديث: 2569، "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تغدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تغدني، أما علمت أنك لو غدتني لوجدتني عنده. يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي".

(5) في (و) و(س): (فإنما).

(6) مسند الإمام أحمد: الحديث: 4752، عن ابن عمر رضي الله عنهما، والحديث: 23133، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن بعض الصحابة.

(7) الرسالة القشيرية: 40.

وأما مثال ما/3/ جاء في الأثر، إمّا فتحاً⁽¹⁾ وإمّا شطْحاً⁽²⁾ كقول القائل: «أنا من أهوى ومن أهوى أنا»⁽³⁾، (وقول الآخر: «أنا الله»)⁽⁴⁾، وكقول الآخر: «ما في الجبّة إلاّ الله»⁽⁵⁾، وكقول الآخر: «سبحاني»⁽⁶⁾، وكقول الآخر: «ما أعظم شأني»⁽⁷⁾، فهذا كلّ وما شاكلة ومثله (من الألفاظ)⁽⁸⁾ القول فيها واحد لأنّها وإن اختلفت ثمارها وتنوّعت أزهارها لكنّها تُسقى بماء واحد، تُشير إلى محو الاثنين وثبوت الواحد. فقوم تلقّوه بالتّسليم وقابلوه بالقلب السّليم وحملوا ذلك على معنى قوله صلى الله عليه وسلّم: "إنّ من العلم كهَيْئَةِ المَخزُون لا يعلمه إلّا العلماء بالله فإذا نطقوا به لا يُنكره إلّا أهل الغرّة بالله»⁽⁹⁾ «⁽¹⁰⁾.

وقد بلغني عن قضيّب البان⁽¹¹⁾، وكان عظيم الشأن بالموصل، وكان قد برز

(1) الفتح: كل ما يفتح على العبد من الله تعالى من المعارف والمكاشفات، ومنه الفتح القريب والفتح المبين والفتح المطلق. (اصطلاحات الصوفية: 62).

(2) الشّطْح: قال ابن عربي: «عبارة عليها رائحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين»، (اصطلاحات الصوفية: 170)، وقيل: «عبارة تصدر من أهل المعرفة باضطراب واضطراب، وهو من زلات المحققين، فإنه دعوى حق يفصح بها العارف، لكن من غير إذن إلهي، بطريق يشعر بالتّباهة». (التعريفات، للشريف الجرجاني: 167).

(3) شطر بيت للحلاج (ت: 309هـ)، وعجزه قوله: نحن روحان حللنا بدنا (ديوانه: 166).

(4) غير وارد في: (ع) و(ب)، والمثبت من: (و) و(س) و(د)، والكلام لأبي يزيد البسطامي (ت: 261هـ)، وله أيضاً: «أنا الله لا إله إلاّ أنا فأغْبِظُن»، وينسب أيضاً للحلاج.

(5) لأبي يزيد البسطامي، وينسب أيضاً للحلاج.

(6) لأبي يزيد البسطامي.

(7) نفسه.

(8) غير وارد في: (ع) و(س)، والمثبت من: (و) و(ب).

(9) في (و) و(س): (تكلّموا به أنكره أهل الغرة بالله).

(10) في الفردوس بمأثور الخطّاب، للدبلي، الحديث: 802، عن أبي هريرة.

(11) هو أبو عبد الله الحسين بن أبي القاسم بن الحسين الموصلي من أولاد موسى الجون رضي الله عنه، لا يعرف إلا بقضيّب البان، قال عنه ابن الوردي في تاريخه (83/2): «أحد الأولياء المشهورين والنبلاء المذكورين له كرامات ظاهرة وأحوال فائخة». وقال عنه الإربلي في تاريخ إربل (371/1): «له كرامات تحكى عنه مشهورة يتداولها الناس تنافي العقل والشّرع»، صحب الشّيخ عبد القادر الجيلاني وصاهره على بنته خديجة، توفي سنة

للناس بالوله والاختلال وترك الصلوات، (وكان)⁽¹⁾ لا يأوي إلا إلى المزابل ولا يتوقى النجاسات، والناس مُتَجَرِّبون في أمره ومختلفون في حاله، فقوم يقولون: زنديق، وقوم يقولون صديق، فبينما قاضي المدينة يوماً من الأيام ماراً إلى داره إذ رآه على مزبلة وقد بال على ساقه، فقال القاضي في نفسه: تَبَّأ لمن جعلك صديقاً (إنما أنت زنديق)⁽²⁾، فما استتم القاضي خاطر حتى قال قضيب البان: يا قاضي هل أحطت (بجميع علم)⁽³⁾ الله؟ (فقال)⁽⁴⁾: لا والله.

قال: فأنا من ذلك العلم الذي لم تعلمه، وما عليك إن كنت صديقاً أو زنديقاً.

فلما رأيت هذه/4 الأقوال، الصادرة عن أهل الأحوال، وقد أُشْكِلَ على الأفهام تعليلها، وعَزَبَ⁽⁵⁾ عن الأوهام تأويلها، أحببت أن أشرح منها ما انشرح له صدري، وسنخ به فكري، وبلغ إليه قدري، وذكرته فيه من العبارة، ما ليس فيه استعارة، وقدمت (ذكر)⁽⁶⁾ هذه الأحاديث والآي وما معها من الألفاظ المأثورة عن الرجال، وجعلتها (أسأ)⁽⁷⁾ للكلام، وبينة لثبوت الأحكام، لتكون منوالاً أنسج عليها ما كان حالاً لا مُحالاً، وسميتها: حُلُّ الرُّمُوزِ وَمَفَاتِيحُ الكُنُوزِ.

وإنما سميتها بهذه التسمية لأنها تشير إلى المقام الأشرف المعروف منه:

573هـ، وأقبر بظاهر الموصل. (تاريخ إربل: 1/371 - 372).

(1) غير وارد في: (و) و(ب).

(2) غير وارد في: (ع) و(ب) و(س)، المثبت من: (و).

(3) في (ع) و(ب) و(س): (يعلم الله)، والمثبت من: (و).

(4) في (و): (قال له القاضي).

(5) عَزَبَ: غاب وفات، فكل شيء يفوتك حتى لا تقدر عليه فقد عَزَبَ عنك. (لسان العرب: 1/595).

(6) غير وارد في: (ع)، المثبت من: (و) و(س).

(7) في (و): (أساساً)، والأس: الأصل؛ أي الأساس.

"كُنْتُ كَنْزاً لَا أَعْرِفُ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْرِفَ"⁽¹⁾ ثُمَّ قَدَّمْتُ لِحَلِّ هَذِهِ الْأَشْكَالِ مَقْدَمَةً يَزُولُ بِهَا الْإِشْكَالُ إِذَا التَّتَائِجُ لَا تَظْهَرُ إِلَّا بِالْمَقْدِمَاتِ، وَالنِّهَايَاتِ لَا تَصَحُّ إِلَّا بِتَصْحِيحِ الْبِدَايَاتِ⁽²⁾، فَمَنْ صَدَّقَ فِي بَدَايَتِهِ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى حَقَائِقِ نَهَايَتِهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ بَنَى عَلَى أَسَاسٍ ثَبَّتَ عَمَلَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْقِيَاسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾⁽³⁾.
فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

(مقدمة)⁽⁴⁾

اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ مَقْدَمَةٌ نَتِيجَتُهَا الْعَمَلُ، وَالْعَمَلُ مَقْدَمَةٌ نَتِيجَتُهَا الْحَالُ⁽⁵⁾، فَالْعِلْمُ وَالْعَمَلُ (كَشْيَان)⁽⁶⁾ وَالْحَالُ وَهَبِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾⁽⁷⁾ فَالْمُجَاهَدَةُ عَلَى كَسْبِ الْعَبْدِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالْهُدَايَةُ مُوَاهِبِ اللَّهِ

(1) فِي التَّذَكُّرَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَشْتَهَرَةِ لِلزَّرْكَشِيِّ (1/136): «الْحَدِيثُ الْعَشْرُونَ "كُنْتُ كَنْزاً لَا أَعْرِفُ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْرِفَ فَخَلَقْتُ خَلْقاً فَعَرَّفْتَهُمْ بِي"». وَالْحَدِيثُ مَشْهُورٌ عِنْدَ الصُّوفِيَةِ اعْتَمَدُوهُ وَبَنُوا عَلَيْهِ أَصُولَهُمْ.

(2) يَقُولُ الْهَرَوِيُّ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَامَّةَ مِنْ عُلَمَاءِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَالْمَشِيرِينَ إِلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ النِّهَايَاتِ لَا تَصَحُّ إِلَّا بِتَصْحِيحِ الْبِدَايَاتِ، كَمَا أَنَّ الْأَيْنِيَّةَ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى الْأَسَاسَاتِ» (مَنَازِلُ السَّائِرِينَ: 4، وَرِاجِعْ شَرْحَهُ لِلْمَنَاوِي: 57). وَنَحْوُ هَذَا أَيْضاً قَوْلُ ابْنِ عَطَاءِ اللَّهِ السَّكَنْدَرِيِّ فِي حِكْمِهِ: «مَنْ أَشْرَقَتْ بَدَايَتُهُ أَشْرَقَتْ نَهَايَتُهُ» (الْحَكْمُ الصُّوفِيَّةُ: الْحِكْمَةُ رَقْمُ: 27)، وَأَمَّا مَعْنَى تَصْحِيحِ الْبِدَايَاتِ فَالْمُرَادُ مِنْهُ: «هُوَ إِقَامَةُ الْأَمْرِ عَلَى مَشَاهِدَةِ الْإِخْلَاصِ، وَتَابِعَةِ السُّنَّةِ، وَتَعْظِيمِ النَّهْيِ عَلَى مَشَاهِدَةِ الْخَوْفِ»، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْمُؤَلِّفُ فِي قَوْلِهِ: «كَمَا أَنَّ مَنْ بَنَى عَلَى أَسَاسٍ ثَبَّتَ عَمَلَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْقِيَاسِ».

(3) التَّوْبَةُ: 109.

(4) لَمْ تَرِدْ فِي جُلِّ النُّسخِ عِدا (س).

(5) وَنَحْوُ هَذَا قَوْلُ الْكَلَابَادِيِّ: «اعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الصُّوفِيَّةِ عِلْمُ الْأَحْوَالِ، وَالْأَحْوَالُ مُوَارِيثُ الْأَعْمَالِ، وَلَا يَرِثُ الْأَحْوَالُ إِلَّا مِنْ صَحِّحِ الْأَعْمَالِ». (التَّعْرِيفُ: 97).

(6) فِي (ع) وَ(س) وَ(د): (كَسْبِي)، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ: (و) وَ(ب).

(7) الْعَنْكَبُوتُ: 69.

سبحانه وتعالى في الأحوال/5، وهذا (كقوله)⁽¹⁾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من عمل بما علم وَرَّئَهُ اللهُ عِلْمٌ مَا لَا يَعْلَمُ"⁽²⁾ وَالَّذِي (أورثه)⁽³⁾ اللهُ لعبده لم يكن من كسبه بل بفضل الله ورحمته، وبذلك منَّ اللهُ تعالى على نبيه فقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾.

ثم اعلم أن مراتب السلوك إلى منازل الملوك ثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان.

فالإسلام أول مراتب الدين لعامة المؤمنين، ثم الإيمان أول مدارج القلب لخاصة المؤمنين. ثم الإحسان أول معارج الروح لخاصة المقربين.

وقد فسر ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المشهور الصحيح وهو ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "بينما نحن عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جلوس ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسند ركبته إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، فقال له: صدقت. فعجبنا منه يسأله ويُصدِّقه.

ثم قال: /6/ (فأخبرني)⁽⁵⁾ عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

قال: صدقت، فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". الحديث

(1) في (و) و(ب) و(س): (معنى قوله).

(2) حلية الأولياء: 15/10، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(3) في (ع): (يورثه)، وفي (د): (ورثه)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س).

(4) النساء: 113.

(5) في (ع): (أخبرني)، والمثبت من صحيح مسلم الحديث: 9.

ثُمَّ بَيَّن فِي آخِرِ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: "يَا عَمْرُ أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ؟
قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: ذَلِكَ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يَعْلَمُكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ"⁽¹⁾.

فَأَوَّلُ مَا يُفْتَحُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ السِّرِّ الْمَرْمُوزِ وَالْمَعْنَى الْمَلْغُوزِ، وَهُوَ أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ هُوَ الْفَاتِحَ لِهَذَا الْبَابِ، وَالسَّائِلَ عَنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ، وَالْمُتَأَدِّبَ بِهَذِهِ الْأَدَابِ، فَفِي ذَلَّةِ سُؤَالِهِ إِجْلَالٌ لِعِزَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالْمُتَعَلِّمِ بَعْدَ مَا كَانَ مُعَلِّمًا، وَلَا عَجَبُ إِذْ أَتَاهُ جَبْرِيلُ يَتَأَدَّبُ بِأَدَابِهِ وَيَقِفُ وَقُوفَ السَّائِلِ عَلَى بَابِهِ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَقَدْ خَلَفَهُ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَنَهَى⁽²⁾، وَانْتَهَى إِلَى خَصْرَةٍ لَيْسَ لَهَا مُنْتَهَى، وَجَلَسَ حَيْثُ لَا أَيْنَ عَلَى بَسَاطِ قَابِ قَوْسَيْنِ، وَتَعَلَّمَ مِنْ مُعَلِّمٍ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾⁽³⁾، ثُمَّ انْصَرَفَ مِنْ مَكْتَبِ: "أَدْبَنِی رَبِّی فَاحْسَنَ تَأْدِیبِی"⁽⁴⁾، فَتَلَقَّاهُ سَائِقُ الرُّوحِ الْأَمِينِ قَائِمًا عَلَى بَابِ "لَوْ تَقَدَّمْتُ قَدْرَ أَنْمَلَةٍ لَاحْتَرَقْتُ"⁽⁵⁾، فَنَادَاهُ بِذَلِكَ السُّؤَالِ: يَا مُحَمَّدُ كُنْتَ أَظُنُّ أَنِّي عَرَفْتُ اللَّهَ

(1) صحيح مسلم، الحديث: 9، وصحيح ابن حبان، الحديث: 168، وهذا الحديث كما قال الهروي: «فيه إشارة جامعة لمذاهب هذه الطائفة» (منازل السائرين: 5).

(2) سدرۃ المتنہی: شجرة عظيمة في الملأ الأعلى عندها ينتهي علم الخلائق. وكلام المؤلف عن المقام الذي خص به صلى الله عليه وسلم، مقام رؤية المعبود جلا وعلا، وهو المقام الرابع الذي سماه بمقام قاب قوسين أو أدنى. (الشجرة: 360).

(3) النجم: 10.

(4) التذكرة في الأحاديث المشتهرة: 160/1، وقال: «معناه صحيح»، والإمتاع، للعسقلاني: 97/1.

(5) مشكاة المصابيح، للتبريزي، الحديث: 5729، ويراجع شرحه في مرقاة المفاتيح للقاري (10/410)، وقصة اختراقه صلى الله عليه وسلم للحجب ليلة الإسراء والمعراج وتخلف جبريل عليه السلام متداولة كثيرا لهج بها القصص والوعاظ، ومن الحديث والقصة استمد المؤلف حين قال: «المركب الرابع» وهو جناح جبريل عليه السلام إلى سدرۃ المتنہی فتخلف عنه جبريل عليه السلام عندها، فقال: يا جبريل نحن الليلة أضيافك فكيف يتخلف المضيف عن ضيفه، أها هنا يترك الخليل خليفه؟

قال: يا مُحَمَّدُ، أَنْتَ ضَيْفُ الْكَرِيمِ وَمَدْعُو الْقَدِيمِ، لَوْ تَقَدَّمْتُ الْآنَ بِقَدْرِ أَنْمَلَةٍ لَاحْتَرَقْتُ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ». (الشجرة: 366).

قبلك، وأتني أقاس في الرتبة مثلك، وقد عرفت قدرك عند ربّي من قدري وإلى 7/ الله عُدري، فأنت في الحقيقة مُتَقَدِّمٌ وها أنا بين يديك مُتَعَلِّمٌ، أخبرني ما الإسلام؟ أخبرني ما الإيمان؟ أخبرني ما الإحسان؟

فجبريل في الحقيقة عَرِيفٌ⁽¹⁾ هذه الأئمة، في مكتب التّعليم من نبيّ الرّحمة.



فصل

وقد لمع لي من هذه النُّكته لمعة باهية وأنا أدلّك ما هي:

اعلم أنّه لَمَّا أدخل الله عباده مكتب التّعليم فتقدّم آدم من زمن تقادم فطالع لَوْحِ الْوُجُودِ وقرأ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾⁽²⁾، وطالع (سَيِّدَنَا)⁽³⁾ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)⁽⁴⁾ لَوْحِ الشُّهُودِ، فقبل له: (يا مُحَمَّدُ ما لك ولأسماء الخلائق وأنت صِفْوَةُ الْخَالِقِ) ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾⁽⁵⁾، فَلَمَّا كُتِبَ وَأُدِّبَ وَهُذِبَ قِيلَ⁽⁶⁾: يا مُحَمَّدُ قد تعرّفت إلينا بالأسماء والصفات فتعرّف إلينا بالذّات ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾⁽⁷⁾، فَلَمَّا غَابَ عَنِ الْأَسْمِ وَجَدَ الْمَسْمَى، وَلَمَّا أَعْرَضَ عَنِ الْفِعْلِ قَرَأَ الْحَرْفَ الْمُعْمَى، فَلَمَّا عَرَفَهُ اللهُ تَعَالَى بِحَقِّهِ رَفَعَهُ عَلَى سَائِرِ خَلْقِهِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽⁸⁾، فجاءهم بمثال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽⁹⁾، فقال أطفال التّعليم بلسان الاستسلام: يا مُحَمَّدُ ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟

فبيّن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أنّ آداب السُّلُوكِ في

(1) عريف: فعيل بمعنى فاعل، وهو التّقيب والخبير. (لسان العرب: 236/9).

(2) البقرة: 31.

(3) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(4) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(5) العلق: 1.

(6) غير وارد في: (و).

(7) العلق: 3.

(8) الأنبياء: 107.

(9) آل عمران: 19.

خدمة الملوك ثلاثة: (الإسلام والإيمان والإحسان)⁽¹⁾؛ فالإسلام قيام البدن بوظائف الأحكام، والإيمان قيام القلب بوظائف الاستسلام، والإحسان قيام الروح بمشاهدة العلام، ألا تراه يقول/8:

"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه" فتكون قائماً بوظائف العبودية مع شهودك إيائه، "فإن لم تكن تراه فإنه يراك" فتكون قائماً بوظائف العبودية مع شهوده إيائك، فأنت في الأول مُراد وفي الثاني مُريد؛ لأنه حين أرادك أشهدك إيائه وحين أردته كانت الإرادة منك له فلذلك حببك، فلو كانت الإرادة منه لك لما حببك، فإنه لا يُوصل إليه إلا به.

(يُروى عن داوود عليه الصلاة والسلام أنه قال)⁽²⁾: يا رب أين أطلبك؟

قال: يا داوود أنت من أول قدم فارقتني.

قال: يا رب وكيف؟

قال: لأنك جعلت الطلب منك إليّ، ولو جعلته مِنّي إليك لوجدتني.

قال أبو يزيد⁽³⁾: «تهت في بدايتي في ثلاثة أشياء، كنت أظن أنني أحبته وأنّي طلبته وأنّي ذكرته فرأيت ذكره لي قد سبق ذكره لي وطلبه لي سبق طلبي له وحبّه لي سبق حبي له فالكل (بمته)⁽⁴⁾ وبفضله».

ثمّ في الحديث معنّى (آخر خفي)⁽⁵⁾ يظهر لمن قلبه زكي في قوله: "فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، فقوله: "فإن لم تكن" هذا كلام تامّ وشرط تامّ، ثمّ قوله: "تراه" جزاء هذا الشرط، فمعناه: إن لم تكن أنت في التبين ولا (بقي)⁽⁶⁾ لك أثر في العين فإنك تراه.

(1) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(2) في (و) و(س): (قال داوود عليه السلام).

(3) هو أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامي، من أكابر الزهاد والعباد، توفي سنة 261 هـ. (الرسالة القشيرية: 28 - 29، وطبقات الأولياء لابن الملقن: 41).

(4) في (ع): (به)، والمثبت من: في (و) و(ب).

(5) غير وارد في: (ع)، وفي (س): (خفي)، والمثبت من: (و).

(6) غير وارد في: (ع) و(س)، والمثبت من: (و).

ثم أعلم أن هذه مراتب ثلاثة لا تصل إلى واحدة منها حتى تُحكّم ما قبلها⁽¹⁾،

ولكل واحد منها طريق معلوم وسلوك مقسوم، وأصل ذلك كله وملاكه التوبة⁽²⁾ لأن التوبة تجب ما قبلها، كما أن الإسلام يجب ما قبله⁽³⁾.

وصحّة التوبة مبنية /9/ على ثلاثة شروط⁽⁴⁾:

الأول: الندم على ما فات من المخالفات.

الثاني: القيام في الحال على أحسن الحالات.

الثالث: العزم على أن لا يعود إلى (قبيح)⁽⁵⁾ العادات.

فإن أخل بشرط من هذه الثلاثة فهو تائب نكاث.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "الندم توبة"⁽⁶⁾ فإنه إنما نصّ على معظم أركان التوبة لأن الندم وحده كاف في التوبة، كما قال صلى الله عليه وسلم في الحجّ: "الحجّ عرفّة"⁽⁷⁾، فما أراد به إلا معظمه لا أنه لا ركن في الحجّ إلا عرفّة،

(1) يتبين من كلام المؤلف عن التدرج في المقامات أنه على مذهب الهروي، في حين أن الجنيد يرى إمكان انتقال السالك من حال إلى حال وإن بقي عليه من التي نقل عنها بقية يصلحها في الحالة الثانية. (منازل السائرين: 4). وقد سار على هذا أيضا ابن الجوزية في مدارج السالكين.

(2) يراجع مقام التوبة في: منازل السائرين، للهروي: 7، والتعرف: 39، وإحياء علوم الدين: كتاب التوبة 2/4 - 60.

(3) فيه تلميح إلى حديث إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، الحديث: 18069، "عن حبيب بن أبي أوس قال حدثني عمرو بن العاص رضي الله عنه، فذكر الحديث في قصة إسلامه، قال: ثم تقدمت فقلت يا رسول الله أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم أذكر ما تأخر فقال لي يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله وإن الهجرة تجب ما كان قبلها فبايعته".

(4) يقول الهروي: «شرايط التوبة ثلاثة أشياء: الندم والاعتذار والإقلاع» (منازل السائرين: 7).

(5) في (ع): (أقبح)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س) و(د).

(6) إحياء علوم الدين: 3/4، و40.

(7) صحيح ابن خزيمة، الحديث: 2822 عن عبد الرحمان بن يعمر.

وإنما ذكر معظم أركان الحج وهو الوقوف بعرفة، ولا شك أن الندم معظم أركان التوبة لأن الندم أمر متعلق بالقلب والجوارح تبع للقلب، فإذا ندم القلب رجع عن المعاصي فرجعت برجوعه الجوارح، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح بها الجسد كله، وإذا فسدت فسد بها الجسد كله ألا وهي القلب"⁽¹⁾.

ثم اعلم أن التوبة على ثلاثة أقسام:

أولها: التوبة، ووسطها الإنابة، وآخرها الأوبة.

فمن تاب خوف العقوبة فهو صاحب توبة، ومن تاب رجاء المثوبة فهو صاحب إنابة، ومن تاب حفظاً وقياماً بالعبودية لا رغبة في الثواب ولا رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة، فالتوبة صفة المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾ 10/.

وفي هذه الآية إشارة خاصة وبشارة عامة؛ أما البشارة العامة فإنه عم الغصاة والطائعين والموافقين والمخالفين بلفظ الإيمان، وسماهم مؤمنين لئلا تميز قلوبهم من خوف القطيعة.

وأما الإشارة الخاصة ففيها أمر بالتوبة فأمرهم بالتوبة مع طاعتهم لئلا يعجبوا بطاعتهم فيصير عجبهم حجبهم فأمرهم بالتوبة فتساوى في ذلك الطائع والمعاصي، (ولذلك)⁽³⁾ قال صلى الله عليه وسلم: "توبوا فإنّي أتوب إلى الله في اليوم

(1) صحيح البخاري الحديث: 52 "حدثنا أبو نعيم حدثنا زكرياء عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحلّ بيتٌ والحرام بيتٌ وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات كراخ يرمى حول الحمى يوشك أن يُواقعه ألا وإن لكلّ ملك جنى ألا إن جنى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب".

(2) النور: 31.

(3) في (ع): (وكذلك)، والمثبت من: (و) و(ب).

مائة مرة⁽¹⁾.

وأما الإنابة فهي صفة الأولياء والمقربين، (قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾⁽²⁾.

وأما الأوبة فهي صفة الأنبياء والمرسلين⁽³⁾، قال الله تعالى: ﴿يَغْمُ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾⁽⁴⁾.

ثم اعلم أن توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من (غفلات)⁽⁵⁾ القلوب، وتوبة خاصة الخواص من كل شيء سوى المحبوب، فشتان بين التائب من الزلات وبين التائب من الغفلات، وبين تائب من رؤية الحسنات، وهذا معنى قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»⁽⁶⁾ لأن من عبد الله استحقاقاً لربوبيته

(1) السنن الكبرى، للنسائي الحديث: 10265، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وله ألفاظ أخرى في السنن.

(2) ق: 40.

(3) غير وارد في: (و).

(4) ص: 30، و: 44.

(5) في (ع) و(س): (غفلة)، والمثبت من: (و).

(6) ورد في صفة الصفوة (437/2): «عن علي بن حفص الرّازي قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول ذنوب المقربين حسنات الأبرار»، ونسبه ابن الحاج في المدخل 1 (66)، و (277) للإمام للجنيد، ويقول ابن الجوزي في معناه: «إن حسناتهم التي يأتون بها سيئات بالنسبة إلى مقام الخاصة فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فهم محتاجون إلى التوبة من هذه الحسنات، فلغفلتهم باستكثارها عن عيوبها ورؤيتها وملاحظتها هم جاحدون نعمة الله في سترها عليهم وإمها لهم كستره على أهل الذنوب الظاهرة تحت ستره لكن أهل الذنوب مقرون بستره وإمها له وهؤلاء جاحدون لذلك لأنهم قد توفرت همهم على استكثارهم من الحسنات دون مطالعة عيب النفس والعمل والتفتيش على دسائسهما وأن الحامل لهم على استكثارها رؤيتها والإعجاب بها ولو تفرغوا لفتيشها ومحاسبة النفس عليها والتمييز بين ما فيها من الحظّ والحق لشغلهم ذلك على استكثارها ولأجل هذا كان من عدم الحضور والمراقبة في العمل خف عليه واستكثر منه فكثر في عينه وصار بمنزلة العادة فإذا أخذ نفسه بتخليصها من الشوائب وتنقيتها من الكدر وما في ذلك من شوك الرّياء وشبرق الإعجاب وجمعية القلب والهم على الله بكلية وجد له ثقلاً كالجبال وقُلّ في عينه ولكن إذا وجد حلاوته سهل عليه حمل أثقاله والقيام بأعبائه والتلذذ والتّنعيم به مع ثقله» (مدارج السالكين: 1/257).

وقياماً بعبوديته لا رغبة في جنّته ولا خوفاً من ناره، فعنده ملاحظة الثواب ورؤية العقاب نقص؛ لأنّه خاف ما سوى الله وترجّى غير مولاه، وإنّما خوفه هيبه منه ورجاؤه ثقة به، وقد جاء في الإسرائيليات أنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: «يا داود إنّ أحبّ/11/ الأحبّاء إليّ من عبدني لغير نوال بل ليُعطي الرُّبوبة حقّها، ومن أظلم ممّن عبدني لجنّة أو نار، يا داود إنّما خلقت النّار سيّاطاً لأسوأ عبادي أسوقهم (بها)⁽¹⁾ إلى خدمتي، وخلقّت الجنّة لمُتوسّلي عبادي أوصلهم إلى جوارِي وقربي، يا داود لو لم أخلق جنّة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع وأعبد محبّة لي؟».

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يكون أحدكم كالعبد السّوء إنّ خاف عمل أو كالأجير السّوء إنّ لم يُعطَ لم يعمل"⁽²⁾.

ويظهر من هذا المعنى سرُّ قوله صلى الله عليه وسلم: "نعم العبدُ ضُهِيبٌ لو لم يخف الله لم يعصه"⁽³⁾، فهذا في لفظه إشكال، وتفسير ذلك وتحقيقه أنّه أثنى عليه بقوله: "نعم العبد"، فلو كان عصى ما استحقّ المدح، وقد علّق وجود المعصية على وجود الخوف، فقد ثبت أنّه ما عصى فعلمنا أنّه ما خاف، فتزكّه للمعصية لم يكن خوفاً من عقوبته بل رعايةً لمحبّته.

ووجه آخر في تفسيره؛ وهو أنّ الهاء في "يُعصيه" ضمير عائِد على "ضُهِيبٍ"⁽⁴⁾ فمعناه: لو لم يخف الله لم يعص نفسه.



(1) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(2) قوت القلوب: 455/1، وإحياء علوم الدين: 306/4.

(3) قال السّخاوي في المقاصد الحسنة (235/1): «اشتهر في كلام الأوّلين وأصحاب المعاني والعريّة من حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه». وذكره محمد بن قتيبة في "مشكل الحديث" بدون إسناد وقال: «أراد أنّ ضُهِيباً إنّما لم يُعصِ الله حبّاً لا مخافة عذابه».

(4) هو ضُهِيب بن سنان الصّحابي رضي الله عنه، من متقدمي الإسلام شهد بدراً وباقي المشاهد توفي بالمدينة في شوال سنة 38 للهجرة ودفن بالبقيع. (الاستيعاب لابن عبد البر: 726/2 - 733، أسد الغابة للجزري: 38/3 - 41).

فصل

واعلم أن السالك إذا صدق في توبته لزمته المجاهدة واستعمال جوارحه في (الطاعات)⁽¹⁾، فإذا دام العبد على المجاهدة أثمرت له حركات ظاهرة وبركات باطنة، فإن حركات الظاهر توجب بركات الباطن؛ لأن الله تعالى جعل بين الأجساد والأرواح رابطة ربّانية/12/ (وعلاقة)⁽²⁾ روحانية؛ فلكلٍ منهما ارتباط بصاحبه وتعلّق به يتأثر بتأثر صاحبه.

فإذا عملت الجوارح بالطاعات (أثر)⁽³⁾ ذلك على قلبه فيخشع قلبه وتصفو روحه وتزكو نفسه، وإذا أخلص القلب بالطاعة (أثر)⁽³⁾ ذلك على جوارحه فاستعملها في مصالحه. ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول لذلك الرجل الذي رآه يعبد في صلاته: "لو خشع قلبُ هذا لخشعت جوارحه"⁽⁴⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: "من أخلص لله أربعين صباحاً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه"⁽⁵⁾. فلزوم المجاهدة يوصل إلى حضرة المشاهدة. ألا تراه يقول سبحانه وتعالى لنبيه وحبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا﴾⁽⁶⁾.

فإذا كان مقصود الوجود⁽⁷⁾ لا يصل إلى المقام

(1) في (ع) و(ب) و(س): (الطاعة)، والمثبت من: (و).

(2) كذا في (ع) و(س)، وفي (و): (علامة).

(3) في (ع) و(س): (أثمر)، والمثبت من: (و) و(ب) و(د).

(4) السنن الكبرى، الحديث: 3692، عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه.

(5) أخرجه ابن المبارك في (الزهد: 359) «عن مكحول، قال: "قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "من أخلص لله العبادة أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه"، وبهذا

اللفظ أيضاً أخرجه أبو نعيم في الحلية: 349/2.

(6) الإسراء: 73.

(7) نحو هذا أيضاً قول المؤلف: «هو المقصود من كلّ الوجود لأنّ الوجود لما كان شجرة كان

ثمّرتها، وكان هو جوهرتها» (الشجرة: 357). وقوله أيضاً: «وكُلُّ ما يحدث في شجرة الكون

من نموّ وزيادة وأزهار وأثمار وأفكار (...) كلّ ذلك من لقاء الغصن المحمّدي متوقّداً، من

نوره مستمد، من نماء نهر كوثره مُغذّي بلبان بَرّه» (الشجرة: 343)، وقوله: «أنت مُراؤ الإرادة

المحمود⁽¹⁾ إلا بالركوع والسجود، فكيف يطمع في الوصول من ليس معه محصول؟ قال أبو عثمان المغربي⁽²⁾: «كلُّ من ظنَّ أنَّه يُفتَحُ عليه شيء من هذه الطريقة أو يُكشَفُ له عن شيء منها بغير لزوم المُجاهدة فهو في غرور وغلط»⁽³⁾.

وقال أبو يزيد البسطامي رحمة الله عليه: «مكثتُ اثنتي عشرة سنة حَدَّادَ نفسي وخمس سنين كنت مرآة قلبي وسنة أنظر في ما بينهما، فإذا في وسطي زُنَّار فَعَمِلْتُ في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطعه فقطعته فكشفت لي فنظرتُ إلى الخلق فرأيتهم موتى فكَبَّرْتُ/13/ عليهم أربع تكبيرات»⁽⁴⁾.

ومعنى هذا الكلام والله أعلم: أنَّه عَمِلَ في مجاهدة نفسه وإزالة أذغالها⁽⁵⁾ وخبثها وما حُشيت به من العُجب والكِبَر والجِرس والحقد والحسد وما شابه ذلك ممَّا هو من مألوفات النَّفس. فعمد إلى إزالة ذلك بأن أدخل نفسه إلى كِبَر⁽⁶⁾

ومقصود المشيئة، فالكلُّ مُراد لأجلك، وأنت مُراد لأجله» (الشجرة: 362).

(1) المقام المحمود: هو الذي أَراده الله عز وجل في قوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مُمَكِّدًا﴾ [الإسراء: 7]، وهو مقام الشفاعة يوم القيامة. وهو مقامه الثاني صلى الله عليه وسلم بعد ظهور جسمانيته إلى الوجود، وبعد أن نُقل من المقام الأول مقام الوجود في الدنيا، ثم نقل من المقام الثاني إلى المقام الثالث وهو مقام الخلود في الجنة، ثم المقام الرابع مقام الشُّهود، مقام قاب قوسين لرؤية المعبود. (الشجرة: 357).

(2) هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي من كبار الزُّهَّاد في عصره، توفي بنيسابور سنة 373 هـ. (طبقات الأولياء: 40/1).

(3) الرسالة القشيرية: 98 - 99.

(4) نفسه: 99.

(5) أذغالها: الدَّغْلُ، مُحَرَّكَ دَغَلٌ في الأمرِ مُفْسِدٌ. جمعه أذغالٌ ودغَالٌ. وَمَكَانٌ دَغَلٌ. وأذغَلٌ في الأمرِ أَدْخَلَ ما يُفْسِدُهُ. (القاموس المحيط: 93/3).

(6) الكبر: زق ينفخ فيه الحداد، يجمع على أكيار وكِيزَة. (القاموس المحيط: 3/2). وفي الحديث الذي أخرجه مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه، الحديث: 2451 قال: "إنَّ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال يأتي على النَّاسِ زمانٌ يدعو الرَّجلُ ابنَ عَمِّه وقريبه هَلُمَّ إلى الرَّخاءِ هَلُمَّ إلى الرَّخاءِ والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرجُ منهم أحدٌ رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ألا إنَّ المدينةَ كالكبرِ تخرجُ الخبيثَ لا تقوم الساعةُ حتَّى تنفِي المدينةُ شرارها كما ينفِي الكِبَرُ خَبَثَ الحَديدِ".

التَّخْوِيفِ ثُمَّ طَرَقَهَا بِمَطَارِقِ الْأَمْرِ وَالتَّهْيِي حَتَّى أَجْهَدَهُ ذَلِكَ وَظَنَّ أَنَّهَا قَدْ تَنْظَّفَتْ وَتَخَلَّصَتْ، ثُمَّ نَظَرَ فِي مِرَاةٍ إِخْلَاصَ قَلْبِهِ فَإِذَا بَقَايَا مَا فِيهَا مِنَ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ وَهُوَ الرِّيَاءُ وَالنَّظَرُ إِلَى الْأَعْمَالِ، وَمِلَاحِظَةُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالتَّشَوُّفُ إِلَى الْكِرَامَاتِ وَالْمَوَاهِبِ، وَهَذَا شَرِكٌ فِي الْإِخْلَاصِ عِنْدَ أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ، وَهُوَ الزُّنَارُ⁽¹⁾ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ فَعَمِلَ فِي قِطْعِهِ؛ يَعْنِي قَطَعَ نَفْسَهُ وَفَطَمَهَا عَنِ الْعَلَائِقِ وَالْعَوَائِقِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْخَلَائِقِ حَتَّى أَمَاتَ مِنْ نَفْسِهِ مَا كَانَ حَيًّا، وَأَحْيَى مِنْ قَلْبِهِ مَا كَانَ مَيِّتًا حَتَّى ثَبَّتَ قَدَمَهُ فِي شُهُودِ الْقَدَمِ وَأَنْزَلَ مَا سِوَاهُ مِنْزِلَةَ الْعَدَمِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ كَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ عَلَى الْخَلْقِ وَانْصَرَفَ إِلَى الْحَقِّ.

ومعنى قوله: «كَبَّرْتُ عَلَى الْخَلْقِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ»؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ يَكْبِّرُ عَلَيْهِ أَرْبَعًا وَلِأَنَّ حِجَابَ الْخَلْقِ عَنِ الْحَقِّ أَرْبَعٌ: النَّفْسُ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانُ وَالْدُّنْيَا⁽²⁾ فَأَمَاتَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ وَرَفَضَ شَيْطَانَهُ وَدُنْيَاهُ؛ فَلِذَلِكَ كَبَّرَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ فَنَى عَنْهُ تَكْبِيرَةً/ 14/ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَكْبَرُ، وَمَا سِوَاهُ أَذَلُّ وَأَصْغَرُ.



فصل

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَى مَنَازِلِ الْقُرْبَاتِ حَتَّى تَقْطَعَ سِتَّ عَقَبَاتٍ.

(1) الزُّنَارُ: الحزام، خيط يشده الذِّمِّي عَلَى وَسْطِهِ. (أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: 277).

(2) قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: «جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ. أَوْدَعَ قَلْبَهُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ وَهِيَ: الْمَعْرِفَةُ وَالْعَقْلُ وَالْأَسْمَاءُ وَالْيَقِينُ، . وَسَلَطَ عَلَى قَلْبِهِ أَرْبَعَةَ أَعْدَاءَ وَهَمٍّ: إِبْلِيسَ وَالْهَوَى وَالنَّفْسَ وَالْدُّنْيَا» (بِسْتَانُ الْوَاعِظِينَ: 24)، وَهِيَ ذَاتُهَا مَا سَمِيَ فِي التَّصَوُّفِ الشَّاذِلِي بِالْقَوَاطِعِ عَنِ الْوَلَايَةِ، وَتَنَاوَلَهَا ابْنُ عَطَاءٍ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ، قَالَ ابْنُ عَجِيبَةَ: «اعْلَمْ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى جَعَلَ بِحُكْمَتِهِ الشَّيْطَانَ وَالنَّفْسَ وَالنَّاسَ حُرَّاشٍ الْحَضْرَةَ فَلَا يَدْخُلُ الْحَضْرَةَ حَتَّى يَخْرُقَ فِيهِمْ وَيَجُوزَ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ وَاقِفُونَ بِالْبَابِ وَكَلَّمَهُمُ اللَّهُ بِبَابِ حَضْرَتِهِ وَقَالَ لَهُمْ: لَا تَتْرَكُوا أَحَدًا يَدْخُلُ إِلَّا مَنْ يَغْلِبُكُمْ، فَوْقُوا بِالْبَابِ فَإِذَا جَاءَ مَنْ يَرِيدُ الدُّخُولَ تَعَرَّضْ لَهُ الْخَلْقُ فَيَعِيبُونَ لَهُ الطَّرِيقَ وَيُنْكِرُونَ مَنْ يَعْرِفُهَا فَإِذَا غَلِبَهُمْ جَاءَهُ الشَّيْطَانُ يُطَوِّلُ عَلَيْهِ مَدَّةَ الْفَتْحِ وَيُخَوِّفُهُ مِنَ الْفَقْرِ يَقُولُ لَهُ: مَتَى يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكَ قِيلَ يَكُونُ وَقِيلَ لَا يَكُونُ فَإِذَا غَلِبَهُ وَزَادَ تَعَرَّضَتْ لَهُ النَّفْسُ تَقُولُ لَهُ: كَيْفَ تَتْرَكَ دُنْيَاكَ وَجَاهَكَ وَعَزَّكَ إِلَى شَيْءٍ يَكُونُ أَوْ لَا يَكُونُ، فَإِذَا غَلِبَهَا قَالَ لَهُ الْحَقُّ تَعَالَى مَرْحَبًا بِكَ وَأَهْلًا». (إِقَاطُ الْهَمِّ: 235/1).

العَقْبَةُ الأولى: فَطَمَ الجوارح عن المخالفات الشرعية.
 العَقْبَةُ الثانية: فَطَمَ النَّفْسَ⁽¹⁾ عن المألوفات العادية.
 العَقْبَةُ الثالثة: فَطَمَ القلب عن الرُّعُونات⁽²⁾ البشرية.
 العَقْبَةُ الرابعة: فَطَمَ النَّفْسَ عن الكُدورات الطَّبِيعِيَّةِ.
 العَقْبَةُ الخامسة: فَطَمَ الرُّوحَ عن البُخارات الحِسِّيَّةِ.
 العَقْبَةُ السادسة: فَطَمَ العقل عن الخيالات الوهميَّةِ.
 فَتُشْرِفُ من العقبة الأولى على ينابيع الحكم القلبية.
 وتطلَّعَ من العقبة الثانية على أسرار العلوم اللدنيَّةِ.
 وتلوح لك في العقبة الثالثة أعلام المناجاة الملكوتية.
 وتلمع لك في العقبة الرابعة أنوار المنازلات القُربِية.
 وتلمع لك في العقبة الخامسة أعمار المشاهدات الحبيبية.

وتَهْبِطُ من العقبة السادسة على رياض الحضرة القدسية، فهناك تغيب بما
 تشاهد من اللطائف الأُتْسِيَّةِ عن الكثائف الحِسِّيَّةِ، فإذا أَرَادَكَ لخصوصية الاصطفائية
 سقاك بكأس محبته شربة فتزداد بتلك الشربة ظمأً وبالذَّوق شوقاً وبالقرب طلباً
 وبالسُّكون قلقاً، وقلت في ذلك:

(1) للمؤلف إطلاقات أخرى للنفس منها: "الكعبة" و"خضراء الدِّمَنِ" (الفتوحات الغيبية: 68، 70)،
 يقول: «فَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى كَعْبَةٍ إِنْ طَهَّرْتَهَا حَصَلَتْ لَكَ الْقُرْبَةُ، وَمِنْ عَرَفَهَا عَرَفَ رَبَّهُ. فَإِنْ أَدِنَ
 لَكَ بِالذُّخُولِ إِلَى بَيْتِهِ الْمَعْمُورِ فَقَدِمَ نِيَّةَ الْحُضُورِ، وَطَهَّرَهُ مِنَ الْمَئِينِ وَالزُّورِ، وَصَفَّهِ مِنَ الشَّيْنِ
 وَالْكُدُورِ، وَنَقَّاهُ مِنَ الرُّيْنِ وَالْفُجُورِ، وَعَمَّرَهُ بِالذِّكْرِ فَإِنَّكَ تَجِدُ الْمَذْكُورَ، وَأَخْلَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَإِنَّهُ
 غَيُورٌ وَاحْجُبْهُ عَنْ كُلِّ رَائِحٍ وَغَادٍ».

(2) الرُّعُونات: مفرداها رُعونة وهي الحُمق. (لسان العرب: 821/13)، وفي اصطلاح القوم:
 «الرُّعُونَةُ الْوُقُوفُ مَعَ حِظْوِظِ النَّفْسِ وَمَقْتَضَى طَبَاعِهَا» (اصطلاحات الصوفية: 32).

[الطويل]

يَزِيدُ ظَمَاءَهُ كُلَّمَا ارْزَادَ شُرْبُهُ
 مِنَ الْحَبِّ فَاعْجَبَ مِنْهُ ظَمآنٌ فِي شُرْبِ
 وَأَعْجَبَ مِنْهُ قُرْبُهُ لِحَبِيبِهِ
 وَيَزْدَادُ بِالْقُرْبِ اشْتِيَاقاً إِلَى الْقُرْبِ /15/
 فَلَا الشُّرْبُ يَزْوِي لَا وَلَا الْقُرْبُ يَشْتَفِي
 بِهِ الْقَلْبُ بَلْ يَزْدَادُ كَرْباً عَلَى كَرْبٍ
 وَلَيْسَ شِفَاءُ الْقَلْبِ إِلَّا فَنَاءُهُ
 لِأَخْبَابِهِ فَاسْلُكْ بِهِ سُنَّةَ الْحُبِّ

فإذا تمكن منك هذا السكر أدهشك، فإذا أدهشك حيرك، فأنت ها هنا مُريد
 فإذا أدام لك تحريك أخذك منك وسلبك عنك فتبقى ثم مسلوباً مجذوباً فأنت حينئذ
 مُراد إذ أنت معه بلا أنت وعنده بلا أين مشاهده بلا كيف.

فإذا فَيِنْتُ ذاتك وذهبت صفاتك قام بصفاته عن صفاتك، وبيقائه عن فئاتك
 وخلع عليك خلعة "فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَنْبُطُشُ"، فيكون هو مُتَوَلِّيك
 ومُؤَالِيك، فإن نطقت فبأذكاره، وإن نظرت فبأنواره، وإن تحركت فبأقداره، وإن
 بطشت فباقتداره، فهناك ذهبت الإثنية واستحالت البينية، فإن رسخ قدمك وتمكن
 سرُّك حال سكرك، قلت: «هُوَ»، وإن غلب عليك وجدك وتجاوز بك سكرك عن
 حدِّ الثبوت، قلت: «أَنَا»، فأنت في الأول مُتَمَكِّن، وفي الثاني مُتَلَوِّن.

ومن هنا أُشْكِلَ على الأفهام حلُّ رمز هذا الكلام فقائل يقول: زنديق فيقتل.
 وقائل يقول: صديق فيحمل، وقائل يقول: مغلوب عليه فيهمل، فهو من حيث
 تحقيق حاله متحقق في علمه وأفعاله، والذي حكم بقتله مصيب في حكمه/16/ إذ
 الشريعة لها حدود، فمن تعدّاها أُقيمت عليه الحدود، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ
 حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾⁽¹⁾.

والحقيقة لها شهود خارج عن طَوْرِ هذا الوجود. وما مثال ذلك، من غير

رواية، والله المثل الأعلى، إلا مثال مَلِكٍ أَوْقَفَ أحد عبده على بابه وأمره بلزوم مقامه وأن لا يتجاوز حدَّ المَحْدود له وأمره أَنْ من تعدَّاه وأراد الدُّخول إلى المَلِكِ والتَّجَاوُزَ عن ذلك الحدِّ أن يقتله أو يُؤدِّبَه ويمنعه الدُّخول. ثُمَّ اختَصَّ عبداً آخرَ وأذِنَ له أن يدخل عليه ويتجاوز إلى حَزْمه ويطلُّع على سرِّه بغير إذن ولا مُشاورة من هو واقف على الباب، فلمَّا أراد الدُّخول منعه ذلك المأمور له بالمنع، فلمَّا دخل بغير إذنه وتجاوز الحدَّ قتله، فالقاتل في الحقيقة مجتهد مُصيب بإمضاء أمر المَلِكِ والوقوف عند حدوده، والمَقْتول شهيد مرحوم مقرَّب غير مُتعدٍّ في فعله بما خَصَّه به المَلِكِ وأذِنَ له في الدُّخول عليه بغير إذن والإِطْلَاع على سرِّه ومُشاهدة جميل معانيه.

فهذا شأن هذه الشريعة في إقامة الحُدود ومحافظة العهود، وهذا شأن أهل الحقيقة في خصوصية الشُّهود ومشاهدة المعبود.

فالشريعة إقامة بوظائف العبودية، والحقيقة مشاهدة الرُّبوبية، فالشريعة مجاهدة والحقيقة مشاهدة ولا تباين بينهما إذ هما متلازمان، إذ الطَّرِيق إلى الله تعالى لها ظاهر وباطن، فظاهرها الشريعة وباطنها/17/ الحقيقة، فبطون الحقيقة في الشريعة كَبُطُون الزَّبَدِ في لَبْنِه والكَنْز في معدنه، فبدون مَخْضِ اللَّبَنِ أو حفر المعدن لا يظفر من اللَّبَنِ بزبد ولا يفوز من المعدن ببلوغ قصده.

فالمراد من الشريعة والحقيقة إقامة العبودية على الوجه المُراد منك، وكلُّ شريعة لا حقيقة لها فهي عاطلة، وكلُّ حقيقة لا شريعة لها فهي باطلة. ومصدق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحارثة: " يَا حَارِثَةُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً، فقال: إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً فما حقيقة إيمانك؟ فقال: يا رسول الله عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَاسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ وَإِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَعَاوُونَ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام: عَرَفْتَ فَالزَّمْ"⁽¹⁾.

(1) مصنف ابن أبي شيبة، الحديث: 30425، وشعب الإيمان، الحديث: 10195، والمعجم الكبير: 3289، عن الحارث بن مالك الأنصاري.

فالشريعة حق والحقيقة حقيقتها، فالشريعة القيام بالأوامر، والحقيقة مُشاهدة الأمر، فالحقيقة والشريعة يجمعهما كلمتان وهو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽¹⁾، فـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ شريعة، و﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حقيقة.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانُ عِلْمُ الظَّاهِرِ لِلشَّرِيعَةِ، وَعِلْمُ الْبَاطِنِ لِلْحَقِيقَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " الْعِلْمُ عِلْمَانِ؛ عِلْمٌ بِاللِّسَانِ وَعِلْمٌ بِالْقَلْبِ، فَأَمَّا عِلْمُ اللِّسَانِ فَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَأَمَّا عِلْمُ الْقَلْبِ فَهُوَ الْعِلْمُ الْأَعْلَى الَّذِي لَا يَخْشَى اللَّهُ الْعِبَادُ/18/ إِلَّا بِهِ"، فَعِلْمُ الْقَلْبِ هُوَ الْعِلْمُ اللَّذَنِي الَّذِي لَمْ يُسْطَرَّ فِي الطُّرُوسِ، وَلَمْ يُحْفَظْ فِي الدُّرُوسِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَلْقِينُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ مَلَكَ وَلَا سِفَارَةٍ رَسُولٍ⁽²⁾.

كَمَا أَنَّ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِلِمَ بِالْعِلْمِ اللَّذَنِي مَا لَمْ يَعْلَمْهُ مُوسَى بِالْعِلْمِ الْوَحْيِيِّ، فَقَتَلَ تِلْكَ النَّفْسَ الزَّكَيَّةَ بِغَيْرِ نَفْسٍ هَذَا عَلَى ظَاهِرِ الشَّرْعِ عُدْوَانِ مُحَضٍ لَكِنْ ظَهَرَ تَحْقِيقُ فَعْلِهِ بِعِلْمٍ آخَرَ لَدُنِّي لَمْ يُنْقَلْ مِنَ الْكُتُبِ وَالْأَوْرَاقِ، وَإِنَّمَا جَاءَ وَحِيًّا مِنَ الْمَلِكِ الْخَلَّاقِ، فَوَجِبَ عَلَى مُوسَى إِنكَارُ ذَلِكَ وَاسْتِقْبَاحُهُ قِيَامًا بِالْحُدُودِ وَعَمَلًا بِالشَّرِيعَةِ إِذْ هُوَ (مُشْرِعٌ)⁽³⁾ وَمُقْتَدِيٌّ بِهِ فَلَوْ سَكَتَ عَنِ الْإِنكَارِ لَاسْتَحَقَّ الْإِنكَارَ؛ وَلِذَلِكَ تَأَذَّبَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾⁽⁴⁾، وَهَذَا غَايَةُ الْأَدَبِ مِنَ الْخَضِرِ لِأَنَّهُ عِلِمَ أَنَّهُ يَرَى مِنْهُ مَا لَا تَقْرَأُ الشَّرِيعَةُ فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ عَلَى مَا يَخَالِفُ الشَّرِيعَةَ.

ثُمَّ لَمَّا أَعْلَمَهُ الْخَضِرُ بِمَا لَمْ يَدْخُلْ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ عِلِمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الشَّرِيعَةَ جَسَدٌ وَالْحَقِيقَةُ رُوحٌ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلشَّرِيعَةِ سَفِينَةٌ غَرَقَ مَلَأَحَهَا.

فَإِنْ قَالَ لَكَ قَائِلٌ: فَكَيْفَ تَصَحُّ دَعْوَى مَنْ ادَّعَى الْإِنَانِيَّةَ؟ وَكَيْفَ تُؤَوَّلُ؟

(1) الفاتحة: 5، وقد ألفت انطلاقاً من فهمهما المذكور تأليف في غاية النفاسة، من أهمها: "منازل

السائرين" للهروي، وشرحه: "مدارج السالكين" لابن القيم الجوزية.

(2) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 282].

(3) في (ع): (متشرع)، والمثبت من: (و) و(س) و(د)، وفي (ب): (متبوع).

(4) الكهف: 67، و72، و75.

وعلى أي شيء تُحمل؟ وما نظير ذلك في الخارج؟ وأمثاله في المحسوس لتقبله العقول وتُسَلِّمه النفوس؟

فأقول: اعلم أن المحبة لطيفة روحانية تستولي بلطف روحانيته على كثيف جُثمانية المحب، فيذهب اللطيف الكثيف، وتتلاشى الجُثمانية بالروحانية/19/ لقوة سلطان المحبة، وذوب المحب تحت قهرها، فإن لئارها احتكاما، ولسلطانها اضطلاما⁽¹⁾، فإذا أذنت بحربها، تُدمر كل شيء بأمر ربها، فمُحال أن يثبت مع المحبة سواها، أو يثوي ماثواها. وما مثال فناء المحب في بقاء المحبوب إلا مثال النار إذا استولت بلطافة روحانيته على كثافة جُثمانية الخشب والحطب فتفنى بشرية الحطب وتبقى روحانية اللهب فالذي تشاهده من الدخان الصاعد من الخشب في بداية استلاء النار عليه، فإذا استحكمت النار ذهبت ذاتية الخشب وانقطع الدخان، فكذلك ما يتصاعد من بخارات حسيك وخيالات نفسك في بدايتك، فإذا دام لك استيلاء نار المحبة ذهبت ذاتية صفاتك، وقامت بصفاتنا عن صفاتك، وبوجودها عن وجودك.

ومثال كُمون المحبة في ذاتية المحب وسلب ذاتية المحب عن صفاتها ككُمون النار في ذاتية الماء الحار فأن تظنه في الصورة ماء يغرق، وهو في الحقيقة نار تحرق فلو أدنيت منه شيئا لأحرقه.

فإن قلت: إن المحرق هو النار فأين الماء؟

وإن قلت: إن المغرق هو الماء فأين النار؟ ولقد أشرت إلى ذلك فقلت:

[الكامل]

نَارُ الْمَحَبَّةِ أَحْرَقَتْ أَخْشَائِي وَمَدَامِعِي تَنْهَلُ كَالْأَنْوَاءِ
فَأَنَا الْحَرِيقُ بِأَضْلَمِي وَأَنَا الْغَرِيدُ قَى بِأَذْمُعِي يَا مُنْقَذَ الْغُرَقَاءِ /20/
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ نَارَ (تَحْرِقِي)⁽²⁾ تَزْدَادُ وَقَدْأَ عِنْدَ فَرْطِ بُكَائِي

(1) اصطلم: قال ابن عربي: «الاصطلام: نعت وَلَمْ يَرِدْ عَلَى الْقَلْبِ فَيَسْكُنُ تَحْتَ سُلْطَانِهِ» (اصطلاحات الصوفية: 175، ويراجع في رشح الزلال للقاشاني: 238).

(2) في (ب): (معجتي).

فَالنَّارُ وَالْمَاءُ الْقَرَّاحُ تَأَلَّفَا هَذَا لَعَمْرِي أَعْجَبُ الْأَشْيَاءِ⁽¹⁾
 فإن قلت: فكيف ينبغي للقديم أن يحل في الحادث؟ وكيف يجوز
 للمخلوق أن يتصف بصفات الخالق؟ وما وجه قوله تعالى: "كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا،
 فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يَبْصُرُ"؟

فأقول: ألا ترى أن النار كيف كست صفتها للماء بواسطة الحجاب حتى
 عاد الماء في الصورة ماء، وفي المعنى عاد نارا يفعل فعل النار في إحراقها من غير
 أن تحيِّز النار في ذات الماء، ولا اتَّصلت به ولا مازجته ولا جانسته، فهي متصلة
 بالصفات، منفصلة بالذات، وإنما بواسطة قرب الماء من النار كسته صفتها النارية
 فصار محرقا. وكذلك الحق سبحانه وتعالى بواسطة قرب عبده منه وإقباله عليه
 كساه سبحانه وتعالى صفة الباقية من غير تحيِّز ولا اتصال ولا انفصال، ويضرب الله
 الأمثال⁽²⁾.



فصل

واعلم أن المحبوب أبداً يسلُبُ بلطافة خاصيته خاصة محبه، ويجذب
 أجزائها إليه بقوة سلطانه عليه، كما أن المغناطيس تعلقت به أجزاء الحديد
 وانجذب إليه بذاته فهو يدور معه كيف ما دار، وينجذب إليه حيثما سار، فمن
 أوصاف المحب الميل الدائم بالقلب الهائم، ومخالفة اللائم. وقلت في معنى ذلك:
 [الرمل]

أَيُّهَا الْعَاشِقُ مَعْنَى حُسْنِنَا	مَهْرُنَا غَالٍ لِمَنْ يَخْطُبُنَا /21/
جَسَدٌ مُضْنَى وَرَوْحٌ فِي الْعَنَا	وَجُفُونَ لَا تَذُوقُ الْوَسْنَا
وَقُوَاذَ لَيْسَ فِيهِ غَيْرُنَا	فَإِذَا مَا شِئْتَ أَذِ الثُّمْنَا
فَافِنْ إِنْ شِئْتَ فَنَاءَ سَرْمَدًا	فَالْفَنَا يُذْنِي إِلَى ذَاكَ الْفِنَا
وَاخْلَعْ الثُّغْلَيْنِ إِنْ جِئْتَ إِلَى	ذَلِكَ الْحَيِّ فَفِيهِ قُدُسْنَا

(1) الماء القَرَّاح: الذي لا يخالطه شيء يطيب به. (لسان العرب: 557/2).

(2) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25]،
 و﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

وَعَنِ الْكُؤْنَيْنِ كُنْ مُنْخَلِعاً وَأَزَلْ مَا يَبْنَانَا مِنْ يَبْنَانَا
وَإِذَا مَا قِيلَ مَنْ تَهْوَى؟ فَقُلْ: "أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا"⁽¹⁾

ثم اعلم أن من أراد كشف هذا السرّ الخفي، بالكشف الجلي، فليتبذّر سرّ قوله صلى الله عليه وسلم مخبراً عن ربّه عزّ وجلّ: "لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً وفؤاداً"⁽²⁾.

ففهنا من ذلك أن علاقة وصل المحبّة لما اتّصلت بها لطافة وُصلة المحبوبة واستمسكت بعروة "حتّى أحبّه" قويّ سلطان المحبوبة على سلطان المحبّة فأفناه عن ذاته، وأفناه عن صفاته ثم أقام ببقائه عن فئائه، وخيّم بصفاته في فئائه، تبدّلت الصفات بالصفات، وقام الوجود بالوجود، فجاءت خلج الجود على يد "قبي/22/ يسمع وبني يبصر" فصحت هنالك الأنانية (من قولهم: أنا الحقّ أنا الله)⁽³⁾، وذهبت الإثنيّة، واستحال تقدير البين في البين، وتعدّر أن يصير الواحد اثنين، وذلك لاستحالة بقاء رؤية المحبّ مع المحبوب، وهذا المعنى مودّع في سرّ هذه الأبيات:

[المقارب]

وَمَخْطُوبَةُ الْحُسْنِ مَحْجُوبَةٌ وَلَا تَأْلَفَنَّ سِوَى إِلْفِهَا
إِذَا مَا تَجَلَّيْتُ عَلَى عَاشِقٍ وَأَهْدَتْ إِلَيْهِ شَذَا عَزْفِهَا
تَغَيَّبُ الصِّفَاتُ وَتَفْنَى الذَّوَاتُ بِمَا أَبْرَزَ الْحُسْنَ مِنْ لُطْفِهَا
فَلِنْ رَامَ عَاشِقُهَا نَظْرَةً وَلَمْ يَسْتَطِعْ لُغْلًا وَضْفِهَا

(1) في عجز البيت تضمين لصدر بيت للحلاج سبق تخريجه.

(2) سبق تخريجه. وورد عقب الحديث: (لأنّ المحبّة إذا صفت وتكاملت لا تزال تجذب بوصفها إلى محبوبها ثم تجذب صفة المحبوب تعطفاً على المحبّ فيكتسب الصفات من المحبوب فيقول:

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا فَلِذَا أَبْصُرْتُهُ أَبْصُرْتَنِي)،

ولم يرد في باقي النسخ المعتمدة.

(3) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

أَعَارَظَهُ طَرْفًا رَأَاهَا بِهِ (فَلَمْ يَرَهَا بِسَوَى طَرْفِهَا)⁽¹⁾
 وإلى هذا المعنى أشار من غلب عليه سكره فقال في شطحاته: «أنا الله»،
 وذلك أنه متكلم لا بلسانه، ناظر لا (بعينه)⁽²⁾، سامع لا بأذنه، بل هو متكلم بلسان
 الحق سامع بسمعه ناظر ببصره بإشارة: "فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ". وما مثال ذلك إلا
 مثال رجل بيده سراج في ليلة مظلمة وهو يهتدي بنور ذلك السراج ليصل به إلى
 منزله إلا أنه بين خوف هبوب الرياح تُطفئهِ أو تنقص مادةً دُهنه أو تفرغ فتيلته فيبقى
 في ظلمة طريقه قبل أن يصل إلى تحقيقه، فبينما هو بين خوف القطيعة ورجاء
 الوصول إذ طلعت عليه الشمس فنظر فإذا هو في المنزل، فأمن هنالك طَرَفُهُ أن
 يضل، وقَدَّمَهُ أن تَزِلَ، ونوره أن يَقِلَ/23/. وكذلك طلوع شمس أنوار المعارف، على
 ظلمة ليل العارف، تذهب بظلمة الأشباح، وتغلب ضياء سراج الأرواح، إذ الأرواح
 قد استولى عليها الاستغراق، في أشعة ذلك الإشراق، فالعارف بنور العرفان يسير،
 وبحكمه يُشير، وفي فضاء أشعته يطير، "فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ".

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ ظَهَرَ (لِي مِنْ)⁽³⁾ سِرٌّ هَذَا الْمَعْنَى سِرُّ قَوْلِهِ: "مَا وَسَعَنِي سَمَاوَاتِي
 وَلَا أَرْضِي وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ"، فذلك الوُسْعُ في الحقيقة لمن تدبَّر أو
 تفكَّر أو تبصَّر إنما هو وَسِعَ نفسه وما وَسِعَهُ غيره؛ لأنَّه وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ وما وَسِعَهُ
 شَيْءٌ، وذلك أَنَّهُ ثَبِتَ أَنَّ الْعَبْدَ لَمَّا انْخَلَعَ عَنْ صِفَاتِهِ الْفَانِيَةِ خَلَعَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ صِفَاتِهِ
 الْبَاقِيَةَ، وهو قوله: "كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصْرًا وَفُؤَادًا". فذلك الفؤاد الذي خلعه عليه هو
 الفؤاد الذي وَسِعَهُ؛ لِأَنَّ الْفُؤَادَ وَالْقَلْبَ اسْمَانِ لَشَيْءٍ وَاحِدٍ⁽⁴⁾، فثَبِتَ إِنَّمَا وَسِعَهُ فِي

(1) كذا في: (ع) و(س)، وفي (ب): (فليس يراها سوى طرفها)، وفي (و) و(د): (فكان البصير لها طرفها).

(2) كذا في (ع) و(س) و(د)، وفي (و): (بعينه)، وفي (ب): (بعينه).

(3) في (ع): (من)، والمثبت من: (و) و(ب).

(4) وأما ضد الفؤاد والقلب في اصطلاح واستعمال ابن غانم هي النفس، يقول: «ولمَّا جَعَلَ فِي
 عَالَمِ الْآخِرَةِ جَنَّةً وَنَارًا لِلنَّعِيمِ وَالْعَذَابِ، هَذِهِ خَزَانَةُ الْخَيْرِ وَهَذِهِ خَزَانَةُ الشَّرِّ، كَذَلِكَ جَعَلَ
 الْخَيْرَ الَّذِي هُوَ مَكَانُ سُوءِئَاءِ الْقَلْبِ جَعَلَهُ جَنَّةً عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْمُشَاهَدَةِ وَالتَّجَلِّيِ
 وَالْمُنَاجَاةِ وَالْمُنَاوَلَاتِ وَمَنْعِ الْأَنْوَارِ، وَجَعَلَ النَّفْسَ بِمَنْزِلَةِ الْإِنَاءِ لِأَنَّهَا مَنبِعُ الشَّرِّ وَمَحَلُّ

الحقيقة إلا هو ليس هو القلب الصنوبري الشكل؛ لأن ذلك مُضَغَّة من لحم ودم مُخَذَّت الوجود⁽¹⁾، وواجب الوجود منزَّه عن الحلول في الحادث المحدود.

ومعنى آخر في سرِّ هذا الحديث؛ اعلم أن هذا الوُشْع يستحيل أن يكون وُشْعاً بالذات؛ لأن الله تعالى لا يوصف بذلك وإنما هو وُشْع بالصفات و صفات/24/ الله سبحانه وتعالى على قسمين: نفي وإثبات.

فتنفي عنه ما يستحيل عليه كالتشبيه والمثيل والعديل والشريك واليَد والَصِدِّ والحدِّ والقَدِّ والعَدِّ والعجز والضعف والتقص، وما شابه ذلك.

(وتثبت له ما يجب له كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وما شابه ذلك)⁽²⁾.

فإذا عَلِمْتَ بقلبك ما يستحيل عليه، وما يجب له، فكأنك قد أحطت بصفاته فتكون قد وَسِغْتَهُ بالصفات لا بالذات؛ فهذا معنى: "وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِن".

والحق سبحانه قد جمع معاني آياته وصفاته، وجواهر حكمه وكلماته في صَدَقَة كلمة الإخلاص، ثم أطلع الخواص، على ما فيها من الخواص؛ وهي كلمة أُولُها نفي وآخرها إثبات، ودخل أُولُها على القلب فخلا، ثم تمكَّن آخرها من

الوُشواس ومَزْنَعُ الشَّيْطَان ومحلُّ الظلمة». (الشجرة: 346). والمعنى المستعمل من قبل المؤلف هو الغالب على أهل التصوف كما قال الإمام الغزالي، ويريدون بالنفس «المعنى الجامع لقوَّة الغضب والشَّهْوَة في الإنسان»، أو هي كما قال أيضاً: «الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان» (إحياء علوم الدين: 4/3)، ومن ثَمَّ قالوا بوجوب مجاهدة النفس، ولهذا أصل مستمد من الحديث، يقول صلى الله عليه وسلم: "أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك"، وللنفس معنى ثانٍ وهي: لطيفة تُوصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها، فهي مطمئنة ولوامة وأمارة. وتفصيل ذلك يخرج بنا إلى الإطالة. (يراجع: إحياء علوم الدين: 4/3، واصطلاحات الصوفية: 82 - 83).

(1) يريد بالقلب ما عناء الإمام الغزالي بقوله: «ولست أعني بالقلب اللحم والدَّم بل سرُّ لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سرُّ الرُّوح الَّذي هو أمر الله عزَّ وجلَّ». (إحياء علوم الدين: 291/2).

(2) غير وارد في: (و).

القلب فجلا، فَتَسَخَّتْ ثُمَّ رَسَخَتْ، وَسَلِبَتْ ثُمَّ أَوْجَبَتْ، ومَحَتْ ثُمَّ أَثْبَتَتْ، ونَقَضَتْ ثُمَّ عَقَدَتْ، وَأَفْنَتْ ثُمَّ أَبَقَتْ، فَأَوَّلُهَا يَشِيرُ إِلَى الْفَنَاءِ، وَآخِرُهَا يَشِيرُ إِلَى الْبَقَاءِ. فإذا قُلْتُ: "لا إِلَهَ"، فَقَدْ فَنَى كُلُّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ، وإذا قُلْتُ: "إِلَّا اللَّهُ" فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾⁽¹⁾.

ثُمَّ (اعلم)⁽²⁾ أَنَّ جَوْهَرَةَ هَذِهِ الصَّدْفَةِ، وَكَعْبَةَ حَرَمِهَا، وَحَجَرَ كَعْبَتِهَا، وَمُصَلَّى قَبْلَتِهَا وَرَوْضَةَ حَضْرَتِهَا، وَزَهْرَةَ 25/ رَوْضَتِهَا، وَثَمَرَةَ (زَهْرَتِهَا)⁽³⁾، وَبَيْتَ قَصِيدِهَا⁽⁴⁾، وَمَعْنَى صَوْرَتِهَا الَّذِي تُشِيرُ سُيُودَاءُ الْقُلُوبِ إِلَيْهِ، وَتَعَكُّفُ السَّرَائِرِ بِصِفَاتِهَا عَلَيْهِ هُوَ اسْمُ الْجَلَالَةِ مِنْ قَوْلِكَ: "إِلَّا اللَّهُ"؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ لِلْجَنَابِ الْمَعْظَمِ فَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ.

وإِنَّمَا جَاءَتْ لَفْظَةُ "لا إِلَهَ" دَالَّةً عَلَيْهِ، وَمُشِيرَةً إِلَيْهِ كَالْحَاجِبِ بَيْنَ يَدَيْهِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَتَى بِهَذَا الْأَسْمِ آخِرَ الْكَلِمَةِ مُشِيرًا أَنْ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَلَفْظَةُ: "لا إِلَهَ" تُنَادِي أَنْ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ، فَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ⁽⁵⁾.

ثُمَّ ابْتَدَأَ هَذَا الْأَسْمُ الشَّرِيفُ بِحَرْفِ الْأَلْفِ لِمَا فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ وَالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ مَعَانِي الرُّبُوبِيَّةِ مَدْمُجَةٌ فِي هَذَا الْأَسْمِ مُودَعَةٌ فِيهِ، وَلِذَلِكَ ابْتَدَأَ بِظَهْوَرِهِ لِعِبَادِهِ يَسْتَدْلُونَ بِهِ عَلَيْهِ، وَيَصِلُونَ بِهِ إِلَيْهِ إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى ذَاتِهِ، فَدَلَّهِمْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَجَعَلَ حَرْفَ الْأَلْفِ أَوَّلَ اسْمِ اللَّهِ، وَأَوَّلَ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ وَأَوَّلَ مَا خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عِبَادَهُ فِي أَوَّلِ الْوُجُودِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾⁽⁶⁾.

فإِنَّمَا ابْتَدَأَ بِهِ الْحُرُوفَ إِشَارَةً إِلَى أَوَّلِيَّتِهِ، وَجَعَلَهُ مَمْتَدًّا طَوِيلًا إِشَارَةً إِلَى سَزْمَدِيَّتِهِ وَدَيُّومِيَّتِهِ، وَجَعَلَهُ قَائِمًا مَعْتَدًا إِشَارَةً إِلَى قِيُومِيَّتِهِ وَعَدْلِيَّتِهِ، وَجَعَلَهُ صَامِتًا لَا تَجْوِيفَ لَهُ إِشَارَةً إِلَى صَمَدِيَّتِهِ، وَجَعَلَهُ مُنْفَرَدًا إِشَارَةً إِلَى فِرْدَانِيَّتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ، وَجَعَلَهُ

(1) القصص: 88.

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

(3) في (ع): (رمزتها)، والمثبت من: (و) و(د).

(4) بيت القصيد: أجود أبيات القصيدة.

(5) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: 4].

(6) الأعراف: 172.

تتصل به الحروف ولا يتصل هو بالحروف إشارة إلى افتقار الخلق إليه/26، وإن الله لغني عن العالمين⁽¹⁾.

فالتأثف حول كعبة هذا الاسم؛ أعني اسم الله، أول ما يكشف له في طوافه عن سر هذا الحرف، ﴿لَيْشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾⁽²⁾ ثم يسعى بين صفا اللأم الأول ومروة اللأم الثانية، فإذا تم سعيه وقطع مدرجة الألف واللأم وقف على (عرفات الهويّة)⁽³⁾، فكان قائلاً يقول عند الوصول إلى الهاء: ها هو المطلوب الذي تعرفه القلوب، وتحجبه الغيوب، وفي ذلك قلت:

[مخلع البسيط]

يَا سَاقِي الْقَوْمِ مِنْ شَذَاهُ	الْكُلِّ لِمَا سَقَيْتَ تَاهُوا
مَا شَرِبَ الْكَأْسَ وَاخْتَسَاهُ	إِلَّا مُحِبٌّ قَدْ اضْطَفَّاهُ
غَابُوا وَبِالسُّكْرِ فَيْكَ طَابُوا	وَصَرُّوا بِالْهَوَى وَفَاهُوا
يَا عَاذِلِي خَلَنِي وَشَرَبِي	فَلَسْتُ تَذِيرِي الشَّرَابَ مَا هُوَ

(1) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 97]، ونحو هذا قوله أيضاً: «ثم نظروا إلى أصل ما بُني عليه التوحيد، فإذا هو حرف النفي، فعلموا أنه بالنفي يثبت التوحيد، وبالمحو يرسخ التثريد، فدخلت كلمة "لا" على "إله"، ففتحتها فقالوا: كيف السبيل إلى الإثبات ولا سبيل إليه إلا بدخول حرف النفي عليه؟ وكيف يثبت الشيء بالحرف النافي، وهذا متناف؟ ف قيل: ها هنا معنى خافي، وسر شافي، وهو أن تأتوا إليه بألف التوحيد فتدخلوها عليه، وتتوسلوا بها إليه»، إلى أن يقول عن ألف التوحيد: «إن الألف هي ألف التوحيد لأن فيها معاني الربوبية، ودلالات الألوهية، وفيها معاني الوجدانية والفردانية، لأنها أول الحروف، وفيها معاني الأوليّة وهي أول ما أظهره الله في خطابه لعباده في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وهي أول اسمه سبحانه وتعالى من الجلالة، وفيها معنى الآخرة، لأنها إن كتبت آخرًا لم تتصل بشيء من الحروف، وفيها معاني السُرمديّة لطولها وامتدادها، وفيها معنى الوُثريّة لأنها لا تزودج بشيء من الحروف لعدم المشابهة بينها وبينهن، وفيها معنى القيوميّة والعُدليّة لاستقامتها واعتدالها، فهو القائم بالقسط سبحانه وتعالى، وفيها معنى الاستغنائية لافتقار الحروف إليها واتصالهنّ بها ولم تتصل هي بشيء منهنّ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾». (تلخيص العبارة: 38 - 39).

(2) الحج: 28.

(3) في (و): (عرفات ألوهيته).

فَمَ فَاجْتَلِي صَفْوَةَ الْمَعَانِي فِي صَفْوَةِ الْكَأْسِ إِذْ جَلَّاهُ
 وَاسْمَعْ إِذَا غَنَّتِ الْمَنَانِي تَقُولُ: يَا هُوَ لَيْتَكَ يَا هُوَ
 وَاطْرَبْ لِلْحَبِيبِ وَاخْلَعْ قَدْ بَلَغَ الشُّوقُ مُنْتَهَاهُ⁽¹⁾
 مَا قُلْتَ لِلْقَلْبِ: أَيْنَ جِئِي؟ إِلَّا وَقَالَ الضَّمِيرُ: هَا هُوَ
 (وَلَا أَسْمِيهِ غَيْرَ أَنِّي إِنْ غَلَبَ الشُّوقُ قُلْتُ: يَا هُوَ)⁽²⁾
 ثُمَّ اعلم أَنَّ الهاء هي خاتمة هذا الاسم الشريف، وفيه معنى لطيف وهو أَنَّ
 قولك: "هُوَ" حرفان هاء وواو، فالهاء حرف يخرج من آخر مخارج الحروف لأنه
 يخرج من داخل الحلق، فهو آخر الحروف مخرجا، والواو حرف/27/ يخرج من
 بين الشفتين وهو أول مخارج الحروف، فهو أول الحروف مخرجا، فأشار إلى ذاته
 بهذين الحرفين قال: "هُوَ الله"، مشيراً إلى أَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلُ وهو الآخر لا أول قبله ولا
 آخر بعده، تنزّه عن الحلول والتزول، لا كما يخطر للعقول، فإذا سمعت: "وَوَسِعَنِي
 قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ"، فاعلم أَنَّ القلب غيب، والرَّبُّ غيب، فاطَّلَعَ الغيب على
 الغيب، فكان نزولاً، لا حلولاً.

واعلم أَنَّ لطيفة ذلك وإشارته أَنَّ القلب خلق كامل الوصف، فله وجهان
 ظاهر وباطن، فظاهره ترابي أرضي طبيعي مظلم جثماني، وباطنه سماوي علوي
 نوراني روحاني، فكثافة ظاهره وظلمته لمباشرة القوى الطَّبِيعِيَّةِ البَشَرِيَّةِ، ولطافة
 باطنه لمواجهة المَلَكُوتِيَّاتِ الْعُلُويَّةِ الرُّبَّانِيَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ واستغراقه، فعلى قدر مواجهته
 لها ومقابلته إيَّاهَا انعكست عليه أشعة أنوارها، وتجلَّتْ لَأَسْرَارِهِ بِأَسْرَارِهَا، فشاهدها
 بِالْأَنْوَارِ الَّتِي أَفَاضَتْ عَلَيْهِ، وأدركها بِالْأَسْرَارِ الَّتِي أَبْدَتْهَا إِلَيْهِ، وهذا معنى العكس
 والمقابلة.

فهو يشهد جمال محبوبه في مرآة قلبه من غير حصر ولا تحيُّز ولا حلول
 ولا انفصال ولا اتِّصَال، فهو في المثال كمرآة لها وجهان ظاهرها كثيف مظلم،
 وباطنها لطيف مضيء، فلو قابلها من الكائنات ما قابلها/28/ من صغير أو كبير رأته

(1) غير وارد في: (و) و(س) و(د).

(2) غير وارد في: (و) و(س) و(د).

متممًا فيها من صغر جُزْمِها وكِبَرِ المرثي فيها، فلو كان جملاً أو جبلاً لرأيته بكلّ أجزائه فيها من غير حلول فيها، ولا اتّصال بها ولا تحيُّز في شيء منها، فكذلك الحقُّ سبحانه وتعالى إذا تجلّى على قلب عبده المؤمن يشاهده بعين يقينه ويجتليه ببصر بصيرته من غير حلول ولا تحيُّز ولا اتّصال ولا انفصال، (فإنَّ مصحِّح الاتّصال والانفصال هو الجُثمانيات والله تبارك وتعالى خالق الجُثمانيات والرُّوحانيات)⁽¹⁾، وأوضح من هذا (المثال)⁽²⁾ ما أشرحه في هذه الآيات:

[الطويل]

وَأَشْهَدُنِي ذَاكَ الْجَمَالَ الْمُعْظَمًا	وَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ أَحَبِّ تَكْرُمًا
أَرَاهُ بِعَيْنِي جَهْرَةً لَا تَوْهُمًا	تَعْرِفَ لِي حَتَّى تَيَقَّنْتُ أَنَّنِي
عَلَى طَوْرِ قَلْبِي حَيْثُ كُنْتُ مُكَلِّمًا ⁽³⁾	وَفِي كُلِّ حَالٍ أَجْتَلِيهِ وَلَمْ يَزَلْ
بِمُنْقَصِلٍ عَنِّي وَحَاشَاءَ مِنْهُمَا	وَمَا هُوَ فِي وَضْلِي بِمُتَّصِلٍ وَلَا
وَأَيْنَ الشَّرَى مِنْ رِفْعَةِ الْبَذْرِ إِنَّمَا ⁽⁴⁾	وَمَا قَدَرُ مِثْلِي أَنْ يُحِيطَ (بِقَدْرِهِ)
جَمَالًا تَعَالَى عِزُّهُ أَنْ يَقْسَمَا	أُشَاهِدُهُ فِي صَفْوِ سِرِّي فَأَجْتَلِي
بِصَفْوِ غَدِيرٍ وَهُوَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ⁽⁵⁾	كَمَا أَنَّ بَذَرَ التَّمِّ (يُظْهِرُ نُورَهُ)

واعلم أنَّ هذه الخصوصية لابن آدم دون المَلَك، وإنَّما كان كذلك لما ذكرنا أنَّ الأدمي مخلوق من العالمين اللطيف والكثيف، فيتنزّل القلب منزلة المرأة في لطيفها وكثيفها فلذلك انطبع فيها ما يقابلها من المرثيات⁽⁶⁾ 29/، ولا كذلك

(1) غير وارد في: (ب) و(س) و(د).

(2) في (ع): (المقام)، والمثبت من: (و).

(3) في البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: 52].

(4) في (ع) و(ب): (بمثله)، والمثبت من: (و) و(س) و(د)، وفي البيت مع الذي يليه تضمين عروضي.

(5) في (و): (ينظر وجهه). بدر التّم: ويقال بدر التمام، يقال للبدر إذا اكتمل في يومه الرابع عشر.

(6) فالقلب مثاله المرأة المَجْلُوة كما يقول الإمام الغزالي: «ليس لها لَوْنٌ في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها، فكذلك الرُّجاجة فإنَّها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها» (إحياء علوم الدين: 291/2)، وقد عبّر الصُّوفية عن هذا المعنى بالتَّمَثُّل بقول الشاعر:

الْمَلَكُ فَإِنَّهُ مخلوق من لطيف فقط، فهو كُلُّهُ نور يَشْفُ ظاهره وباطنه، فهو كالزُّجاجة الشُّفافة نورها خارق فلا يتمثل فيها ما يقابلها لعدم الكثيف الَّذِي يعكس ما يقابلها إليها. فهذا سُرُّ العكس والمقابلة.

وأما المثال الثاني في كثافة ظاهر القلب وظلمته ولطافة باطنه وصفائه وضيائه كمثال صدفة حشوها دُرَّة، فالصدفة لها وجهان وجه ممَّا يلي الدُّرَّة، ووجه خارج عن سَمْتِ الدُّرَّة، فالوجه الظَّاهر الخارج عن سَمْتِ الدُّرَّة مظلم أسود كسائر الأحجار. وأما الوجه الَّذِي يلي جمال الدُّرَّة فقد اكتسب من صفائها وضيائها حتَّى صار كأنَّه هو وكأنَّه هي، ولا علَّة لذلك إلَّا مواجهته إيَّاهَا ومقابلته لها واحتجابه عن غير وجهها. فكذلك القلب له وجهان وجه ممَّا يلي الجُثمانِيَّة البشريَّة، ووجه ممَّا يلي عيان جمال الله، (فالوجه المواجه للجُثمانِيَّة كسائر القلوب الحيوانيَّة والوجه المواجه عيان جمال الله)⁽¹⁾ قد اكتسب منه نوراً قد غرق صاحبه فيه واستغرق في مشاهدته حتَّى ظنَّ أَنَّهُ هو حتَّى قال صاحبه: «أَنَا هُوَ».

ولا عجب لقلب قد ملئ بحبِّ الله (لاستغراقه في مشاهدته)⁽²⁾ فهو غائب في حضرته، حاضر في غيبته، غاب في ذكره لمذكوره، ودهش في نظره لمنظوره، فلا عجب أن يقول: «أَنَا هُوَ»/30/، فَإِنَّ هَذِهِ دُودَةُ الْبَقْلِ لمجاورتها (لِبَقْلَتِهَا)⁽³⁾ وانقطاعها إليها واستمداها منها، قد اتَّصفت بصفاتها وَلَبِسَتْ حُلَّتَهَا حتَّى لَا يُفَرِّقَ بينها وبين بَقْلَتِهَا لفنائها عن الصِّفَاتِ الدُّودِيَّةِ وبقائها بالصِّفَةِ الْبَقْلِيَّةِ.

فما بالك بقلب قُطِعَت مَادَّتُهُ ممَّا سِوَى اللَّهِ، وجعل غِذاءَهُ ذِكْرَ اللَّهِ، وشرابه حُبُّ اللَّهِ، وحركاته بِاللَّهِ، وقيامه بِاللَّهِ، وَأَفْنَى وجوده ببقاء اللَّهِ، فاستحال تقدير البين في البين، لَأَنَّهُ لم يبقَ له أثر ولا عين، وهذا كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ مُحْصَلَيْنِ من قوله

رَقُّ الزُّجَاجِ وَرَقَّتِ الْحُمُرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأُمُرُ
فَكَأَنَّهَا حُمُرٌ وَلَا قِدْحُ وَكَأَنَّهَا قِدْحٌ وَلَا حُمُرُ

(1) غير وارد في: (و).

(2) غير وارد في: (و)، وفي (ب): (واستغرق في مشاهدته)، وفي (س): (استغراقه في شاهده).

(3) في (ع): (لبقلها)، والمثبت من: (و).

تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾⁽¹⁾.

فصل

اعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى يوصف بمحبَّة عبده، والعبد يوصف بمحبَّة ربِّه، فمحبَّة الحقِّ سبحانه وتعالى لعبده خصوصاً من عموم (رحمته، ورحمته خصوصاً من عموم)⁽²⁾ إرادته، فالإرادة جامعة لجميع المُرادات من الحبِّ والبغض والرِّضا والسُّخط والقرب والبعد، وكلُّ ذلك متعلِّق بالإرادة، وإراداته سبحانه وتعالى واحدة، وإنَّما الاختلاف في مُتعلِّقاتها، فإذا تعلَّقت إرادته بالمشيئة تسمَّى رحمة، وإذا تعلَّقت بالعقوبة تسمَّى غضباً، وإذا تعلَّقت بالزُّلْفى والكرامة والتَّخصيص تسمَّى محبَّة.

فالفرق بين الرِّحمة والمحبَّة أنَّ الرِّحمة إرادة البرِّ واللُّطف والإنعام، والمحبَّة إرادة القربى والزُّلْفى والكرامة.

ومن النَّاس من قال 31/: «إنَّ محبَّة الله لعبده هي مدحه والثناء عليه، فتكون محبَّته له قديمة؛ لأنَّ مدحه قوله، وقوله كلامه وكلامه قديم».

ومنهم من قال: «إنَّها من صفات فعله؛ لأنَّها إحسانه إليه وإنعامه (عليه)⁽³⁾، وهذا مُحدَث فتكون محبَّته له مُحدثة».

ومنهم من وقف عن تفسيرها، وقال: «هذه من صفات الإخبار لأنَّ الله تعالى أخبر بذلك فلا يُعلَّم ما هي».

وأما محبَّة العبد لربِّه فهي حالة لطيفة يعجز عن تفسيرها اللِّسان، ويقصر عن تحقيقها الإنسان، تحمله تلك الحالة على ترك الحظوظ وإيثار الحقوق فيترك (مُراداته لمُرادات)⁽⁴⁾ محبوبه؛ إذ ليس للمحبِّ مع إرادة محبوبه إرادة.

(1) المائدة: 54.

(2) كذا في: (ع) و(س) و(د)، وغير وارد في: (و).

(3) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(4) في (ع): (غير مرادات)، وفي (و): (مرادات لمراد)، والمثبت من: (ب) و(س) و(د).

وقد أطلق القوم القول في المحبة بالفاظ مختلفة ومعان متفاوتة، فتكلم كل بحسب ذوقه، ونطق على مقدار شوقه.

وكذلك اختلفوا في تسميتها واشتقاقها من حيث اللغة، فقال قوم: الحب اسم لصفاء المودة؛ لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها: حَبَب الأسنان، وقيل: (الحَبَاب)⁽¹⁾ ما يعلو الماء عند المطر الشديد.

فعلى هذا القياس المحبة غليان القلب، وثورانه عند العطش والاحتياج إلى لقاء المحبوب.

ويقال: اشتقاق الحب من اللزوم والثبات، يقال: أحب البعير إذا برك لا يقوم، وكأن المحب لا يرح بقلبه عن ذكر محبوه/32.

وقيل: هو مأخوذ من الحب الذي فيه الماء (لأنه)⁽²⁾ يمسك الذي فيه ولا يسع غير ما امتلأ به⁽³⁾.

وأما أقاويل المشايخ في المحبة فكما ذكرنا آنفاً كل تكلم بحسب ما ذاق، فقيل: «المحبة مخو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته»⁽⁴⁾.

وقيل: «(المحبة)⁽⁵⁾ مواطأة القلب لمُرادات الرب»⁽⁶⁾.

وسئل الجنيد⁽⁷⁾ رحمه الله عن المحبة فقال: «(المحبة)⁽⁸⁾ دخول صفات المحبوب على البذل من صفات المحب»⁽⁹⁾.

(1) في (ع): (الحب)، والمثبت من: (و) و(ب) و(س) و(د)، وكذا أيضا في الرسالة القشيرية: 311.

(2) في (ع): (لا)، والمثبت من: (و).

(3) من قوله: (وقد أطلق القوم) إلى قوله: (امتلا به) منقول من الرسالة القشيرية: 311 - 312.

(4) الرسالة القشيرية: 312.

(5) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (ب).

(6) الرسالة القشيرية: 312.

(7) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد، سيد طائفة الصوفية وإمامهم، أصله من نهاوند ومنشؤه بالعراق، توفي سنة 297. (الرسالة القشيرية: 38 - 40، وحلية الأولياء: 255/10 - 287).

(8) غير وارد في (ع)، والمثبت من: (ب).

(9) الرسالة القشيرية: 312.

وسئل الشبلي⁽¹⁾: «لِمَ سَمَّيتَ المحبَّةَ محبَّةً؟ قال: لَأَنَّهُا تَمَحُّوْ مِنْ الْقَلْبِ مَا سَوَى الْمَحْبُوبِ»⁽²⁾.

وقال أيضاً: «المحبَّةُ أَنْ يَغَارَ عَلَى الْمَحْبُوبِ أَنْ يَحِبَّهُ (مثلك)⁽³⁾»⁽⁴⁾. وقال عطاء⁽⁵⁾ وقد سئل عن المحبَّة فقال: «أَغْصَانٌ تُغْرَسُ فِي الْقَلْبِ فَتُثْمَرُ عَلَى قَدَرِ الْعُقُولِ»⁽⁶⁾.

وَقَالَ النَّضْرُ آبَادِي: ⁽⁷⁾ «مَحَبَّةٌ تُوجِبُ حَقْنَ الدِّمَاءِ وَمَحَبَّةٌ تُوجِبُ سَفْكَ الدِّمَاءِ»⁽⁸⁾.

وقال الحارث المحاسبي⁽⁹⁾ رحمه الله: «المحبَّةُ مِثْلُكَ إِلَى الشَّيْءِ بِكُلِّيَّتِكَ، ثُمَّ إِشَارُكَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَرُوحِكَ وَمَالِكَ ثُمَّ مُوَافَقَتُكَ لَهُ سِرّاً وَجَهراً، ثُمَّ عِلْمُكَ بِتَقْصِيرِكَ فِي حِبِّهِ»⁽¹⁰⁾.

وَقَالَ السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ⁽¹¹⁾ رحمه الله: «لَا تَصْحُ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ اثْنَيْنِ حَتَّى يَقُولَ

(1) هو أبو بكر بن جحدر الشبلي الصوفي من أصحاب الجنيد، بغدادى المولد والمنشأ والوفاء، توفي سنة 334 هـ. (الرسالة القشيرية: 53 - 54، وحلية الأولياء: 366/10 - 375).

(2) الرسالة القشيرية: 312.

(3) في (ع): (مثله)، والمثبت من: الرسالة القشيرية: 313.

(4) الرسالة القشيرية: 312.

(5) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، من أكابر مشايخ الصوفية، كان من أقران الجنيد، توفي سنة 309 هـ. (الرسالة القشيرية: 49، وحلية الأولياء: 302/10 - 304).

(6) الرسالة القشيرية: 313.

(7) هو أبو القاسم النضر آبادي شيخ خراسان في وقته، صاحب الشبلي وجاور بمكة سنة 336 هـ ومات بها سنة 369 هـ. (الرسالة القشيرية: 26 - 27).

(8) الرسالة القشيرية: 313.

(9) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي من أكابر مشايخ القوم أصله من البصرة وتوفي ببغداد سنة 243 هـ. (طبقات الصوفية، للأزدي، الترجمة: 6، والرسالة القشيرية: 25 - 26، صفة الصفوة، لابن الجوزي، الترجمة: 270).

(10) الرسالة القشيرية: 314 - 315.

(11) هو أبو الحسن سري المغلس السَّقَطِيُّ من مشايخ القوم في بغداد، خال الجنيد وشيخه، أخذ

أحدهما للآخر يا أنا»⁽¹⁾.

وقيل: «المحبة نار تحرق القلب، فلم تدع فيه سوى المحبوب»⁽²⁾.

وقيل: «المحبة نار خطبها أكباد المحبين».

وقيل: «المحبة شكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه»⁽³⁾.

وقيل: «المحبة أن (تنطبق)⁽⁴⁾ جميع/33/ مرادات المحب على جميع

(إرادات)⁽⁵⁾ الحبيب، فلا يبقى له معه إرادة».

وقيل للشبلي يرحمه الله: «ما بال المحبة مقرونة بالمحنة؟ قال: لئلا يدعيها

كل (سفلة)⁽⁶⁾».

وتذاكر قوم المحبة عند ذي النون⁽⁷⁾ فقال: «كفوا عن هذه المسألة لئلا

تسمعها النفوس فتدعيها، ثم أنشأ يقول:

[مجزوء الكامل]

الخَوْفُ أَوْلَى بِالْمُسيِّئِ إِذَا تَوَلَّاهُ وَ الْخَزَنُ

وَالْحُبُّ يَجْمُلُ بِالتَّقِيِّ سِي وَبِالتَّقِيِّ مِنَ الدُّنْ

عن معروف الكرخي وصحبه، توفي سنة 251. (طبقات الصوفية للأزدي، الترجمة: 5،

والرسالة القشيرية: 21 - 23، وصفة الصفوة، الترجمة: 272).

(1) المتثور، لابن الجوزي: 9/1، منسوب للجنيذ.

(2) في الرسالة القشيرية: 315: «وقيل: المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مُراد المحبوب».

(3) الرسالة القشيرية: 316.

(4) في (و): (تفنى).

(5) في (ع): (مرادات)، والمثبت من: (و).

(6) في (و): (سفيه).

(7) هو أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري ويقال ثوبان بن إبراهيم الصوفي، توفي سنة

245 هـ وقيل 248 هـ. (طبقات الصوفية، للأزدي: 27/1، والرسالة القشيرية: 18 - 19، وصفة

الصفوة، الترجمة: 839).

(8) في (ع): (إذ ناله ذل) وكذا في الرسالة القشيرية: 317، وينكسر بها الوزن، والمثبت من (و).

(9) الرسالة القشيرية: 316.

وقال أبو بكر (الكتّاني)⁽¹⁾: «جَرَتْ مسألة بمكة في المحبة فتكلّم فيها المشايخ فكان الجُنيد أصغرهم سنّاً، فقالوا: (هات)⁽²⁾ ما عندك يا عراقِي، فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبدٌ ذاهب عن نفسه متّصلٌ بذكر ربّه قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه أحرق قلبه أنوارُ هيّته، وصفا شربُه من كأسٍ وُدّه وكشف له الجبّارُ عن أستار غيّه، فإن تكلمَ فبالله، وإن نطقَ فمِن الله، وإن تحرّكَ فبأمر الله، وإن سَكَنَ فمع الله، فهو بالله والله ومع الله. فبكى الشيوخُ وقالوا: ما على هذا من مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين»⁽³⁾.

وقيل: «المحبةُ أولُها ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ وآخرُها ﴿يُحِبُّونَهُ﴾، وَبَيْنَهُمَا مُهَجٌّ تَذَوُّبٌ وَأَرْوَاحٌ (تنظر)⁽⁴⁾ إلى المَحْبُوب».

واعلم/34/ أنَّ من لم يسبق له ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ لم يصحَّ له ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ فسابقةُ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ مُحَصِّلَةٌ للاحقةِ ﴿يُحِبُّونَهُ﴾، ولاحقةُ ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ نتيجةُ مُقَدِّمةِ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾، فسابقةُ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ لا أولَ لها، ولاحقةُ ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ لا آخرَ لها فمن ثبت قدمه عند شُرب كأسٍ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ قال: «هُوَ»، ومن تجاوز به سكره عن حدِّ الثبوت حتّى تناول كأسه بكفٍ ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ قال: «أَنَا»، فالشَّارب بكأسٍ ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ مُتَمَكِّن، والشَّارب بكأسٍ ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ مُتَلَوِّن، فالنَّاطِق بالأنانية متكلِّم من وادي المَحُو بلسان الإثبات، والنَّاطِق بالهويّة متكلِّم من وادي الفناء بلسان البقاء وكلاهما ناطق صادق، وللحقيقة موافق؛ لأنَّ من قال: «أَنَا» ما أراد بالأنانية نفسه، لأنّه مأخوذ عن نفسه، مجذوب عن حيّته، فأخذه وسالبه وجاذبه هو المتكلِّم بلسانه.

(1) في (ع): (الكرماني)، والمثبت من: (و) ومدارج السالكين: 16/3، والكتّاني هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتّاني بغداداي الأصل صاحب الجنيد، وجاور بمكة إلى أن توفي سنة 302 هـ. (طبقات الصوفية، للأزدي، الترجمة: 67، والرسالة القشيرية: 55 - 56، وطبقات الأولياء: 104/1 - 105).

(2) في (ع): (هاتي)، والمثبت من: (و) وكذا الرسالة القشيرية: 317 - 318.

(3) مدارج السالكين: 16، و376، بتصرف يسير في لفظه.

(4) في (و) و(ب): (تطير).

وشاهد ذلك قصّة أبي يزيد⁽¹⁾، رحمة الله عليه، حين قال: «سُبْحَانِي»، فأذكروا عليه فقال: «حَقُّ سَبْحِ نَفْسِهِ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ»، فَإِنَّ الْحَقَّ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا أَبَدَى عَلَيْهِ بَادِيَةً مِنْهُ فَعَيْتُهُ بِهِ عَنْهُ، ويكون البادي هو النَّاطِقُ عَلَى لِسَانِهِ.

ثُمَّ مِنْ عِلَامَةِ الْمَحَبِّ التَّرْدِي بِرَدَاءِ الْمَحْبُوبِ كَمَا حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمُتَحَابِّينَ أَنَّهُمَا رَكَبَا فِي الْبَحْرِ فَسَقَطَ أَحَدُهُمَا فِي الْبَحْرِ فَأَلْقَى الْآخَرُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ فَعَامَ الْغَوَاصُونَ فَأَخْرَجُوهُمَا سَالِمَيْنِ، فَقَالَ الْأَوَّلُ/35/ لصاحبه: أَمَا أَنَا فَسَقَطْتُ، فَأَنْتَ لَمْ رَمَيْتَ نَفْسَكَ فِي الْبَحْرِ؟ فَقَالَ لَهُ: أَنَا غَبْتُ بِكَ عَنِّي، فَتَوَهَّمْتَ أَنَّكَ أَنِّي.

وَسُئِلَ الْمَجْنُونُ أَتَحُبُّ لَيْلِي؟ قَالَ: لَا، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ؟ فَقَالَ: لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ ذَرِيعَةٌ إِلَى الْوُصْلَةِ، وَقَدْ سَقَطَتِ الْوُصْلَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ لَيْلِي، فَأَنَا لَيْلِي وَلَيْلَى أَنَا؛ وَهَذَا كُلُّهُ مَعْنَى قَوْلِهِ: "كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَيَدًا"، وَمَعْنَى: "جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، وَظَمِئْتُ فَلَمْ تُسْقِنِي"؛ (أَيُّ أَنَّ عَبْدِي جَاعَ فَلَمْ تَطْعَمْهُ وَظَمَى فَلَمْ تَسْقِهِ)⁽²⁾.

وَأَمَّا النَّاطِقُ بِالْهُوِيَّةِ فَإِنَّهُ مُتَمَكِّنٌ فِي سَكْرِهِ مُتَحَكِّمٌ فِي وَجْدِهِ مُحْفُوظٌ عَلَيْهِ وَقْتُهُ، مُحْرُوسٌ عَلَيْهِ سِرُّهُ، فَهُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ نَفْسِهِ، مُرَدُّودٌ عَلَى قَلْبِهِ، فَتَنَى عَنْ نَفْسِهِ وَفَنَيْتَ نَفْسَهُ عَنْهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ فِي الْبَيْنِ بَيْنٌ، وَلَا لَهُ فِيهِ أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ: «هُوَ».



فصل

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَاحَ لِي مِنْ هَذِهِ اللَّمْعَةِ لَائِحَةٌ، وَسَمَمْتُ مِنْ عُبْقَرِيَّتِهَا أَطِيبَ رَائِحَةٍ، وَهُوَ أَنَا إِذَا قَلْنَا إِنَّ مَحَبَّةَ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ إِنَّمَا هِيَ نَتِيجَةُ مَحَبَّةِ الرَّبِّ لِعَبْدِهِ، إِذْ لَوْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ لَمَا كَانَتْ هَذِهِ، ثُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَثْبِتُ لَهُ قَدَمٌ فِي الْمَحَبَّةِ حَتَّى يَفْنَى الْعَبْدُ عَنِ الْعَبْدِ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْعَبْدِ فِي الْعَبْدِ أَثَرٌ، وَلَا لَهُ مِنْهُ عِلْمٌ وَلَا خَبَرٌ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الْمَحَبَّ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْمَحْبُوبُ، وَالْمَحْبُوبُ هُوَ الْمَحَبُّ، فَالْحَقُّ تَعَالَى مُحَبَّبٌ (وَمَحْبُوبٌ)⁽³⁾، وَخَاطَبَ

(1) أَيُّ أَبِي يَزِيدَ الْبَسْطَامِيِّ.

(2) غَيْرُ وَارِدٍ فِي: (و) وَ(ب).

(3) فِي (ع): (مَحْبُوبٌ)، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ: (و) وَ(ب).

(ومخطوب)⁽¹⁾، ومُراد ومُريد.

ثُمَّ لَطِيفَةٌ/36/ أُخْرَى وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا أَحْبَبْتُ فَإِنَّمَا أَحَبُّ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّكَ (أَنْتَ)⁽²⁾ قَدْرَتَهُ وَصَنَعَتَهُ وَحَكَمَتَهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُ أَحَبُّ صَنَعَتِهِ، كَالصَّانِعِ لِمَا أَتَقَنَ صَنَعَتَهُ الَّتِي أَحْكَمَهَا وَأَعْجَبَتَهُ وَأَحْبَبَهَا، فَمَا أَحَبُّ إِلَّا مَا عَمِلْتَ يَدَاهُ وَاسْتَنْبَطَتَهُ حَكَمَتَهُ، فَمَا كَانَ مِنْكَ كَسْبًا وَفِعْلًا كَانَ مِنْهُ خَلْقًا وَتَقْدِيرًا، وَأَنْتَ فِي الْحَقِيقَةِ مَسْخَرٌ لِقَدْرَتِهِ مُسْتَعْمَلٌ بِمَشِئَتِهِ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، فَإِذَا أَرَادَكَ لِلْقُرْبَةِ أَخَذَكَ مِنْكَ وَسَلَبَكَ (عَنْكَ)⁽³⁾ وَعَزَلَكَ عَنْ صِفَاتِكَ الْفَانِيَةِ، وَخَلَعَ عَلَيْكَ صِفَاتِهِ الْبَاقِيَةَ "فَبِي يَسْمَعُ وَيَبِي يَبْصُرُ" ثُمَّ أَقَامَكَ مَقَامَ نَفْسِهِ وَأَقَامَ نَفْسَهُ مَقَامَكَ، "مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي".

كما فعل لحبيبه مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا خَلَعَ عَنْ قَدَمِي مُرَادَهُ نَغْلِي الْكَوْنَيْنِ: خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةَ قَابِ قَوْسَيْنِ⁽⁴⁾ وذلك بعد ارتحاله عن الوطنين؛ الرُّوح والجسد، وانخلاعه عن الأصلين؛ العلم والعمل، (وانتزاعه)⁽⁵⁾ عن الفصلين؛ السَّعادة والشَّقَاوة، وإعراضه عن الحالين؛ السَّابِقَةِ وَالْآخِئَةِ، وَذَهَابَهُ عَنِ الْإِشَارَتَيْنِ وَهِيَ: لِي وَلَكَ، وَأَنَا وَأَنْتَ، وَمَعِي وَمَعَكَ، لِأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ كُلُّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ جِهَةِ الْبَشَرِيَّةِ مُشِيرَةٌ إِلَيْهَا، فَارْتَحَلَ عَنْهَا وَسَارَ إِلَيْهِ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَوَقَفَ مَعَ مَشَاهِدَةِ الْحَقِّ مُتَلَقِّيًا مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْرَارِ الْمَكَالِمَةِ وَالْمَشَاهِدَةِ⁽⁶⁾، وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا أَثَرٌ فَهُوَ مَعَهُ بِلَا "هُوَ"، وَمَشَاهِدُهُ بِلَا كَيْفٍ، مُحَاضِرُهُ بِلَا أَيْنَ، فَلَمَّا انْخَلَعَ عَنِ الْكُلِّ سَلَّمَ/37/ إِلَيْهِ الْكُلَّ،

(1) فِي (ع): (مُحِبُّوبٌ)، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ: (و) وَ(ب). وَفِيهِ تَلْمِيحٌ إِلَى قَوْلِ الْمُؤَلَّفِ:

أَنَا فِي الْمَحَبَّةِ خَاطِبٌ وَمَخْطُوبٌ وَهُوَ الْمُحِبُّ لِقَانِي وَالْمُحِبُّوبُ

(2) غَيْرُ وَارِدٍ فِي (ع)، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ: (و) وَ(ب).

(3) غَيْرُ وَارِدٍ فِي (ع)، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ: (و) وَ(ب).

(4) أَيْ خِلْعَةُ الْقُرْبِ وَالْمَقَامُ الْمَخْصُوصُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامُ الْمَشَاهِدَةِ، وَفِي كَلَامِهِ تَلْمِيحٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 4 - 9].

(5) فِي (ع): (انْتِزَاعُهُ)، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ: (ب) وَ(و) وَ(د).

(6) فِي كَلَامِهِ تَفْصِيلٌ لِمَقَامِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْمَكَالِمَةِ، وَتَلْمِيحٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 18].

فأقامه مقام نفسه؛ لأنَّ لطافة وُصلة المحبَّة أسقطت بينهما الوسائط لاتِّحاد صفات المحبَّة⁽¹⁾، وصفاء مزاج الصِّفوة، فقال تعالى مخبراً عن قيامه له مقام نفسه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾⁽³⁾، وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾⁽⁴⁾.

ورُوي أنَّ امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أعذرني، فإنَّ لي قلباً واحداً، فقال لها: "لا تشغلي قلبك فإنه من أحبَّ الله أحبَّني، ومن أحبَّني أحبَّه".

ثم بقي من ذلك الكأس الذي شربه صلى الله عليه وسلم بقيَّة شربها من لم يبق له من نفسه بقيَّة، فشربوا من فَضْلَة شربه، وسكروا من نشوة سكره، وفي ذلك قلتُ:

[الطويل]

شَرِبْتُ حُمَيَّا حُبِّكُمْ مَذَّ عَرَفْتُكُمْ عَلَى ظَمَأٍ مِنِّي فَرَادَ تَلْهُيِّي
فَلَا مَزْدَ كَمُورِدٍ لِلْعَامِلِينَ كَمُورِدِي وَلَا مَشْرَبَ لِلْعَاشِقِينَ كَمَشْرَبِي
وَلِي رُتْبَةٌ تَغْلُو عَلَى كُلِّ رُتْبَةٍ وَلِي مَنْصَبٌ يَسْمُو عَلَى كُلِّ مَنْصَبٍ
فَانْظُرْ إِلَى (لطافة وُصلة)⁽⁵⁾ المحبَّة الأزلِيَّة القديمة كيف يصفو مزاجها (ويخفى)⁽⁶⁾ اندماجها واندراجها. وكيف سرت في الأسرار، وجرت في مجاري الأفكار حتَّى حَضَلَتْ ما في الصُّدُور بمحصولها، وملكت ما في القلوب بوصولها، وطُنَّبَتْ⁽⁷⁾ في عرصات الأحشاء بخيامها، ونسخت/38 سائر الأحكام

(1) فيه تلميح إلى التفويض العام منه تعالى لنبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿هَذَا غَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: 39].

(2) الفتح: 10.

(3) النساء: 80.

(4) آل عمران: 31.

(5) في (و): (صفاء).

(6) في (و): (خفي).

(7) طنَّب: يقال طُنَّبَ الخيمة شددها بالأطناب وهي الأحيال مفردها طنَّب، وطُنَّبَ في المكان أقام

(بأحكامها)⁽¹⁾ واختكامها. فبان المحب من البين وغاب عن العين، ثم قام الحبيب مقام محبه في تقاضي الدين، فقال: "مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني"، ولطائف هذا المعنى تظهر في لطيف ما أشرت إليه في هذه الأبيات:

[الكامل]

وَلَقَدْ تَصَافَيْنَا الْمَحَبَّةَ بَيْنَنَا	فَأَنَا وَمَنْ أَهْوَى كَشْيءٍ وَاحِدٍ ⁽²⁾
لَا زِلْتُ أَقْرَبُ مِنْهُ حَتَّى صَارَ لِي	بَصْرِي وَسَمْعِي حَيْثُ كُنْتُ وَسَاعِدِي
فَإِذَا (رَأَيْتُ) فَلَا أَرَى إِلَّا بِهِ	وَإِذَا بَطَشْتُ فَلَا يَزَالُ مُسَاعِدِي ⁽³⁾
إِنْ شِئْتُ شَاءَ وَإِنْ أَمَرْتُ فَأَمْرُهُ	أَمْرِي فَقَدْ بُلِّغْتُ مِنْهُ مَقَاصِدِي
فَإِنَّا الَّذِي أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا	مَا شَاءَ يَضْنَعُ حَاسِدِي وَمُعَانِدِي ⁽⁴⁾



فصل

ثُمَّ اعْلَمْ وَفَقَكَ اللَّهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يوصف بشيء مما أشرنا إليه في الأحاديث ولا في غيرها بحلول ولا نزول، ولا اتصال ولا انفصال، ولا ملازمة ولا مجانسة فاحذر أن يتلجج في فهمك أو وهمك أو همك شيء من ذلك، فتوهي في المهالك، والله تعالى بخلاف ذلك، وأين الحادث الفاني من القديم الباقي؟ وأين العبد الذليل من المولى الجليل؟ إن فهمت منه سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ⁽⁵⁾﴾، ومن قوله تعالى: "ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا".

وهذا المعنى هو المراد من قبل المؤلف. (لسان العرب: 560/1، والقاموس المحيط: 91/1).

(1) غير وارد في (ع)، وأضفتها من: (و) و(د).

(2) في (ع): (ولما)، والمثبت من: (ب) و(و) و(د).

(3) في (ب): (نظرت).

(4) في صدر البيت تضمين لصدر بيت للحلاج سبق تخريجه.

(5) البقرة: 186.

فهذا (وأشباهه)⁽¹⁾/39/ إن خطر ببالك أو تصوّر في خيالك أن ذلك قرب مسافة أو مشي جارحة، أو نزول أو انتقال، فأنت لا شك هالك، والله تعالى بخلاف ذلك، منزّه عن السلوك في المسالك، وإنما معنى قربه منك وقربك منه بالخدمة، إنك تتقرب منه بالخدمة، وهو يتقرب إليك بالرحمة، وأنت تتقرب منه بالسجود وهو يتقرب منك بالجود، وأنت تتقرب منه بالطاعة، وهو يتقرب بتوفيقك الاستطاعة⁽²⁾.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه: "إن أفضّل ما يتقرب به عبادي إليّ أداء ما افترضت عليهم"، فأخبر سبحانه وتعالى عباده أن تقربهم إليه بالعبادة.

ثم إن قربه منك في اليوم، ما خصك به من معرفته ومحبته، وقربه منك في غد، ما يخصك به من مشاهدته ومخاطبته شفاها وكفاحا.

ثم هو في الحقيقة أقرب إلى كلّ شيء من كلّ شيء، ليس شيء أقرب إليه من شيء، وهو أبعد عن كلّ شيء من كلّ شيء، ليس شيء أبعد عنه من شيء، فهو في قربه بعيد، وفي بعده قريب.

قربه من خلقه على ثلاثة أقسام:

(الأوّل)⁽³⁾: قرب عام؛ وهو قرب العلم والقدرة والإرادة، وهو قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ﴾⁽⁴⁾.

والثاني: قرب الخاصّة من المؤمنين وهو قرب الرحمة والبرّ واللطف، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁽⁵⁾.

والثالث: قرب/40/ خاصّة الخاصّة من المقرّبين، وهو قرب الحفظ والكلاءة والإجابة وذلك للأنبياء والمرسلين، وهو قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ

(1) كذا في: (ع) و(ب) و(س)، وفي (و): (وأمثاله).

(2) نحو هذا التأويل أيضا في: الفتوحات الغيبية: 76.

(3) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

(4) المجادلة: 7.

(5) الحديد: 4.

مِنْ خَبْلِ الْوَرِيدِ^(١).

فالعبد له في قربهِ ثلاثة مراتب:

القرب الأول: قرب الأبدان؛ وهو العمل بالأركان.

الثاني: قرب القلب؛ بالتصديق والإيمان.

والثالث: قرب الروح بالتحقيق والإحسان.

ثم الحق سبحانه وتعالى أقرب إلى عين الإنسان من الإنسان، ومن الآفاق إلى الأجفان، موجود في كل مكان ما خلا منه مكان، منزّه عن المكان والزمان، متقدّس عن التمكن في مكان، ويكفيك ما في هذه الآيات من البيان:

[الوافر]

طَرِيقُ الْوَضَلِ سَهْلٌ إِنْ تُرْذَنِي	فَفِي (مَعْنَاكَ) فَاطِلُنِي تَجِدُنِي ^(٢)
قَرِيبٌ حَيْثُ كُنْتُ وَحَيْثُ تَعْدُو	وَحَيْثُ تَرَوْحُ فَاطِلُنِي تَجِدُنِي
وَلَمْ أَكْ غَائِبًا فَتَظُنُّ أَنِّي	بَعِيدٌ عَنْكَ فَاطِلُنِي تَجِدُنِي
وَإِنِّي مِنْكَ فِي قُرْبٍ وَبُعْدٍ	كَقَابِ الْقَوْسِ فَاطِلُنِي تَجِدُنِي ^(٣)
وَإِنِّي مِنْكَ أَقْرَبُ مِنْكَ حَتَّى	كَأَنَّكَ فِي اتِّحَادِ الْقُرْبِ أَنِّي
فَلَا تَسْأَلُ مِنَ الْعُشَاقِ عَنِّي	وَلَكِنْ يَا قَتِيلَ الشُّوقِ سَلْنِي
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ ظَمِئْتُ إِلَيَّ شَوْقًا	فَقَاطِعْ كُلَّ مَنْ تَهْوَى وَصِلْنِي ^(٤)
وَصَرِّخْ بِاسْمِ مَنْ تَهْوَى وَدَعْنِي	مِنْ (الوَاشِينَ) وَمَا نَقْلُوهُ عَنِّي ^(٥)
وَإِنْ (تَكُ) تَبْتَغِي مِنِّي بَدِيلًا	فَقَاطِعْنِي (وَوَادِعْنِي) وَدَعْنِي ^(٦)

(١) ق: 16.

(٢) كذا في: (ع) و(س) و(د): (معناك)، وفي (ب) و(و): (إياك)، وفيه تلميح إلى الحديث: "من عرف نفسه عرف ربه" سيأتي تأويله من قبل المؤلف.

(٣) غير وارد في: (ب) و(و).

(٤) في (ع): (كنت)، وينكسر بها الوزن، والصواب ما أثبتناه.

(٥) في (ع): (الواشي) ولا تستقيم وزنا ومعنى مع قوله الآتي: "وما نقلوه"، وفي (و): (الوشاة) ولا تستقيم وزنا، والصواب ما أثبتناه.

(٦) في (ع) و(ب) و(س): (تكن)، وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (د). وفي (ع): (ووادعني)،

سَتَذْكُرُنِي إِذَا جَرَّيْتُ غَيْرِي وَتَحْمَدُ كُلُّ أَمْرٍ كَانَ مِنِّي

فصل

اعلم أَنَّ البرَّ اللطيف، يلاطف عبده الضَّعيف، فيعامله/41/ بصفة الإفضال، لا بصفة الجلال، فإنه لو عاملك بصفة جلاله لتقطَّعت نياطُ⁽¹⁾ قلبك قبل الوصول إليه وإنما يعاملك بصفة لطفه، ويتعطف عليك من عطفة عطفه، فكلمًا زدتَه تعظيمًا زادك تكريما، وكلَّمًا فطم العبد نفسه عن تُذَيِّ حِسِّه وجنسه، غَدَّاه بلبان لطفه وأنسه، وكلَّمًا قطع عن بشرَّيته مادَّة مألوفه، أمدَّه بمَدَدٍ معروفه.

ألا ترى أَنَّ اللَّبْلَابَةَ وهي حشيشة حمراء لا ورق لها تطلع إلى جانب الكَرْمَةِ وتلتفُّ بها فتثبُّتُ معها وتنمو بنموها فلو قُطعت تلك اللَّبْلَابَةُ من أصلها ومنبتها لبقيت ببقاء الكَرْمَةِ تنمو بنموها وتحضُرُ بخضرتها لا تبالي بما قُطعت عنه، ولا بما فُصلت منه. فما بالك بمن تعلَّقت لِبْلَابَةٍ قلبه بكرم كرمه، وانقطعت إليه ومالت إليه وانقطعت مادَّتها عمَّا سواه فلم تعرف إِلَّا إِيَّاه، فذكره مصحوبها، وحُبُّه مطعومها ومشروبها، قال صلى الله عليه وسلم: "لستُ كأحدكم إِنِّي أَظْلُ عند رَبِّي يُطعمني وَيَسقيني"⁽²⁾، فليس هذا الطَّعام خبزاً وإداماً، وإنما هو طعامٌ بِرٍّ وإِنعام وإكرام ومحبة واحترام، فكان شُغله ما يفيض عليه من الوحي والإمداد الغيبي والشُّهود القُرْبِي (عن الطَّعام والشُّراب)⁽³⁾، شعر:

والمثبت من: (ب) و(و) و(س)، وهو الصواب لغة.

(1) نياط: عرق غليظ نبط به القلب إلى الوتين إذا قطت مات صاحبه على الفور، يجمع على أنواط ونوط. (لسان العرب: 418/7، والقاموس المحيط: 241/2).

(2) الحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيح، الحديث: 2068، «عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِيَّاكُمْ والوِصَال، قالوا: يا رسول الله إِنَّكَ تُواصل؟! قال: إِنِّي لست كأحدكم إِنِّي أبيتُ يُطعمني رَبِّي وَيَسقيني». وأخرجه ابن حبان في صحيحه، الحديث: 3574 والحديث: 3579 عن أنس بن مالك، والحديث: 6413 عن أبي هريرة.

(3) غير وارد في: (ع)، والإضافة من: (و) و(د).

[الخفيف]

يَا عَدُولِي سَلِّمْ إِلَيَّ قِيَادِي
 حُبُّهُ رَاحَتِي وَرُوحُ حَيَاتِي
 وَإِذَا مَا مَرَضْتُ فَهَوَ طَبِيبِي
 وَإِذَا مَا ضَلَلْتُ أَوْ ضَلَّ رَكْبِي
 يَا عَدُولِي فَكُنْ عَلَيْهِ عَذِيرِي
 إِنْ تَلَمَّنِي أَوْ لَا تَلَمَّنِي فَإِنِّي
 ثُمَّ دَغْنِي فَمَا عَلَيْكَ رَشَادِي
 وَكَذَا ذِكْرُهُ بَلَاغِي وَزَادِي/42/
 كُلَّمَا عَادَنِي بَلَّغْتُ مُرَادِي
 عَنْ جَمَاهُ فَوَجَّهَهُ لِي هَادِي
 أَوْ فَقُلْ لِي مَا جِلَّتِي وَاعْتِمَادِي
 حُبُّهُ مَذْهَبِي وَأَضَلُّ اغْتِقَادِي

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ منه فيقول: "لست كأحدكم" وتارة يردُّ عليه فيقول: "إنما أنا بشرٌ مثلكم"⁽¹⁾، وتارة تستغرقه المشاهدات الربَّانيَّة فيقول: "لي وقتٌ لا يسعني فيه غيرُ ربِّي"، وتارة تختطفه الجذبات الغريبة، فيقول: "ما أدري ما يفعل بي ولا بكم"⁽²⁾.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْوَارِدَاتِ⁽³⁾ الَّتِي كَانَتْ تَرُدُّ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةٌ

(1) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، الحديث: 386 "عن علقمة قال، قال عبد الله: صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا أَدْرِي زَادَ أَوْ نَقَصَ فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ قَالُوا صَلَّيْتَ كَذَا وَكَذَا، فَتَنَى رَجُلِيهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجَهُ قَالَ: إِنَّهُ لَوْ حَدَّثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَتَبَأْتَكُمْ بِهِ وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسُونَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي وَإِذَا شَكُّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصُّوَابَ فَلْيُتِمِّمْ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيَسَلِّمْ ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ"، وأخرجه مسلم في صحيحه الأحاديث: 891 و892 و893، وصحيح ابن حبان الحديث: 2656.

(2) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين، الحديث: 4869 "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَمَّا مَاتَ عِثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ قَالَتْ امْرَأَتُهُ هِنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ يَا عِثْمَانُ بْنُ مَطْعُونٍ فَظَنَرُ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: وَمَا يُذْرِيكَ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَارْسُكَ وَصَاحِبُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي، فَأَشْفَقَ النَّاسُ عَلَى عِثْمَانَ فَلَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَكَتِ النِّسَاءُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلْحَقُوها بِسَلْفِنَا الْخَيْرِ عِثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ، فَبَكَتِ النِّسَاءُ فَجَعَلَ عَمْرٌ يَضْرِبُهُنَّ بِسَوْطِهِ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ وَقَالَ: مَهْلًا يَا عَمْرُ".

(3) الوارد: «كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد». (التعريفات: 322)

موارد لكل واحد مَورد ومصدر، وهي الأرواح الثلاثة: الرُّوح الأمين؛ وهو جبريل عليه السَّلام، وروح القدس، وروح الأمر.

فَمَورد الرُّوح الأمين ظاهر القلب وهو الفؤاد، وللِفؤاد سَمع وبصر، وهو قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾⁽¹⁾، فالرُّوح الأمين يَرِدُ صَفَحَ القلب، وهو قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ﴾⁽²⁾، ومصدره من عالم سِدْرَةِ الْمُنتَهَى إذ إليها تنتهي علوم الخلاق فيرد بها مواهب الأفعال، وهذا من علم اليقين⁽³⁾.

وروح القدس مَورده باطن القلب وهو السُّوَيْدَاءُ⁽⁴⁾، وهو محلُّ النَّفْث، وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي"⁽⁵⁾، والنَّفْث ما يُلْقِيهِ الله تعالى إلى عبده إلهاماً كُشْفِيّاً/43/ بمشاهدة عين اليقين⁽⁶⁾، ومصدره من عالم العرش بحقائق الأسماء.

وروح الأمر مَورده السِّرُّ وهو باطن السُّوَيْدَاءِ، ومصدره من عين القدرة المطلقة الرُّبَانِيَّة والحضرة الوَحْدَانِيَّة، فيرد بتجليات أنوار الصِّفَات، وهذه حقيقة حَقِّ اليقين⁽⁷⁾، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا

ويراجع في: اصطلاحات الصوفية: 86).

(1) النجم: 11.

(2) الشعراء: 193 - 194.

(3) علم اليقين: «ما أعطى الدليل بتصور الأمور على ما هي عليه». (التعريفات: 201).

(4) السويدةاء: سويدةاء القلب وهو كبده ووسطه.

(5) أخرجه الشافعي في مسنده، الحديث: 1077 "عن المطلب بن حنطب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئاً مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه، وإنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قد نفث في رَوْعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نفسٌ حَتَّى تستوفي رزقها، فأجملوا في الطُّلُب". وأخرجه الشهاب في سنته، الحديث: 1068 عن عبد الله ابن مسعود.

(6) عين اليقين: «ما أعطته المشاهدة والكشف». (التعريفات: 206).

(7) حق اليقين: عبارة عن فناء العبد في الحق، والبقاء به علماً وشهوداً، وحالاً لا علماً فقط، فعلم كل عاقل الموت علم اليقين، فإذا عاين الملائكة فهو عن اليقين، فإذا أذاق الموت فهو حق اليقين، وقيل: علم اليقين: ظاهر الشريعة، وعين اليقين: الإخلاص فيها، وحق اليقين:

الْكِتَابَ وَلَا الْإِيمَانَ⁽¹⁾، ومن ها هنا: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾⁽²⁾.

فالرُّوح الأمين ينطق عن عالم المُلْك، وروح القُدُس ينطق عن عالم الملكوت⁽³⁾، وروح الأمر ينطق عن عالم الجبروت⁽⁴⁾.

فالرُّوح الأمين إذا تجلَّى لصفْح القلب اضطلَمَ وغاب غيبة الهيبة، ومن ها هنا يوم "زَمَلُونِي زَمَلُونِي"⁽⁵⁾.

وروح القُدُس إذا استولى على القلب غاب غيبة الحضور بمشاهدة العلويات المَلَكوتية، ومن ها هنا "لستُ كأحدكم إنَّما أظُلُّ عند ربِّي يطعمني ويسقيني" ثم يرجع من غيبة الحضور فيثبت بيان ما شاهد من الملكوت في عالم

المشاهدة فيها. (التعريفات: 102، ويراجع أيضا في اصطلاحات الصوفية: 22).

(1) الشورى: 52.

(2) النجم: 10.

(3) المَلَكوت: قال ابن عربي: «عالم الغيب» (اصطلاحات الصوفية: 179، ويراجع: رشح الزلال: 261).

(4) عالم الجبروت: قال ابن عربي: «عند أبي طالب عالم العظمة وعند الأكثرية العالم الأوسط» (اصطلاحات الصوفية: 197).

(5) فيه تلميح إلى حديث بدء الوحي الذي أخرجه البخاري في صحيحه الحديث: 3 "عن عائشة أم المؤمنين أنَّها قالت: أوَّل ما بُدِئَ به رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصُّبح ثم حَبَّ إليه الخلاء وكان يخلو بغار جراء فيتحنُّث فيه وهو التَّعبُد اللَّيالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوَّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوَّد لمثلها حتَّى جاءه الحقُّ وهو في غار جراء فجاءه المَلَكُ فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطَّنِي حتَّى بلغ مِنِّي الجَهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّنِي الثَّانية حتَّى بلغ مِنِّي الجَهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّنِي الثَّالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾، فرجع بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يزجُف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فزملوه حتَّى ذهب عنه الوُفُوع" الحديث. وأخرجه عن جابر بن عبد الله الأنصاري، الأحاديث: 2299 و4544 و4545، كما أخرجه مسلم في صحيحه الحديث: 231 عن السيدة عائشة، والحديث: 232 عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

الْمَلِكُ وهو معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁽¹⁾.

ومن ها هنا إشارة: "إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي"⁽²⁾ وليس ذلك الغَيْنُ غَيْنُ حجاب ولا غفلة، من ظَنُّ ذلك بنبِيّه فقد أخطأ في حَقِّه، وأساء ظَنَّهُ به، وإنَّما كان صلى الله عليه وسلم تستغرقه أنوار التَّجَلِّيَّاتِ فيغيب بذلك الحضور ثمَّ يسأل الله تعالى أن يستر عليه حاله فيطلب المغفرة/44/ وهي البِستَرُ؛ لأنَّها مأخوذة من المِغْفَرِ⁽³⁾، وكأنَّه سأل أن يستر حاله عليه غيرة منه عليه؛ لأنَّ الخواصَّ لو دام لهم التَّجَلِّي وما يُكاشفهم به الحقُّ سبحانه وتعالى لتلاشَوْا عند ظهور سلطان الحقيقة، فالبِستَرُ لهم هنالك رحمة.

وأما ستر العوامِّ فعقوبة لأنَّه حجاب لهم وغطاء على أعين بصائرهم فإنَّهم مستترون عنه بغيره، والخواصَّ مستترون به عمَّا سواه.

وأما روح الأمر إذا استولى أخذه منه وغَيَّبه عنه حتَّى ينظر الحقائق الرُّبَّانِيَّةَ في دار الفُرْدَانِيَّةِ ومن ها هنا "لي وقت لا يسعني فيه غيرُ ربِّي".

فروح القدس مُتَلَقٍّ من روح الأمر، والروح الأمين مُتَلَقٍّ من روح القدس وهو سرُّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾⁽⁴⁾، فلو لم يكن مُتَلَقِّياً من غير جبريل لَمَا كان يُسابق جبريل في تلاوته، فكم بين يوم: "يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ"، وهو يقول: "يَا صَاحِبَ لَسْتِ بِقَارِيءٍ"، ثمَّ يرجع إلى خديجة، رضي الله عنها يقول: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي"، فشَتَّانَ بينه وبين يوم: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾، فيوم "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" إشارة إلى البدايات الوَحْيِيَّة، ويوم: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ إشارة إلى النِّهَايَاتِ الكَشْفِيَّة، ونظير ذلك

(1) النحل: 102.

(2) أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه"، الحديث: 4870، عن الأغرِّ المُرَنَزِي وكانت له ضجةٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَعْفِزُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً".

(3) المغفر: مثل القلنسوة يلبس تحتها.

(4) طه: 114.

لأهل البدايات قول الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾⁽¹⁾؛ أي انزعجت وخافت، وهذه صفة أهل البداية.

وأما أهل النهاية فصفتهم التمكن⁽²⁾ والثبوت والطمأنينة، قال الله/45/ تعالى واصفاً لهم: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁽³⁾.

وكان معروف الكرخي⁽⁴⁾، رضي الله عنه، كثيراً ما يقول في مجلسه: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، فقام إليه رجل من أصحابه، وقال: يا سيدي إذا كان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، فعند ذكر الله تعالى ماذا ينزل؟ فغشي على الشيخ ساعة ثم أفاق وقال: عند ذكر الله تنزل الطمأنينة ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾»⁽⁵⁾.



فصل

ومن ها هنا عُرِفَ التلوين⁽⁶⁾ والتمكن⁽⁷⁾؛ فالتلوين عبارة عن الانتقال من

(1) الأنفال: 2.

(2) في هذا المحل وفي نظائره ستأتي بتبدي من كلام المؤلف أن التمكن حال أهل الوصول ومن ثم فهو المقام الأكمل، ومقام التلوين مقام ناقص، في حين يذهب ابن عربي إلى نقض هذا، يقول في تعريف التلوين: «تقلُّ العبد في أحواله، وهو عند الأكثرين مقام ناقص وعندنا هو أكمل المقامات، وحال العبد فيه حال قوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]» (اصطلاحات الصوفية: 175). وقال القاشاني: «والظاهر أن لا مصادمة بين الاعتبارين». (رشح الزلال: 236).

(3) الرعد: 28.

(4) هو أبو محفوظ معروف الكرخي من كبار المشايخ الزهاد، أستاذ السري السقطي توفي ببغداد سنة 200 هـ، وقيل 201 هـ. (الرسالة القشيرية: 20 - 21، وطبقات الأولياء: 47/1 - 48، والطبقات الكبرى للشعراني: 69/1).

(5) الرعد: 28.

(6) التلوين: «هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة». (التعريفات: 91).

(7) التمكن: «هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تمكين، لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتصل فقد حصل التمكن». (التعريفات: 91)، وفي اصطلاح ابن عربي: «هو التمكن في التلوين» (اصطلاحات الصوفية: 175).

حال إلى حال، وتحول من وصف إلى وصف، والترقي من مقام إلى مقام، وهذا كله وصف من هو في الطريق لم يصل إلى الآن، فما دام في الطريق فهو مُتَلَوِّن فإذا وصل المنزل فهو مُتَمَكِّن.

قلت: والذي يترجَّح عندي أنَّ المتلَوِّن قابل للزيادة والنقص في حاله ومقامه بحسب فنائه عن بشرئته ورجوعه إليها، والمُتَمَكِّن آمن من النقص لخنوس⁽¹⁾ إحساسه وانخلاعه عن نفسه وفنائه عن جُثمانِيَّته؛ لاستيلاء سلطان الحقيقة عليه، ومحوه في ثبوتها وفنائه في بقائها، فهو متمكِّن من حاله لا يرده الحق إلى معلومات نفسه، ولا مألوفات حَيِّه، بل هو متمكِّن من حاله بحسب ما يستحقُّ من الحق [سبحانه وتعالى]⁽²⁾.

نكتة:

فعلى هذا التقدير كان موسى عليه السلام متلَوِّناً إذ رجع من حضرة المناجاة والمكالمة، وقد أثر حاله على وجهه فلا/46/ ينظر إليه أحد إلا عَمِيَ لتمكُّن حاله فيه حتَّى أَذِنَ اللهُ له أن يَتَبَرَّقَ فتبرقع.

ومحمَّد صلى الله عليه وسلم كان متمكِّناً لأنَّه رجع من حضرة المشاهدة ولم تؤثر فيه حالة ولا غلب عليه أمر، فهو متمكِّن لأنَّه لم يزل في حضرة ومشاهدة فنقل من حضرة إلى حضرة، ومن رؤية إلى رؤية، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ"، وكقوله: "لي وقت لا يسعني فيه غير ربي".

ونظير هذا قصَّة زليخا⁽³⁾ وصواحباتها، كنَّ صواحباً لها أصحاب تلوين، فلذلك لم يُطقن الثبوت عند تجلِّي جمال يوسف عليه السلام بل ذهبن بمشاهدته حتَّى أثر فيهنَّ الحال، وأخرجهنَّ عن طُور الإحساس، واعتراهنَّ الالتباس حتَّى قلن:

(1) الخنوس: الانقباض والاستخفاء. (لسان العرب: 71/6).

(2) لم ترد في النسخ المعتمدة، وأضافها من حل الرموز بتحقيق الشاغول المستند إلى النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية بمصر.

(3) زليخا: قال الشهاب: بفتح الزاي، وضمها خطأ، امرأة العزيز، قال الثعلبي هي زليخا بنت موسى. (الكشف والبيان: 54/7).

﴿ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾⁽¹⁾ وقطعن أيديهن ولم يشعرن، وأما زليخا فلتمكنها من حالها ما تغيّر عليها الحال، ولا أثر ذلك فيها؛ لأنها لم تنزل في مشاهدة يوسف حاضرة معه⁽²⁾، وقد أنشدك لسان حالها مترجما عن مقالها:

[الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعْنَى حَدِيثِكَ لِي يُزَوِّ
فَلَا مُهَجَّتِي تُشْفِي وَلَا كَيْدِي (يُزَوِّ)⁽³⁾
نَظَرْتُ فَلَمْ أَنْظُرْ سِوَاكَ أَحَبُّهُ
وَلَوْلَاكَ مَا طَابَ الْهَوَى لِلَّذِي يَهْوَى
وَلَمَّا اجْتَلَكَ الْفِكْرُ فِي خُلُوعِ الرِّضَا
وَعَظِيبَتِ قَالِ النَّاسِ ضَلَّتْ بِهِ الْأَهْوَا
لَعَمْرُكَ مَا ضَلَّ الْمُحِبُّ وَمَا غَوَى
وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا عَمُوا أَخْطَأُوا الْفَشْوَى
وَلَوْ شَاهَدُوا مَعْنَى جَمَالِكَ مِثْلَ مَا
شَهِدْتُ بَعَيْنِ الْقَلْبِ مَا أَنْكَرُوا الدَّغْوَى
خَلَعْتُ عِذَارِي فِي هَوَاكَ وَلَمْ يَكُنْ
خَلِيعَ عِذَارِ سِرُّهُ فِي الْهَوَى نَجْوَى⁽⁴⁾

(1) يوسف: 31.

(2) نحو هذا قول بعضهم:

غابت صفات القاطعات أكفها	في شاهد هُوَ في البرية أبدع
ففتين عن أوصافهن فلم يكن	من نعتهن تليد وتوجع
وقيام امرأة العزيز بيوسف	يد نفسه ما كان يوسف يقطع

(التعرف: 145).

(3) كذا في (ع) و(س)، وفي (و): (تروى)، وكلا الروايتين صحيحتين لأن الكبد تذكر وتؤنث.

(4) خلعت عذارى: العذار؛ عذار اللجام، يقال عذرت الفرس أي ألجمته، وخلع العذار كناية عن خلع الحياء، ويقال للشباب المنهمك في غيه. (المحكم والمحيط: 73/2).

وَمَزَّقْتَ أَثْوَابَ الْوَقَارِ تَهْتِكًا
 عَلَيْكَ وَطَابَتْ فِي مَحَبَّتِكَ الْبَلْوَى/47/
 فَمَا فِي الْهَوَى شَكْوَى وَلَوْ مَزَّقَ الْحَشَا
 وَعَارَ عَلَى الْعُشَاقِ فِي حُبِّكَ الشَّكْوَى
 وَمَا عَلِمُوا فِي الْحُبِّ دَاءَ سَوَى الْهَوَى
 وَعِنْدِي أَثْوَابُ الْهَوَى كُلُّهَا أَذْوَا
 وَكَمْ كُنْتُ مِنْ خَوْفِ الْهَوَى أَتْقَى الْهَوَى
 وَلَكِنَّمَا حُكْمُ الْهَوَى غَلَبَ التَّقْوَى

فصل

واعلم أنَّ التَّلَوِينَ والتَّمَكِينَ وصفان يُشيران إلى حالَتَيْنِ في محلَّين، فحال التَّلَوِينَ في محلِّ دار المُلْكِ⁽¹⁾، وحال التَّمَكِينَ في محلِّ دار المَلَكُوتِ، وهما عالما الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، فمن شهد عالم الغيب غاب عن عالم الشَّهَادَةِ، فلم يبق له رجوع إلى ما غاب عنه، فهو متمكِّن في شهوده غائب عن وجوده. ونسبة ذلك من الأدمي قلبه وقالبه، فالقوالب عالم الشَّهَادَةِ في دار المُلْكِ، والقلوب عالم الغَيْبِ في دار المَلَكُوتِ، فجُثْمَانِيَّتُكَ عالم مُلْكِكَ، وروحانِيَّتُكَ عالم مَلَكُوتِكَ.

فمن أشرفه الله تعالى على جوارحه فاستعملها في مصالحه فقد ملك دار مُلْكِهِ، ومن أشهده الله غَيْبَ قلبه وأنزله منازل قربه وحبَّه فقد شهد ملكوت ربِّه. فأنت مكوَّن من كَوْنَيْنِ، مخلوق من عالمَيْنِ سُفْلِيٍّ وَعُلْوِيٍّ، مُلْكِيٍّ وَمَلَكُوتِيٍّ، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾⁽²⁾، فكان من التَّسْوِيَةِ جُثْمَانِيَّتُكَ البشريَّةَ، وكان من النَّفْخِ روحانِيَّتُكَ المعنويَّةَ.

(1) المُلْكُ: قال ابن عربي: «عالم الشَّهَادَةِ» (اصطلاحات الصوفية: 179، وراجع: رشح الزلال:

(261).

(2) الحجر: 29.

فكل مخلوق خلق من كلمة "كُنْ"⁽¹⁾ وأنت كذلك، وأنت زدت على ذلك بالتسوية والتفخ فمالك من بركات التسوية حركات جوارحك لخدمته، ونالك من بركات التفخ حركات روحانيتك لمحبتته ومعرفته.

فأنت أنموذج⁽²⁾ الكون ومُراد الكون، والكون مُراد لا لنفسه بل/48/ لأجلك وأنت مُراد لذاتك، والحق سبحانه وتعالى خلق الكون لأجلك، وخلقك لأجل محبته ومعرفته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽³⁾؛ أي: يوجدون⁽⁴⁾، وقيل يعرفوني⁽⁵⁾، وهو معنى قوله: "كنت كنزاً لا أعرف فأحييت أن أعرف فخلقت خلقاً وتعرفت إليهم، فبي عرفوني".

(1) تلميح إلى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: 40]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: 68]، وفي هذا المعنى يقول المؤلف: «وَكُونُ بكلمة "كُنْ" جميع الكائنات، وأوجد بها جميع الموجودات. فلا موجود إلا مُستخرج من كُنْها المكنون، ولا مكنون إلا مُستخرج من سِرِّها المضمون». ونحوه أيضاً قوله: «وبعدُ فَإِنِّي نظرتُ إلى الكون وتكوينه، وإلى المكنون وتدوينه فرأيتُ الكونَ كُلَّ شجرةٍ وأصلُ نورها من محبة "كُنْ"». (الشجرة: 332). ونحوه أيضاً قوله: «لأن ما كان ويكون مُستخرج من "كن" ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾» (تلخيص العبارة: 28)، ثم إن هذا الكون كله جعل «من عنصرين متمازجين من جزأين من كلمة "كن" وهما؛ الظلمة والنور». (الشجرة: 338).

(2) أنموذج الكون: بنو آدم، وقد خلق آدم وبنوه أنموذج الكون ومركزه من جرم وإن صغر فقد انطوى فيه الكون الأكبر من العنصرين المتمزجين من جزأين من كلمة "كن"؛ أي الظلمة والنور، فخالف تكوينه تكوين كل من الملائكة المخلوقة من عنصر النور/الخير، والشياطين المخلوقة من عنصر الظلمة/الشر، «وركب غنضه من الخير والشر، والنفع والضّر، وجعلت ذاته قابلة للمعرفة والتكثرة، فأبى جوهر غلب عليه نُسب إليه، فإذا علا جوهر نوره على جوهر الظلمة وظهور روحانيته على جسمانيته فقد فضّل على الشيطان». (الشجرة: 338).

(3) الذاريات: 56.

(4) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 5335/2.

(5) نفسه، والقول بهذا التأويل لمجاهد، قال الثعلبي: «وهذا قول حسن لأنّه لو لم يخلقهم لما عُرف وجوده وتوحيده».

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْكَوْنَ نَسْخَةٌ مِنْكَ⁽¹⁾، لَا أَنَّكَ نَسْخَةٌ مِنَ الْكَوْنَ، لِأَنَّ فِيكَ مَا فِي الْكَوْنَ وَتَزِيدُ عَلَى مَا فِي الْكَوْنَ بِمَا خَصَّكَ بِهِ مِنْ مَعَارِفِهِ وَحُكْمِهِ وَأَسْرَارِهِ وَأَنْوَارِهِ وَتَجَلِّيَاتِهِ وَمُنَازِلَاتِهِ، كَمَا أَنَّ الْفِيلَ وَإِنْ كَبُرَ فَهُوَ نَسْخَةٌ مِنَ الْبَعُوضَةِ وَإِنْ صَغُرَتْ؛ لِأَنَّ فِيهَا مَا فِي الْفِيلِ مِنْ جَمِيعِ أَجْزَائِهِ وَجَوَارِحِهِ وَتَزِيدُ عَلَيْهِ بِأَجْنَحَتِهَا.

وقد أشرتُ إلى ذلك في هذه الآيات فافهم:

[المقارب]

إِذَا كُنْتَ تَقْرَأُ عِلْمَ الْحُرُوفِ	فَشَخْصُكَ لَوْحٌ بِهِ أَشْطَرُ
وَيَمْنَالُ ذَلِكَ أَنْموذَجَ	لِكُلِّ الْوُجُودِ لِمَنْ يُبْصِرُ
حُرُوفَ مَعَانِيكَ لَا تَنْقَرِي	لِذِي الْجَهْلِ كَلًّا وَلَا تَظْهَرُ
وَمَنْ يَكُ غَدًّا بِأَسْرَارِهَا	فَمَعْرُوفُهَا عِنْدَهُ مُنْكَرُ
(فَإِنْ) كَانَ جِزْمُكَ جِزْمًا صَغِيرًا	فَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ ⁽²⁾
وَلَا دَرَّةٌ مِنْكَ إِلَّا غَلَدَتْ	بِهَا يُوزَنُ الْكَوْنُ بَلْ أَكْثَرُ
وَلَا قَطْرَةٌ مِنْكَ إِلَّا وَفِي	يَتَابِعُ أَشْرَارَهَا أَنْحُرُ
وَكُلُّ الْوُجُودِ إِذَا قَسَتْهُ	إِلَيْكَ فَذَاكَ هُوَ الْأَضْعَرُ
وَمَا فِيهِ مِنْ عَرَضٍ حَاضِرٍ	يَزُولُ وَأَنْتَ بِهِ جَوْهَرُ / 49/
فَأَنْتَ الْوُجُودُ وَكُلُّ الْوُجُودِ	وَمَا فِيكَ مَوْجُودٌ لَا يُخْصَرُ
وَفِيكَ أَشْجَعٌ لَاهُوتِهِ	مِنَ الْبَدْرِ فِي (تَمِّهِ) أَنْوَرُ ⁽³⁾
فَشَمْسُ الْمَعَارِفِ إِشْرَاقُهَا	مِنَ الشَّمْسِ فِي ضَوْئِهَا أَظْهَرُ
لَقَدْ أَظْهَرْتَ نَسَمَاتِ الْقُلُوبِ	خَفَايَا الْغُيُوبِ لِمَنْ يَنْظُرُ
سَمَاءَ عَلَى قُطْبٍ تُوَحِّدُهُ	تَدْوُرُ اشْتِيَاقًا فَلَا تَقْصُرُ

(1) صنف في هذا الموضوع المؤلف تأليفا سماء: "رسالة في تشبيه الإنسان بمملكة البنيان".

(2) في (و) و(د): (لثن)، والجرم: الجسد، والبيت ينظر إلى قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

أَتَزْعَمُ أَنَّكَ جِزْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

(ديوانه: 86)

(3) في: (و) و(د): (نوره)، والبدر التم سبق شرحه.

لَهَا مِنْ أَشِيعَةِ عِزِّهَا
فَمَشْرِفُهَا أَفُقُ سُؤْدَاتِهَا
وَعَرْشُ الصَّفَاءِ لَهَا مَرْكَزُ
هُنَاكَ الْمَلِكُ تَجَلَّى لَهَا
فَقَامَتْ بِتَحْقِيقِ مَأْمُورِهِ
(وَتَزَنَّاغِ) مَزْنَعِ أَخْبَابِهَا
رُعُودُ (الْجَفَاءِ) إِذَا مَا جَرَتْ
وَإِنْ أَغْوَزَ الْعَيْثُ حَضْبَاءَهَا
فَرَوْضُ رِيَاضَتِهَا مُزْهِرُ
تَمْرُ بِهَا نَسَمَاتُ الْقَبُولِ
وَيَسْرِي إِلَى السِّرِّ مِنْ عَزْفِهَا
فَيَسْكُرُ نَاشِقُ أَنْفَاسِهَا
يُطَافُ بِكَاسَاتِ رَاحَتِهَا
وَتُتَلَّى بِخَانَاتِ سَاحَاتِهَا
فَمَنْ صَمَّ عَنْ سَمْعِ الْحَانِهَا
وَمَنْ صَدَّ عَنْ بَابِهَا مُغْرَضاً

تُجُومُ بِإِخْلَاصِهَا تَزْهِرُ
وَمَغْرِبُهَا سِرُّهُ الْمُضْمَرُ
إِلَيْهِ انْتَهَى كُلُّ مَا يُسْطَرُ
وَأَوْحَى لَهَا كُلُّ مَا يُؤْمَرُ
عَلَى أَنَّهَا أَبَدًا تُحْدَرُ
وَلَا عَجَباً حَيْثُ لَا تُبْصَرُ⁽¹⁾
فَبَزُقُ (الرَّجَاءِ) لَهَا مُسْفِرُ⁽²⁾
فَمَاءُ الْحَيَاءِ بِهَا يَقْطُرُ
وَرَحْبُ مَحَبَّتِهَا مُثْمِرُ
فَيَبْدُو شَذَا الْمِسْكِ بَلْ أَغْطُرُ
لَطَائِفُ تَطْوِي وَلَا تُنْشَرُ
وَمَنْ يَكُ مَزْكُوماً لَا يَسْكُرُ
وَفِي حَانِهَا حِلَلُ الْمُسْكِرُ
مَثَانٍ لِلذِّكْرِ لَا تَفْشُرُ
فَذَاكَ الشَّقِيُّ هُوَ الْأَخْسَرُ
فَذَاكَ الْعَوِيُّ هُوَ الْمُذْبِرُ /50/



فصل

فمن فتح الله عينَ يَظْفَظْته وأشهدَه خفايا سريرته عِلِمَ أَنَّهُ لم يكن في الكونين ولا في العالمين من المفترقات شيء إلا وهو مُندمج في طوايا ذاته، مُندرج في خفايا صفاته، وهذا سرُّ قوله: "من عرف نفسه عرف ربَّه"⁽³⁾.

(1) في (ع): (ترتع)، والمثبت من: (و).

(2) في (ع): (الخفاء)، والمثبت من: (ب)، وفي (ع): (الرجاء)، وينكسر بها الوزن والصواب ما أثبتناه.

(3) اللآلئ المنثورة للزركشي: 129/1، والمقاصد الحسنة: 220/1، والدرر المنتشرة للسيوطي:

وقد ظهر لي من سرِّ هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحسن وصفه، وهو أن الله تعالى وضع هذه الرُّوح الرُّوحانيَّة في هذه الجُثَّة الجُثمانِيَّة لطيفة لاهوتيَّة مودوعة في كثيفة ناسوتيَّة دالَّة على وحدانيَّته وفردانيَّته، ووجه الاستدلال بذلك من عشرة أوجه:

(الوجه)⁽¹⁾ الأول: أن هذا الهيكل الإنساني لمَّا كان مُفتقراً إلى مدبِّر ومحرك، وهذه الرُّوح تدبِّره وتحركه، علمنا أن العالم لا بدَّ له من محرك ومدبِّر. (الوجه)⁽²⁾ الثاني: لمَّا كان مدبِّر الجسد واحداً وهو الرُّوح، علمنا أن مدبِّر هذا العالم واحد لا شريك له في تدبيره وتقديره، لا جائز أن يكون له شريك في ملكه، قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا أَبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ غُلُوًّا كَبِيرًا﴾⁽⁴⁾، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَغْضُهُمْ عَلَىٰ بَغْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾⁽⁵⁾.

الوجه الثالث: لمَّا كان هذا الجسد لا يتحرك إلا بإرادة الرُّوح وتحريكها له، علمنا أن له مُريداً لما هو كائن/51/ في كونه، لا يتحرك متحرك بخير أو شرٍ إلا بتقديره وإرادته وقضائه.

الوجه الرَّابِع: لمَّا كان هذا الجسد لا يتحرك منه شيء إلا بعلم الرُّوح وشعورها له، لا يخفى على الرُّوح من حركات الجسد وسكَّاته شيء، علمنا أنه لا

18/1، وكشف الخفاء للعجلوني، الحديث: 25322، وللحافظ السيوطي تأليف سماء: القول الأشبه في حديث: "من عرف نفسه عرف ربه" ضمنه الحاوي. وفي معنى الحديث "عن عائشة سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَعْرِفَ النَّاسَ بِرَبِّهِ؟ قَالَ: أَعْرِفَهُمْ بِنَفْسِهِ".

(1) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب) ليناسب ما بعده.

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب) ليناسب ما بعده.

(3) الأنبياء: 22.

(4) الإسراء: 42، و43.

(5) المؤمنون: 91.

يعزُب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

الوجه الخامس: لمّا كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقرب إلى الرُّوح من شيء بل هو قريب إلى كلّ شيء في الجسد، علمنا أنّه قريب إلى كلّ شيء، ليس شيء أقرب إليه من شيء ولا شيء أبعد عنه من شيء، لا بمعنى قرب (المساحة)⁽¹⁾ لأنّه منزّه عن ذلك.

الوجه السادس: لمّا كان الرُّوح موجودا قبل وجود الجسد ويكون موجودا بعد عدم الجسد، علمنا أنّه سبحانه موجود قبل كون خلقه، ويكون موجودا بعد فقد خلقه، ما زال ولا يزال وتقدّس عن الزوال.

الوجه السابع: لمّا كان الرُّوح في الجسد لا يُعرف له كيفية، علمنا أنّه سبحانه متقدّس عن الكيفية.

الوجه الثامن: لمّا كان الرُّوح في الجسد لا يُعرف له أُنْيّة، علمنا أنّه سبحانه تقدّس عن الأُنْيّة ولا يُوصف بأُيْن ولا بكيف، بل الرُّوح موجود في سائر الجسد، ما خلا منه شيء من الجسد، كذلك الحقُّ سبحانه وتعالى موجود في كلّ مكان ما خلا منه مكان، وهو منزّه عن المكان والزّمان.

الوجه التاسع: لمّا كان الرُّوح في الجسد لا تُجسُّ ولا تُمَسُّ ولا تُحسُّ/52/، علمنا أنّه منزّه عن الجسِّ والجسِّ واللّمس والمِس.

الوجه العاشر: إنّهُ لمّا كان الرُّوح في الجسد لا يُدرك بالبصر، (علمنا أنّه سبحانه لا تُدرّكه الأبصار)⁽²⁾، ولا يُمثّل بالصُّور والآثار، ولا يشبّه بالشُّموس والأقمار، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁽³⁾ فهذا معنى قوله: "مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ"⁽⁴⁾ فطوبى لمن عرف وبذنبه اعترف.

(1) في (ب) و(و): (المسافة).

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و) و(ب).

(3) الشورى: 11.

(4) سبق تخريجه.

وفي هذا الحديث تفسير آخر⁽¹⁾، وهو أن تعرف صفات نفسك على الضد من صفات ربك، فمن عرف نفسه بالعبودية، عرف ربه بالربوبية، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالخطأ والجفا، عرف ربه بالعطاء والوفا، ومن عرف نفسه كما هي، عرف ربه كما هو. واعلم أنه لا سبيل لك في معرفة إياك، فكيف لك سبيل إلى معرفة إياه كما إياه⁽²⁾.

فكأنه في قوله: "من عرف نفسه عرف ربه" علق مستحيلا على مستحيل (لأنه)⁽³⁾ يستحيل أن تعرف نفسك وكيفيتها وكميتها، فإنك إذا كنت لا تطيق أن تصف نفسك التي هي بين جنتيك بكيفية ولا أئيتة ولا بجئية ولا شجئية ولا هيكلية، ولا هي بمرئية فكيف يليق لعبوديتك أن تصف الربوبية بكيف وأين وهو منزّه عن الكيفية والأين.

شعر في المعنى:

[الرمل]

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ	قَصِرَ الْقَوْلُ فَذَا شَرْحٌ يَطُولُ
فِي مَعَانِي سِرٍّ مَا أَوْضَحْتُهُ	جُمْلٌ يَعْجُزُ عَنْهَا وَفُصُولُ ⁽⁴⁾ /53/
ثُمَّ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ	ضُرِبَتْ، وَاللَّهُ، أَغْنَاكَ الْفُحُولُ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِلَّاكَ وَلَا	تَذَرِي مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولُ
لَا وَلَا تَذَرِي صِفَاتِ رُكْبَتِ	فِيكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولُ
أَيَّنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا	هَلْ تَرَاهَا فَتَرَى كَيْفَ تَجُولُ؟
هَذِهِ الْأَنْفَاسُ هَلْ تَحْضُرُهَا	لَا وَلَا تَذَرِي مَتَى عَنْكَ تَزُولُ؟

(1) ذكر هذا التأويل أيضا الشخاوي في مقاصده الحسنة: 220/1، وابن غانم الأسبق إليه.

(2) نحو هذا أيضا قول يوسف بن الحسين لما سئل: بماذا يعرف العبد ربه؟ قال: «العبد عاجز عن معرفة نفسه فكيف معرفة ربه؟». (التعرف: 15).

(3) في (ع): (لا)، والمثبت من: (و) و(ب).

(4) غير وارد في باقي النسخ المعتمدة.

أَيْنَ مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْفَهْمُ إِذَا
 غَلَبَ النَّوْمُ فَقُلْ لِي يَا جَهْلُولُ؟
 أَيْنَ نُورُ الشَّمْسِ لَمَّا انْدَرَجَ
 غَنِيهِبِ اللَّيْلِ وَنَاءَتْ لِلْأَقْوَلِ؟⁽¹⁾
 أَنْتَ أَكُلَ الْخُبْزِ لَا تَعْرِفُهُ
 كَيْفَ يَجْرِي فِيكَ أَمْ كَيْفَ تَبُولُ؟
 فَلَمَّا كَانَتْ طَوَايَاكَ الَّتِي
 بَيْنَ جَنْبَيْكَ بِهَا أَنْتَ ضَلُولُ
 كَيْفَ تَذَرِي مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 لَا تَقُلْ: كَيْفَ اسْتَوَى كَيْفَ التَّزُولُ؟
 كَيْفَ أَنْ تَخْكِي أَنْ تَرَى كَيْفَ يَرَى
 فَلَعَنِمِرِّي لَيْسَ ذَا إِلَّا فُضُولُ
 إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ، فَقَدْ مَثَلْتُهُ
 أَوْ تَقُلْ: أَيْنَ، فَقَدْ رُمْتَ الْحُلُولُ⁽²⁾
 هُوَ لَا أَيْنَ وَلَا كَيْفَ لَهُ
 وَهُوَ رَبُّ الْكَيْفِ وَالْكَيفُ يَحُولُ⁽³⁾
 هُوَ (رَبُّ) الْفَوْقِ لَا فَوْقَ لَهُ
 وَهُوَ فِي كُلِّ التَّوَاجِي لَا يَزُولُ⁽⁴⁾
 جَلُّ ذَاتًا وَصِفَاتًا وَسَمًا
 وَتَعَالَى قَدْرُهُ عَمَّا أَقُولُ



فصل

واعلم أنه "من عرف نفسه عرف ربه"، وعرف ما يُراد منه فأشغل نفسه واستعملها في ما خلقت له، فأوقفها في مواقف العبودية للقيام بحقوق الربوبية ومتى اشتغلت بمعارضة الربوبية فاتتها العبودية ولم تدرك الربوبية. وها أنا أشرح لك صفات ذاتك ومعنى صفاتك، لتعلم/54 ما يُراد منك في حياتك ومماتك.

فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى لما أراد أن يُنشئ صورة آدم⁽⁵⁾ من زمن

(1) غير وارد في: (ب) و(و) و(د).

(2) غير وارد في: (ب) و(س).

(3) غير وارد في: (و).

(4) في (س) و(د): (فوق).

(5) المظهر الأول لصورة آدم عليه السلام هو خلقه: «على صورة اسمه، لأن اسمه مُحَمَّد، فرأى آدم دائرة بتدويره على صورة الميم الأولى من اسمه، وإرسال يديه مع جنبه على صورة الحاء، ويطنه على صورة الميم الثانية، ورجلاه في انفتاحهما على صورة الدال. فكمُلَ خَلْقُ آدم على صورة اسم محمد صلى الله عليه وسلم»، وأما حكمته عز وجل في التكوين فكان

تقادم ابتناها على صورة مدينة، وأتقن فيها من المباني ما يدلُّ على قدرة الباني⁽¹⁾، وحرَّك فيها مَثَالَتْ ومَثَانِي⁽²⁾، يُشيران إلى أن ليس له ثاني، ثمَّ نصب وسط هذه المدينة قصر المملكة، وبثَّ حوله أَشْرَاكَ المَهْلَكَة، وسَمَّى ذلك القصر بالقلب⁽³⁾ إذ هو بيت الربِّ، وجعل مدار هذه المدينة عليه، ومرجع الكلِّ إليه بإشارة: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

ووضع في هذا القصر سرير العزِّ والسُّلطان، وأجلس عليه ملكاً يقال له الإيمان، وبثَّ الجوارح في خدمته كالغلمان⁽⁴⁾، فقال اللِّسان: أنا التُّزْجُمان، وقالت العينان: نحن الحارستان، وقالت الأذنان: نحن الجاسوسان، وقالت القدمان: نحن السَّاعيان، وقالت اليدان: نحن العاملان، وقال المَلَكُان: نحن الشَّاهدان، وقال صاحب الدِّيوان: كما تَدِين تُدَان⁽⁵⁾.

«لإظهار شرف الماء والطَّين (...) وحكمته في وجود الآدمي لإظهار شرف النَّبي صلى الله عليه وسلم لأنَّه حكمة الأجساد (...) فكان المقصودُ في الوجود معرفة موجدِهِم سبحانه» (الشجرة: 340).

- (1) وفي المعنى ذاته قال المؤلف: «كَوْنَ الْأَكْوَانِ اقْتِدَاراً عَلَيْهَا، لَا اقْتِفَاراً إِلَيْهَا». (الشجرة: 340).
- (2) المثلث والمثاني: جمع المثلث والمثنى، فمن أوتار العود الزير والذي يليه المثنى ومنهم ما يسميه الثاني والمثلث ومنهم من يسميه البُتْمُ. (المخصص لابن سيده: 122/3).
- (3) وفي القلب قال أيضا المؤلف: «وجعل القلب بمنزلة العرش؛ لأنَّ عرشه في السَّماء معروف وعرشه في الأرض مسكون، لأنَّ عرش القلوب أفضل من عرش السَّماء، لأنَّ ذلك العرش لا يَسْعُهُ ولا يحمله ولا يُدرِكه، وهذا عرش في كلِّ حين ينظر إليه ويتجلَّى عليه، وينزل من سماء كرمه إليه "مَا وَسِعْتَنِي سَمَاوَاتِي وَلَا أَرْضِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ"» (الشجرة: 346).

- (4) ونحوه قوله أيضا: «ثمَّ جعل الحواسَّ رُسُلَ القلب يَسْتَنْسِخُ ما حَصَلَ فيها فالسمع رسولٌ وهو جاسوسه، والبصرُ رسولٌ وهو حارسه، واللِّسانُ رسولٌ وهو تَزْجُمانه» (الشجرة: 346).
- (5) فيه تلميح إلى الحديث الذي أخرجه عبد الرزاق في مصنفه الحديث: 20262، ومعمّر ابن راشد في جامعته الحديث: 874، كلاهما عن أبي قلابة قال: "قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: الْبِرُّ لَا يَبْلَى وَالْإِثْمُ لَا يَنْسَى وَالذِّيَانُ لَا يَمُوتُ فَكُنْ كَمَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ".

ثم جعل له وزيراً وهو العقل، فقال الوزير: أيُّها المَلِكُ لا بدَّ لك من خاصَّة تصطفيهم لنفسك خلاصة يُؤثرونك على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة⁽¹⁾.

فأول ما تحتاج إلى تاج وهو الولاية، وإلى مِعراج وهو العناية، وإلى دليل وهو الهداية، ثم لا بدَّ من مَزكوب وهو/55/ الصِّدق، وإلى خُلَّة وهي السَّكينة⁽²⁾، ومن حاجب وهو العلم، ومن بؤاب وهو الورع، ومن سيَّاف وهو الحقُّ، ومن كاتب وهو المُرَاقبة⁽³⁾، ومن سجن وهو الخوف، ومن ميدان وهو الرِّجاء، ومن سراج وهو الحكمة، ومن نديم وهو الفكر، ومن خزانة وهو اليقين، ومن كنز وهو القناعة⁽⁴⁾، ومن صاحب بريد وهو الفِراسة⁽⁵⁾.

ثم تنظر أيُّها المَلِكُ إلى رَعِيَّتِكَ بعين الرِّحمة، وتفتح خزائن الحكمة، وتعديل بينهم في القسمة، وتبعث إلى كلِّ واحد قسمة يُقيم بها رَسْمَهُ. فقال المَلِكُ: انظر أنت في الرِّعية، وأزل عنهم الشَّكِيَّة، وتولَّ تفرقة الجامِكيَّة⁽⁶⁾.

(1) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مِنْهَا جِزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: 9].

(2) السَّكينة: قال ابن عربي: «ما تجده من الطمأنينة عند تنزُّل الغيب» (اصطلاحات الصوفية: 177)، وقال الجرجاني: «وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مبادي عين اليقين». (التعريفات: 159).

(3) المراقبة: «استدامة علم العبد باطِّلاع الرِّبِّ عليه في جميع أحواله». (التعريفات: 266).

(4) من كلام علي كرم الله وجهه قوله: «القناعة كنز لا ينفد» (شرح نهج البلاغة، لابن الحديد: 184/11)، وفسر كثير من المفسرين الحياة الطيبة بالقناعة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

(5) الفراسة: «في اللُّغة: التَّثَبُّت والنَّظَر، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي مُكاشفة اليقين ومُعانة الغيب». (التعريفات: 212).

(6) الجامكية: راتب خُدَّام الدولة، واللفظة فارسية معربة مكونة من: "جامه" وتعني قيمة، و"كي" أداة النسبة.

فَقَالَتِ الْيَدَانِ: نَحْنُ عَلَيْنَا جَمْعَ الْآلَةِ، وَقَالَتِ الْأَسْنَانُ نَحْنُ نَطْحَنُ وَنَعْزِلُ
 النُّخَالَةَ. وَقَالَ الرِّبْقُ: أَنَا أَعْجَنُ وَأَتَوَلَّى لِلْمَعْدَةِ إِرْسَالَهُ، وَقَالَتِ الْمَعْدَةُ: أَنَا أَطْبُخُ وَلَا
 أَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ عَمَالَةً، وَقَالَتِ الْكَبْدُ: أَنَا أَخْذُ مَا صَفَا وَأَتْرَكُ الْخُثَالَةَ.
 وَقَالَتِ الْقُدْرَةُ: أَنَا أَتَوَلَّى قِسْمَتَهَا وَتَفَرَّقَتَهَا بِالْعَدَالَةِ، فَابْعَثْ إِلَى كُلِّ عَضْوٍ مَا
 يُطَبِّقُ احْتِمَالَهُ.

فَلَمَّا فُتِّقَتِ الْجَامِكِيَّةُ نَقْدًا لَا حَوَالَةَ، وَصَحَّحَ الْمَلِكُ أَحْوَالَهُ، فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ:
 مَا بَعْدَ النَّفَقَةِ إِلَّا الْعَرَضُ وَأَدَاءُ الْفَرْضِ، فَنَادَى فِي جَيْشِكَ بِالطُّوْلِ وَالْعَرَضِ، لِيُنْذِرَ
 الْبَعْضُ (الْبَعْضُ)⁽¹⁾، /56/ قَبْلَ أَنْ تُبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ⁽²⁾، فَنَادَى مُنَادِيهِ: يَا
 مَعْشَرَ الرُّعْيَةِ، إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ أَقْسَمَ بِالْإِلَهِةِ، أَنَّ مِنْ عَدَلٍ عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيَّةِ، وَكَفَرُ
 بِنِعْمَةِ الْعَطِيَّةِ، وَأَنْفَقَهَا فِي الْخَطِيئَةِ فَلَقَدْ أَفْسَدَ النَّيَّةَ، وَنَقَضَ الْبَيْتَةَ، أُولَئِكَ هُمْ شُرُ
 الْبَرِيَّةِ⁽³⁾.

وإِنَّ لِلْمَلِكِ عَدُوًّا قَدْ سَكَنَ جَوَارَهُ، يَقَالُ لَهُ: النَّفْسُ الْأُمَّارَةُ⁽⁴⁾، وَهِيَ تُنَازِعُهُ
 الْإِمَارَةَ، وَاسْتَنْصَرَتْ عَلَيْهِ بِالذُّنْيَا الْغَرَّارَةَ، وَظَاهَرَهُمَا الْهَوَى، وَبَعَثَ إِلَيْهِمَا أَنْصَارَهُ.
 وَجَاءَ الشَّيْطَانُ وَكُتِبَ لَهُ مَنُشُورُ الْوِزَارَةِ، قَدْ شَتُّوا فِي أَرْضِ الْمَلِكِ الْغَارَةَ،
 فَيَا خَيْلَ اللَّهِ اارْكَبِي، وَمِنَ الْأَعْدَاءِ لَا تَهْرَبِي.

فَهَنَالِكَ رُكِبَ الْقَلْبُ بَيْنَ مَيْسَرَةِ خَوْفِهِ، وَمَيْمَنَةِ رَجَائِهِ، وَمَقْدَمَةِ تَوَكُّلِهِ وَسَاقَةِ⁽⁵⁾

(1) في (ع): (التبعض)، والمثبت من: (و).

(2) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ
 الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48، 49].

(3) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شُرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6].

(4) النفس الأمارة: «هي التي تميل إلى الطَّبِيعَةِ الْبَدَنِيَّةِ، وتَأْمُرُ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْحَسِيَّةِ،
 وَتَجْذِبُ الْقَلْبَ إِلَى الْجَهَةِ السُّفْلِيَّةِ، فَهِيَ مَأْوَى الشُّرُورِ، وَمَنْبَعُ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ».
 (التعريفات: 312).

(5) السَّاقَةُ: الفِرْقَةُ الْخَامِسَةُ مِنَ الْجَيْشِ وَتَكُونُ فِي مُؤَخَّرَتِهِ. (القاموس المحيط: 79 / 2).

وَالْخَمِيسُ: الْجَيْشُ، لِأَنَّهُ خَمْسُ فِرَقٍ: الْمَقْدِمَةُ، وَالْقَلْبُ، وَالْمَيْمَنَةُ، وَالْمَيْسَرَةُ، وَالسَّاقَةُ.

التَّجَانُّهُ مُتَحَمِّلًا أَثْقَالَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾⁽¹⁾، وَتَمَسَّكَ بِأَذْيَالِ ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽²⁾، فَلَمَّا وَصَلَ بِجُنُودِهِ إِلَى سَاحَةِ مَعْبُودِهِ بِصَدَقِ النَّيَّةِ، وَنَادَى مُنَادِيَهُ فِي نَادِيهِ: إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي، وَمَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ فَلَيْتَنَحَّ عَنِّي.

فَقَالَ أَهْلُ الضَّرُورَةِ: لَا بَدَّ مِنْ إِقَامَةِ الصُّورَةِ، فَجَاءَتْ مِزْوَحَةُ الرَّاحَةِ بِإِبَاحَةِ الْأَمْنِ إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ.

فَأَمَّا الَّذِينَ عَدِمُوا الْفُطْنَةَ، وَوَقَعُوا فِي شِرَاكِ الْفِتْنَةِ، فَشَرَبُوا وَتَرَوُّوا حَتَّى أَوْزَتْهُمْ الْبِطْنَةُ، فَلَمَّا قَابَلَهُمُ الْقَوْمُ قَالُوا: لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ، فَقَالَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتَغَاءَ وَجْهِهِ: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾⁽³⁾ 57/، فَالتَقِيَ بِجَيْشِهِمَا فِي مَجْمَعٍ بَحْرُنُهُمَا هَذَا عَذَبُ فِرَاتٍ وَهَذَا مِلْحُ أَجَاجٍ⁽⁴⁾.

فَكَانَ التَّوَكُّلُ مُوَكَّلًا بِالْحَرَصِ، وَالزُّهْدُ مُحَازِيًا لِلدُّنْيَا، وَالتَّوَاضُعُ مَدَافِعًا لِلْعُجْبِ، وَالْإِخْلَاصُ مَاحِيًا لِلرِّيَاءِ، وَالتَّقْوَى نَافِيَةً لِلدَّعْوَى، وَالْخَوْفُ مُنَافِيًا لِلْهَوَى، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّقْدِيسُ فِي مُحَارَبَةِ إِبْلِيسَ، فَتَقَدَّمَ حِزْبُ اللَّهِ وَشَعَارُهُمُ: اللَّهُمَّ إِنَّا جَعَلْنَا بِكَ إِقْدَامَنَا، فَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا فَإِنَّا لَا نَدْرِي مَا قُدَّامُنَا، فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَانْتَصَرُوا، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾، فَلَمْ يَزَ مِنْهُمْ إِلَّا مُوَلَّ دُبُرَهُ، وَقَاصِمُ غُمَرِهِ، وَأَصْبَحَتْ مَنَازِلُ الْهَوَى وَالنَّفْسِ كَأَن لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ، وَمَا زَالَتِ النَّفْسُ بِأَسْرِهَا فِي أُسْرِهَا، حَتَّى اعْتَرَفَتْ بِخُسْرَاهَا، وَاتَّصَفَتْ بِكُسْرَاهَا، وَنَادَاهَا مُنَادِيٌّ مِنْ لَهِ الْجَنَّةِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾⁽⁶⁾. شَعَر

[السريع]

يَا نَفْسُ تُوبِي الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَفْضَحِي فِي الْعَرَضِ بَيْنَ الْعِبَادِ

(1) الفاتحة: 5.

(2) نفسه.

(3) البقرة: 249.

(4) فيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبُخْرَيْنِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ﴾ [الفرقان: 53].

(5) آل عمران: 126.

(6) الفجر: 27.

وَخَالَفِي يَا نَفْسُ حُكْمَ الْهَوَى
وَادْزَعِي دَزَعُ الثَّقَى وَاضْبِرِي
يَا نَفْسُ إِنَّ اللَّهَ مِنْكَ اشْتَرَى
فَاسْتَبْشِرِي بِالْبَيْعِ وَاسْتَسْلِمِي
أَفْلَسْتِ وَالسِّلْعَةُ مَغْيُوبَةٌ
وَالرُّكْبُ قَدْ جَدَّ مَسِيرًا وَلَا
وَكُلُّ مَا ابْيَضَّ مَشِيبي فَلَا
وَاحْجَلْتِي وَاحْشَرْتِي إِنْ لَمْ أَكُنْ
وَجَاهِدِي فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ
وَصَابِرِي فِي حَزْبِ أَهْلِ الْعِنَادِ⁽¹⁾
بِشَرْطِ تَسْلِيمِ جَمِيعِ الْقِيَادِ⁽²⁾
وَاضْلِحِي يَا نَفْسُ مِنْكَ الْفَسَادُ
لَا تَشْتَرِي وَالسُّوقُ سُوقُ الْكَسَادِ
لَهَوْلُ يَوْمِ الْعَرْضِ قَدَمْتُ زَادَ /58/
يَزْدَادُ وَجْهَ الْقَلْبِ إِلَّا سَوَادُ
مِنْ بَيْنِ صَحْبِي قَدْ (عَدِمْتُ) الْمُرَادُ⁽³⁾

فصل

وقد أوضحت في هذه الإشارة ما يُراد من العبيد في خدمة الرَّبِّ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾⁽⁴⁾، فإذا اشتغلت بمعرفة من أنت أشغلك بمعرفة من هو، ويجوز أن تعرف من هو، ولا يجوز أن تعرف ما هو لأنَّ "ما هو" سؤال عن ماهية ذاته، ولا ماهية لذاته، و"من هو" سؤال عن أسمائه وصفاته، وما حصل منه أهل الأرض والسَّماء إلَّا على الصِّفات والأسماء، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾⁽⁵⁾، وسرُّ هذا الرَّمز يظهر من سؤال فرعون لموسى حين قال له موسى: ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁶⁾، فسأله فرعون:

(1) وادزعي: واسرعي، والذريع في المشي؛ أي سريعه، وكانت من صفته صلى الله عليه وسلم الشَّرع في المشي، ولعل المؤلف يريد الإسراع إلى الثَّقوى، كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133].

(2) في صدر البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [التوبة: 111].

(3) في (س) و(د): (حرمتم).

(4) ق: 37.

(5) الزخرف: 87.

(6) الشعراء: 16.

﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾، فقال له موسى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ﴾⁽²⁾، فهذا الجواب يسمى جواب العدول لأنه عدل فيه عن مطابقة السؤال لأن فرعون سأل عن ماهية الله سبحانه، وموسى أجاب عن قدرته وصفاته في أزلّه فجاز له حين خلط في السؤال، وسأل عمّا لا يمكن إدراكه جاز له أن يعدل عن السؤال.

وقد سُئل يحيى بن معاذ الرّازي⁽³⁾ رضي الله عنه، ف قيل له: «أخبرنا عن الله تعالى، فقال: إله واحد فقيل له: كيف هو؟ فقال: إله قادر، قيل له: أين هو؟ قال: بالمرصاد، فقال السائل: لم أسألك/59/ عن هذا، فقال: ما كان غير هذا فهو من صفة المخلوق، فأما صفته فالذي أخبرت عنه»⁽⁴⁾.

وسُئل بعض العارفين عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁽⁵⁾، فقال: «الحق سبحانه وتعالى عرّفنا بهذا القول مَنْ هو، وما عرفنا ما هو لأنّه لا يعرف ما هو إلّا هو».

وقيل لصوفي: أين الله؟ فقال: «مَحَقَّكَ اللهُ هل تَطْلُبُ مع العين أَيْنَ»⁽⁶⁾، يُشير إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾⁽⁷⁾.

وسُئل الشبلي رحمه الله عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁽⁸⁾، فقال: «الرَّحْمَانُ لم يزل والعَرْشُ مُخَدَّتٌ، فالعَرْشُ بِالرَّحْمَانِ اسْتَوَى»⁽⁹⁾.

(1) الشعراء: 23.

(2) الشعراء: 24.

(3) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ الرّازي الواعظ خرج إلى بلخ وأقام بها مدّة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة: 258 هـ. (الرسالة القشيرية: 33).

(4) الاستقامة 1/185.

(5) طه: 5.

(6) الرسالة القشيرية: 13، وفيه (أسحقك الله).

(7) الحديد: 4.

(8) طه: 5.

(9) الاستقامة: 1/189.

وسُئِلَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁽¹⁾، قَالَ: «أَثَبْتُ ذَاتَهُ وَنَفَى مَكَانَهُ فَهُوَ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ، وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ بِحُكْمِهِ كَمَا شَاءَ»⁽²⁾.

(وسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ، فَقَالَ: «اسْتَوَى كَمَا أَخْبَرَ، لَا كَمَا يَخْطُرُ لِلْبَشَرِ»⁽³⁾).

وسُئِلَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ، فَقَالَ: «آمَنْتُ بِلَا تَشْبِيهِ، وَصَدَّقْتُ بِلَا تَمَثِيلٍ وَاتَّهَمْتُ نَفْسِي فِي الْإِدْرَاكِ، وَأَمْسَكْتُ عَنِ الْخَوْضِ فِيهِ كُلِّ الْإِمْسَاكِ».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ قَالَ لَا أَعْرِفُ اللَّهَ أَفَى السَّمَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَرْضِ فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يُوْهِمُ أَنَّ لِلْحَقِّ مَكَانًا، وَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ لِلْحَقِّ مَكَانًا يُعْرِفُ فَهُوَ مُشَبَّهٌ».

وسُئِلَ الْإِمَامُ/60/ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ، فَقَالَ: «الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكِيفُ مَجْهُولٌ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»⁽⁴⁾.

وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَتْ إِلَيْهِ الْأُئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ وَلَا خِلَافَ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَمَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ اخْتِلَافًا فِي صِحَّةِ الْإِعْتِقَادِ فَقَدْ أَعْظَمَ الْفَرِيَّةَ عَلَى الْأُئِمَّةِ وَأَسَاءَ ظَنَّهُ بِأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنِ الشَّافِعِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: «مَا الَّذِي أَقُولُ فِيهِ وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ مِنْ (قَشُورِ التَّشْبِيهِ)⁽⁵⁾ لُبَابَهَا، وَأَطْلَعَ عَلَى مَعَارِفِهَا أَرْبَابَهَا، وَجَمَعَ بِمَذْهَبِهِ أَكْنَافَهَا وَأَطْنَابَهَا، فَالْمُحَدِّثُونَ صِيَادِلُهُ وَالشَّافِعِيُّ طَبِيبُهُمْ، وَالْفُقَهَاءُ أَكَابِرُ وَالشَّافِعِيُّ كَبِيرُهُمْ».

(1) طه: 5.

(2) الاستقامة: 188/1.

(3) غير وارد في: (ب) و(و).

(4) إحياء علوم الدين: 104/1. وقال ابن القيم: «وهذا الجواب من مالك رضي الله عنه شاف عام

في جميع مسائل الصفات» (مدراج السالكين: 186/2).

(5) في (ع): (منشور السنة)، والمثبت من: (ب) و(و) و(د).

وسئل أبو المعالي⁽¹⁾ عن الإمام أحمد، فقال: «إِنَّ أَحْمَدَ ضُرِبَ بِالسَّيِّطِ، وَلَمْ يَزُغْ عَنْ سِوَاءِ الصِّرَاطِ، غَسَلَ وَجْهَ الشَّيْءِ مِنْ غُبَارِ الْبُدْعَةِ، وَكَشَفَ الْعُمَّةَ عَنْ عَقِيدَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ».

وها أنا أذكر لك في التَّنْزِيهِ ما يجلو عن قلبك دَرَنَ⁽²⁾ التَّشْبِيهِ، فأقول:

[البسيط]

يَا أَيُّهَا الْمُدَّعِي لِلَّهِ عِزًّا فَإِنَّا
وَيَطْلُبُ الْحَقُّ بِالْعَقْلِ الضَّعِيفِ
ظَنَنْتَ جَهْلًا بِأَنَّ اللَّهَ تُدْرِكُهُ
أَوِ الْعُقُولُ أَحَاطَتْهُ بِدَيْهَتِهَا
أَوِ الْعُلُومُ وَمَا سَطَرَتْ فِي كُتُبِ
اللَّهِ أَغْظَمَ شَأْنًا أَنْ يَحِيطَ بِهِ
أَزْدَى بِكَ الْعَقْلُ أَنْ عَطَلَتْهُ عَدَمًا
إِيَّاكَ، وَنَحَكَ، وَالتَّغْطِيلُ فِي صِفَةٍ
وَإِنْ سَمِعْتَ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ فَقُلْ:
وَرَدَّ عَلِمَ خَفَايَاهَا لِعَالِمِهِ
إِنْ قِيلَ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ قُلْ: كَيْفَ شَاءَ
أَوْ قِيلَ: أَيْنَ؟ فَقُلْ حِينَئِذٍ اتَّجَهْتَ تَجْدُ
هُوَ الَّذِي فَوْقَ كُلِّ الْفَوْقِ رُتِبَتْهُ
مَنْ ظَنَّ جَهْلًا بِأَنَّ الْعَرْشَ يَحْمِلُهُ
الْعَرْشُ وَالْفَرْشُ وَالْكُزْبِيُّ صَنَعَتْهُ

وَقَدْ تَفَوُّةً بِالتَّوْحِيدِ إِغْلَانًا
وَبِالْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ تَحْقِيقًا وَتَبَيَّنًا
تَوَاقَبَ الْفِكْرِ أَوْ تَذَرِيهِ إِيقَانًا
أَوْ هَلْ أَقَامَتْ بِهِ أَلْوَاهُ بُرْهَانًا
هَلْ هُنَّ إِلَّا عَلَى التَّحْقِيقِ عُثْيَانًا / 61/
عِلْمٌ وَعَقْلٌ وَرَأْيٌ جَلُّ سُلْطَانًا
وَحَائِكُ النُّقْلِ أَنْ صَوَّرَتْ جُفْمَانًا
وَاحْذَرْ تَكُنْ عَابِدًا بِالْوَضِيفِ أَوْثَانًا
آمَنْتُ بِاللَّهِ تَضَدِّيقًا وَإِيمَانًا
فَإِذَا تَأَوَّلْتَ قَدْ أَوَّلْتَ بُهْتَانًا
وَلَا تُضْغِي إِلَى كَيْفٍ تُضْجِي (ثُمَّ) نُذْمَانًا⁽³⁾
مَوْلَاكَ مَا غَابَ طَرْفًا لَا وَلَا بَانًا
وَحَيْثُ كُنْتَ وَجَدْتَ اللَّهَ دَيَّانًا
قَدْ افْتَرَى (وَاجْتَرَى) ظُلْمًا وَعُدْوَانًا⁽⁴⁾
وَقَدْ بَرَاهَنَ إِخْكَامًا وَإِتْقَانًا

(1) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشهير بإمام الحرمين، ولد سنة 419 وتوفي سنة 478هـ، فقيه متكلم على مذهب الأشعري. (طبقات الشافعية الكبرى: 5/ 165 - 222).

(2) الدُّرَن: الوسخ. (لسان العرب: 13/ 153، والقاموس المحيط: 323/3).

(3) غير واردة في: (ع)، والإضافة من: (و) و(د).

(4) في (ع): (اجزى)، والمثبت من: (ب).

مُخَجَّبَاتٌ فَلَا عِلْمَ وَلَا خَبَرَ
 الْعَرْشُ يَطْلُبُ مَنْ قَدْ عَزَّ مَطْلَبُهُ
 الْخَلْقُ فِي الْعِلْمِ تَاهُوا فِي تَطْلُبِهِ
 وَالْإِسْمُ دَلٌّ بِسِرِّ فِي غَوَامِضِهِ
 وَعِزُّ ذَاكَ الْمُسَمَّى لَيْسَ يُذَرِّكُهُ
 سَارَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُ الْعَارِفِينَ عَلَى
 وَفَارَقُوا الْأَهْلَ وَالْأَوْطَانَ وَاعْتَزَلُوا
 حَتَّى انْتَهَوْا مُتَتَهَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ
 هُنَاكَ طَابُوا وَغَابُوا عَنْ صِفَاتِهِمْ
 وَعَرَفُوا بِجَمِيلِ الْوَصْفِ فَاعْتَزَلُوا
 يَزُونَ فِي النَّاسِ سَكْرَى مِنْ مَعَارِفِهِمْ
 هَبَّتْ عَلَيْهِمْ وَقَدْ فَاجَأَهُمْ سَحْرًا
 فَأَسْكَنْتْ فِي قُلُوبِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 إِذَا بَدَأَ وَتَجَلَّى فِي حُضَيْرِيهِ
 نَادَاهُمْ سَكِرُوا مِنْ قَبْلِ مَا شَرِبُوا
 لَمَّا تَعَنَّاهُمْ حَادِيهِمْ انْخَلَعُوا
 وَأَسْلَمُوا الدِّينَ وَالْدُّنْيَا لِطَالِبِهَا
 هَذَا اغْتِقَادِي فَإِنْ قَصُرْتُ فِي عَمَلِي



قَدْ خَيَّرَ الْكُلَّ فَقَدَانًا وَوُجَدَانًا
 وَلَمْ يَزَلْ فِي طِلَابِ اللَّهِ وَلَهَا نَا
 وَالْعِلْمُ فِي الْإِسْمِ لَا يَنْفَكُ خَيْرَانَا
 عَلَى الْمُسَمَّى فَصَارَ الْإِسْمُ غُنْوَانَا
 خَلَقَ وَلَوْ حَاوَلُوا شَيْئًا وَشُبَّانَا
 نَجَائِبِ الْفِكْرِ زُكْبَانَا وَوُجَدَانَا⁽¹⁾
 (وَصَابِرُوا) اللَّيْلَ أَحْيَانًا وَأَزْمَانًا⁽²⁾
 وَكُوشِفُوا بِبَدِيعِ السِّرِّ إِغْلَانَا
 وَالْهَبِ الشُّوقُ فِي الْأَحْشَاءِ نِيرَانَا
 وَصَيَّرُوا الْقَلْبَ (لِلْعِرْفَانِ) مَيْدَانًا⁽³⁾/62/
 كَذَلِكَ مَنْ عَرَفُوهُ رَاحَ سَكْرَانَا
 (نُسَيْمَةً) عَبَقَتْ رَوْحًا وَزَيْحَانَا⁽⁴⁾
 وَحَرَّكَتْ مِنْهُمْ وَجَدًا وَأَشْجَانَا
 سَاقِي الْمُدَامِ وَأَهْدَى الْكَأْسِ مَلَانَا⁽⁵⁾
 وَظَلَّ شَارِبُهُمْ بِالشُّرْبِ ظَمَانَا
 عَمَّا بِأَيْدِيهِمْ سُكْرًا وَشُكْرَانَا
 وَطَهَّرُوا الْقَلْبَ لِلْمُحِبُّوبِ أَوْطَانَا
 فَأَسْأَلُ اللَّهَ تَوْفِيقًا وَغُفْرَانَا

(1) التَّجَائِبُ: جمع نجية، وهي الناقة الكريمة، وتقال في كل فاضل نفيس في نوعه. (لسان العرب: 748/1، والقاموس المحيط: 123/1).

(2) في (ع): (سافروا)، والمثبت من: (ب) و(و) و(س) و(د).

(3) في (ع): (للأحشاء)، والمثبت من: (ب) و(و)، وفي (د): (للمحجوب).

(4) في (ع): (نسمة) وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (ب) و(س) و(د).

(5) المدام، والمدامة: الخمرة سميت بذلك لأنها أدامها في ظرفها؛ أي عتقها، وقيل لأنها تدام فلا

تمل. (المخصص: 364/2).

فصل

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُوصَلُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ إِشَارَةٍ يُشِيرُ بِهَا الْخَلْقُ إِلَى الْحَقِّ مُرَدُّةٌ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهَا مِنْ جَنْسِهِمْ مَخْلُوقَةٌ مِثْلَهُمْ حَتَّى يَشِيرُوا إِلَى الْحَقِّ بِالْحَقِّ، وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا دَاوُودَ اعْرِفْنِي وَاعْرِفْ نَفْسَكَ، فَفَكَّرَ دَاوُودُ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: إِلَهِي عَرَفْتُكَ بِالْفَرْدَانِيَّةِ (وَالْقُدْرَةِ)⁽¹⁾ وَالْبَقَاءِ، وَعَرَفْتُ نَفْسِي بِالضُّعْفِ وَالْعَجْزِ وَالْفَنَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا دَاوُودَ عَرَفْتَنِي حَقَّ الْمَعْرِفَةِ. وَقَدْ سُئِلَ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بِمَ عَرَفْتَ رَبِّكَ؟» فَقَالَ: عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي، وَلَوْلَا رَبِّي مَا عَرَفْتُ رَبِّي.

فَقِيلَ: وَهَلْ يَتَأْتَى لِبَشَرٍ أَنْ يُدْرِكَ؟ فَقَالَ: الْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكِ⁽²⁾. وَمَعْنَى هَذِهِ الْإِشَارَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ أَنَّ الْحَوَاسَّ الْخَمْسَ الَّتِي هِيَ آلَةُ الْإِدْرَاكِ لِسَائِرِ الْمَحْسُوسَاتِ/63/ لَا وَصُولَ لَهَا إِلَى إِدْرَاكِهَا.

فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الْحَقَّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنْزَهُ عَنِ الْإِدْرَاكِ بِهَذِهِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسَ (لِكُنْه)⁽³⁾ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ؛ لِعَجْزِهَا عَنِ إِدْرَاكِهَا؛ فَقَدْ عَرَفْتَ الْحَقَّ.

وَقَدْ سُئِلَ مُصْبِحُ التَّوْحِيدِ، وَصَبَاحُ التَّفْرِيدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: «بِمَ عَرَفْتَ رَبِّكَ؟» قَالَ: عَرَفْتُهُ بِمَا عَرَّفَنِي بِهِ نَفْسُهُ، لَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، قَرِيبٌ فِي بَعْدِهِ، بَعِيدٌ فِي قَرْبِهِ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُقَالُ تَحْتَهُ شَيْءٌ، وَأَمَامَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَالُ أَمَامَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَا كَشْيَءٍ فِي شَيْءٍ فَسَبْحَانَ مَنْ هُوَ هَكَذَا، وَلَيْسَ هَكَذَا غَيْرُهُ».

وَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ مَخْبِرًا عَنْ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ: «رَكُضَتِ الْأَرْوَاحُ فِي

(1) غير واردة في: (ع)، والمثبت من: (ب) و(و).

(2) المقدمة في التصوف: 15، وإحياء علوم الدين: 252/4، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 9/45، 82، وفي الإحياء (305/4) أيضا: «سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته».

(3) في (ع): (لا كنه)، والمثبت من: (ب) و(و).

ميدان المعرفة، فسبقت روحُ نبيِّنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم أرواحَ الأنبياء، فخلع عليه المعراج خلعة، فقليل له: وما غايئها، أي: المعرفة؟ فقليل: الدهشُ في كبرياء الله عزَّ وجلَّ».

وسُئل أيضاً علي كرم الله وجهه: «هل عرفتَ الله بمحمدٍ أو عرفتَ محمدًا بالله؟ فأجاب: لو عرفتُ الله بمحمدٍ ما عبدته، ولكن محمدًا أوثق في نفسي من الله، ولو عرفتُ محمدًا بالله لما احتججتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله عرَّفني نفسه (بنفسه)⁽¹⁾ بلا كيف كما شاء، وبعث محمدًا بتبليغ الرِّسالة وتبليغ أحكام القرآن وبيان/64/ مُعضلات الإسلام والإيمان، وإثبات الحجَّة، وتقويم النَّاس على منهج الإخلاص فصَدَّقته بما جاء به».

واعلم أنَّه يستحيل الوصول إلى شيء من معرفة الله بغير الله، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بالله، فإنَّ الأفهام والأوهام والعقول والخواطر عاجزة قاصرة عن إدراك صُورها بصُورها وعللها (بعللها)⁽²⁾، فكيف تُطبق إدراك مُصَوِّرها (ومُعَلِّلها)⁽³⁾؟ وإنَّما الحقُّ سبحانه وتعالى خلق خلقه كما شاء، على ما شاء ووفق من شاء لما شاء، وعرَّف من شاء بما شاء.

وفي الحديث: "إنَّ الله خلق الخلق في ظلمةٍ ثمَّ رَشَّ عليهم من نوره فَمَن أصابه ذلك النُّور هُدِيَ، ومن أخطأه ذلك النُّور ضلَّ"⁽⁴⁾.

فمعرفة العبد لربه نورُ الله الذي يُقْذِفُه في قلب عبده فيدرك بذلك النُّور أسرارَ مُلكه، ويُشاهدُ غَيْبَ مُلكوته ويُلاحظُ صفاتَ جبروته، ثمَّ تنزَّلُ قوَّة إدراكه على مقدار ما أفيضَ عليه من ذلك النُّور، وهذا معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا﴾⁽⁵⁾؛ أي مثل نور المؤمن هكذا كان يقرأ

(1) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب).

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب) و(و).

(3) في (ع): (معللها)، ولا يتناسب وسياق المعنى السابق، والمثبت من: (ب) و(و).

(4) نوادر الأصول: 140/4، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(5) النور: 35.

أَبِي بَن كَغِبٍ⁽¹⁾ وكان يقرأ عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: "مثل نوره في قلب المؤمن"⁽²⁾.

وإنما سَمِيَ الحقُّ سبحانه وتعالى نفسه نوراً لأنَّ النُّور هو الضياءُ المظهرُ للأشياء، فإذا سَمِيَ ما يُظهر غيره بالإضافة إلى الإدراك نوراً، فَلأنَّ يُسَمَّى من يُظهر الأشياء من كَثَمِ العَدَمِ إلى فضاء الوجود بالإيجاد نوراً أُولَى/65/ بمن هو نورُ النُّورِ لأنَّه مُظهره.

ثمَّ ضرب مثل نوره في قلب المؤمن وشبَّهه، فشَبَّه صدره بالمشكاة، وشبَّه قلبه في صدره بالقنديل في المشكاة، وشبَّه معرفته بالمصباح في القنديل، وشبَّه القنديل الذي هو قلبه بالكوكب الدُّرِّي، وشبَّه إمداده بمعرفته بالزَّيْت الصَّافي الذي يُعَدُّ السَّراج في الإشعال.

ومعنى آخر لطيف: المشكاة بمنزلة بشريتك، والمصباح بمنزلة نور توحيدك والرُّجاجة بمنزلة قلبك.

(وتشبيهه)⁽³⁾ المشكاة بالبشرية لما في البشرية من الكثافة، وهي محلُّ ظِلِّ وسواد، والمصباحُ كلُّما كان في الظِّلِّ والسَّواد كان أشدُّ في الاشتعال والإيقاد.

(1) تفسير الطبري: 178/19.

(2) تفسير القرطبي: 260/12، وكلا القراءتين؛ أي قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما كالضحاك وغيره تعيد النور في الآية على المؤمنين، وللآية وجه آخر في القراءة يصرف النُّور إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نحو قراءة كعب الأحبار وغيره. وللمؤلف وجه آخر في تأويل النور في الآية وهو نور الله في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول: «فأما مادةٌ روحانيَّة في سرِّ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مُصْبِحًا﴾ [النور: 35]؛ يعني مصباح نور نبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم فقد جعله مصباح مشكاة الوجود، فشَبَّه الكونَ بالمشكاة وسَيَدنا محمَّدًا صلى الله عليه وسلم بالرُّجاجة، والنُّور الذي هو قلبه بالمصباح، فأشرق نور باطنه على ظاهره كإشراق المصباح في الرُّجاجة، فصار نورُ المصباح نارا، والرُّجاجة نوراً لصفائها، فصار نوراً وكان حظُّ كلِّ مخلوق من ذلك بحسب قربه منه وإتباعه له والدُّخول في شيعته والعمل بشريعته». (الشجرة: 358).

(3) في (ع): (وتشبيهه)، والمثبت من: (ب) و(و) ليناسب ما سيأتي.

(وتشبيهه)⁽¹⁾ نور التوحيد بالمصباح لأنَّ المصباح يستنير به ما يجاوره ويحلُّ فيه، ونور التوحيد يستضيء به ما يجاوره ويحلُّ فيه.

وشبَّه القلب بالزُّجاجة لما فيها من اللطافة، فإنَّ شفافها يطرُح أشعة أنواره على ما يقابلها ويحاذيها من الأجرام.

والقلب شفاف تعبر منه أشعة أنوار التوحيد إلى ما وراءه من الجوارح وإليه الإشارة النبويَّة في قوله لذلك الرَّجل الَّذي كان يعبد في صلاته: "لو خشع قلبُ هذا لخشعت جوارحه".

وقد قيل فيه معنى آخر، وهو أنَّه مثلُّ لنور محمَّد صلى الله عليه وسلَّم. وروى مقاتل عن الضُّحَّاك قال هذا مثلُّ النَّبيِّ صلى الله عليه/66/ وسلَّم فشبَّه عبدُ المطلب بالكوة وهو المشكاة وشبَّه عبدُ الله بالزُّجاجة، وشبَّه النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بالمصباح كان في ضلبيها⁽²⁾ فورث الثبوة من إبراهيم عليه السَّلام وهو الشجرة وهو قوله: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾⁽³⁾، وإنَّما سمَّى إبراهيم عليه السَّلام شجرة لأنَّ أكثر الأنبياء من ضلبيها⁽⁴⁾، ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾⁽⁵⁾؛ أي: لا يهودياً ولا نصرانياً⁽⁶⁾، ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁷⁾.



(1) في (ع): (وتشبيهه)، والمثبت من: (ب) و(و) ليناسب ما سيأتي.

(2) تفسير زاد المسير لابن الجوزي: 448/5.

(3) النور: 35.

(4) تفسير القرطبي: 263/12، وتفسير زاد المسير لابن الجوزي: 447/5.

(5) النور: 35.

(6) قال القرطبي: «وإنَّما قال ذلك لأنَّ اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى تصلي قبل المشرق».

(تفسير القرطبي: 263/12). وقيل في: «يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ» أي يكاد محاسن محمد

صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن أوحى الله تعالى إليه. ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نبي من نسل نبي. فكيف يتأتى لعامل أن يخطر بوجهه تدنيس هذه المحاسن الربانية التي خصَّ بها الله عز وجل نبيه والقول بشرك آبائه.

(7) آل عمران: 67.

فصل

واعلم، وفقنا الله وإياك، أن لكلٍ حقٍ حقيقة، ولكلٍ حقيقة أهل، ولكلٍ أهل علامة، وبالعلامة يتبين المَحَقُّ من المُبطل، وكلُّ من أجلسه الله على مائدة معرفته وتناول من كؤوس محبته وقع سيماءها على وجهه، وتبين أثرها على حركاته وسكناته، قال الله تعالى: ﴿تَغْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾⁽²⁾، وقال صلى الله عليه وسلم: "من كانت سريرته حسنة أظهر الله عليه منها رداءً يُعرف به ويشهد عليه بالخير"⁽³⁾.

وقال أبو يزيد: «العارف على لسانه وصفُ الرُّبُوبية، وعلى أركانه خدمةُ الدِّيمومية، وعلى نفسه أثرُ العبودية، وفي قلبه هيبةُ الفَرْدانية، وفي سرِّه طلبُ الإلهية، وفي روحه شَغَفُ الوُحْدانية».

وقالت رابعة⁽⁴⁾: «للعارف ثلاث علامات؛ بدنه مشغول بالتعب، وقلبه مشغول بالشَّغف، وروحه مشغول بالطَّرب».

وقيل: قلب/67/ العارف مُنَوَّرٌ بمصابيح المعرفة، ووجهه مُزَيَّنٌ بسِمْما⁽⁵⁾ الطَّاعة، وأطرافه ذائبة من خوف القطيعة، وسرُّه مُنقطع إلى الله من كلِّ علاقة، وعلامة ذلك أن يكون خادماً بالأركان، ذاكرًا باللسان، مُستأنساً به في كلِّ مكان

(1) البقرة: 273.

(2) الفتح: 29.

(3) أخرجه الشَّهاب القضاعي في مسنده، الحديث: 482 عن أبي عبد الرحمان هو السُّلمي قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ كَانَتْ لَهُ سَرِيرَةٌ صَالِحَةٌ أَوْ سَيِّئَةٌ نَشَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْهَا رِذَاءً يُعْرِفُ بِهِ"، والحديث: 483، وأخرجه أيضا بهذا اللفظ وبالسند نفسه أبو نُعيم في الحلية: 4/354.

(4) هي رابعة بنت إسماعيل البصرية العابدة الصالحة، توفيت سنة 135 هـ ودفنت بظاهر القدس بجبل طور. (طبقات الأولياء: 68/1، والطبقات الكبرى، للشعراني: 63/1).

(5) سِمْما: العلامة، مأخوذة من وسمت. (لسان العرب: 314/12)، وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: 14]، وقوله: ﴿يُعَذِّبُكُمْ بِرُكْنِكُمْ بِخُمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 125]، وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: 29].

وأوان، وتكون نفسه في الدنيا غريبة، وقلبه في صدره غريبا، وروحه في صدره غريبا، وسرّه في حاله غريبا، والغريبُ أبداً في غربته كئيب فلا يستريح العارف من غمّ الغربة ما لم يصل إلى الحبيب.

ومن ها هنا يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل"⁽¹⁾ فتأملتُ حقيقة هذا الحديث، فرأيتُ أنَّ الأرواح خلقت قبل الأجساد⁽²⁾ بالْفني عام ثمَّ اقْتَبَصَتْ من عالمها العلوي الروحاني التوراني، فأودَعَتْ ظلمة هذا الجسد الترابي الطبيعي الجُماني، والجسد مخلوق من التراب، والتراب كائن قبل كون الآدمي، فهما في الحقيقة جُلُبا غريبَيْن غُرباً عن وطنيهما، وأبعدا عن أصليهما فاجتمعا اجتماع غربة كُلِّ واحد منهما يُشير إلى وطنه، ويطيّر إلى سكنه، فالجسد أخلد إلى الأرض، والروح بدون السُمُومِ لم ترض⁽³⁾، والله درُّ القائل:

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، الحديث: 34304، حدثنا أبو معاوية عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي أو ببعض جسدي فقال لي: "يا عبد الله بن عمر كن في الدنيا غريبا أو عابر سبيل وعُدْ نفسك في أهل القبور". وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير بهذا اللفظ أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما، الحديث: 13357.

(2) نحو هذا الكلام قول ابن عطاء البغدادي (ت: 309هـ): في خلق الله الأرواح قبل الأجساد لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾؛ يعني الأرواح ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾؛ يعني الأجساد. (التعرف: 74).

(3) كذا كان خلق البرية من لطيف وكثيف من ضدين جسمانية وروحانية ليكون كامل الخلق كامل الوصف، في حين اختص نبيينا صلى الله عليه وسلم بوصف «ثالث خارج عن هذين الوصفين وهو أنه جعل فيه وصفا رَئَانِيَا وسُرّا إلهيَا يُثَبُّ به عند تجلّي صفات الربوبية ويُطَبِّقُ به مشاهدة الحضرة الأَخْدِيَّةِ ويتلقّى به أسرار أنوار الفَرْدَانِيَّةِ ويسمع بها خطاب الإشارات القدسيّة (...). وهو معنى سرّ قوله صلى الله عليه وسلم: "لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "لِي وَفَتْ لَا يَسْعُنِي فِيهِ غَيْرُ رَبِّي سُبْحَانَهُ"، فهذا المقام ليس يختص به مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، كَأَسْ لم يتناوله سواء، عروس ما جُلِيَتْ إلّا عليه، وهو المقام المخصوص به». (الشجرة: 360).

[الكامل]

رَاحَتْ مُشْرِقَةً وَرُخْتُ مُغْرِباً شَتَانٌ بَيْنَ مُشْرِقٍ وَمُغْرِبٍ⁽¹⁾
ومن تأمل معنى هذه الأبيات فهم ما أشرنا إليه، وعلم ما عولنا عليه، فإن
فيها معنى ازدواج الأشباح بالأرواح/68/ المستفاد من سرِّ قوله: «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ
فِيهَا مِضْبَاحُ الْمِضْبَاحِ»⁽²⁾، فمن كانت له بصيرة مستتيرة أبصر مصباح النُّجَاح، ومن
كانت له أذن سامعة سَمِعَ منادي الفلاح:

[الخفيف]

يَا خَلِيلِي قَدْ تَبَلَّغْتُ الْقَضْدَا خَلِيَانِي مِنْ ذِكْرِ سَلْعٍ وَنَجْدٍ
إِنَّ لِي فِي حُشَاةِ الْقَلْبِ خَوْدَا أُنْزَرْتُ (لِلْعِيُونِ) حُلَّةَ حُسْنٍ
حَجَبُوهَا فَلَيْسَ تَظْهَرُ إِلَّا شَهِدْتُ حِينَ غَيَّبْتُ كُلَّ غَيْبٍ
مَلَكَتُ فِي الشُّهُودِ قَبْضَا وَبَسْطَا عَرَفُوها مَظَاهِرَا فَتَعَالَتْ
ذَاتُ (أُنْسٍ) وَوُخْشَةٍ وَنَفَارٍ رُكِبَتْ مِنْ تَضَادِدٍ فَلِهَذَا
وَعَرَفْتُ الْغَرَامَ هَزْلاً وَجَدَا وَدَعَانِي مِنْ حُبِّ سَلَمَى وَسُغْدَى
أَفْسَمْتُ لِلْعِيُونِ لَا تَتَبَدَّى وَتَجَلَّتْ لَهَا بِوَجْهِ مُقَدَّى⁽³⁾
لِمَحِبِّ صَفَا انْتِهَاءَ وَمَبْدَا فَهِيَ تَحْفَى صَوْنَا لَهَا أَنْ تُحْدَا
وَحَكَّتْ فِي الْوُجُودِ (زَجْرًا وَمَدَا)⁽⁴⁾ وَتَغَالَتْ فَمَا تُرِيدُ مَرْدَا
وَ(قَرَارٍ) ضِدٌّ لِضِدِّ تَبَدَّا⁽⁵⁾ جَمَعَتْ فِي الْمَذَاقِ صَبْرًا وَشَهْدَا⁽⁶⁾

(1) ديوان الضبابة، لابن أبي حجلة: 306، بدون نسبة، وصدر بيت فيه برواية: سارت مشرقة وسرت مغربا، وله روايات أخرى في مظان أخرى.

(2) النور: 35.

(3) في (ع): (للعيون)، والمثبت من: (ب) و(و)، وفي: (د): (للعقول).

(4) في (ع): (زجرا ومبدا) وهو تحريف.

(5) في (ع): (حسن)، والمثبت من: (ب) و(د) وذلك ليناسب الطباق الذي بنى عليه البيت بين "أنس" و"وخشة"، وفي (ع): (فرار)، وفي (س): (ووقار)، والمثبت من: (ب).

(6) الصبر: عصار شجرة مذاقه مر، وهو أحد الأمرين، قال صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه البيهقي في سننه الكبرى: "مَاذَا فِي الْأَمْرَيْنِ مِنَ الشِّفَاءِ الصَّبْرِ وَالْثَّوَاءِ".

فَهِيَ بَذَرٌ وَفِي الْحَقِيقَةِ شَمْسٌ
 وَهِيَ رُوحٌ وَفِي الْمَخَبَةِ رَاحٌ
 وَهِيَ ذَاتُ لِكَلٍ ذَاتٌ وَتَبْقَى
 وَهِيَ رُوحُ الْوُجُودِ جَمْعاً وَأَضْلاً
 مَبْطُتٌ مِنْ مَحَلِّ عِزٍّ رَفِيعٍ
 فَأَتْلَفْنَا لِفُرْقَةٍ وَتَلَاقٍ
 وَازْدَوْجْنَا فَنَحْنُ زَوْجٌ وَلَكِنْ
 نَحْنُ فِي شِرْعَةِ الْهَوَى قَدْ خُلِفْنَا
 لَوْ تَرَانَا وَقَدْ هَمَّتْ كُلُّ عَيْنٍ
 هِيَ تُضْغِي فَأَشْتَكِي مَا أَلَا قِي
 فَهِيَ مِنِّي وَكُلُّ مَا بِي مِنْهَا
 وَتَرَاهَا إِذَا تَرَنَّمْ حَادٍ
 لَا تَلْمُهَا إِذَا بَدَتْ بِحَنِينٍ
 فَلَهَا مَغْهَدٌ قَدِيمٌ وَأَنْسُ
 وَلَهَا فِي الْمَقَرِّ مَقْعَدٌ صِدْقٍ

وَهِيَ نَارٌ تُرِيكَ حَرّاً وَبَرْدًا
 مُزِجَتْ فِي الْكُؤُوسِ غَيّاً وَرُشْدًا
 بِصِفَاتٍ صَفَتْ مِرْجَاً وَمَغْدًا
 وَهِيَ كَوْنُ الْأَكْوَانِ وَجَدًا وَفَقْدًا
 فَتَبَدَّى لَهَا فُؤَادِي مَهْدًا
 بَعْدَهُ لَا نَخَافُ فِي الْقُرْبِ بَعْدًا
 إِنْ تَأْمَلْتَ كَانَ زَوْجاً وَفَرْدًا /69/
 نَقْطَعُ الْحُبَّ فِيهِ وَضْلاً وَصَدًّا
 تَشْتَاكِي مِنَ الْهَوَى مَا تَعْدَا
 ثُمَّ أَضْغِي فَتَشْتَكِي لَيْسَ تَهْدَى
 مِنْ صُدُودٍ وَكُلُّ مَا قَدْ تَصَدَّى
 بِرُبَاهَا تَذُوبٌ شَوْقاً وَوَجْدًا
 وَأَنْسِينَ (يُقَدِّدُ) الْقَلْبَ قَدًّا⁽¹⁾
 لَيْسَ يُنْسَى وَإِنْ تَطَاوَلَ عَهْدًا
 فِيهِ ضَمَّتْ أَوْصَالَ مَوْلَى وَعَبْدًا⁽²⁾

فصل

اعلم أن الروح والجسد لهما كانا غريبتين دُعيا من دار غربتهما إلى دار
 قريتهما، ومن محلّ وحشتهما إلى محلّ أنسهما، ومن ظلمة أنفسهما إلى حضرة
 قدسهما بتصريح: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾⁽³⁾، ثم أعلمهما قرب المنزل وسرعة
 المنقلب بتلويح: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾⁽⁴⁾، فاتفقا

(1) في (ع): (يقد)، وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (و).

(2) في البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 55].

(3) يونس: 25.

(4) غافر: 39.

على قطع مَفَاة⁽¹⁾ الغربة لِمَا بينهما من النِّسبة ولقد أحسن من قال:

[الطويل]

(أَجَارَتْنَا)⁽²⁾ إِنَّا غَرِيبَانِ هَا هُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبٌ⁽³⁾

ثم اصطالحا على جمع زاد يقطعان به مسافة الطريق، ويصلان به إلى ذلك الفريق، فوجدا من مشقة مسافة الطريق، ما أفضى بهما إلى التمزيق، وصبرا على ظمأ الهواجر حتى (بلغت)⁽⁴⁾ القلوب الحناجر⁽⁵⁾، وصابرا على قيام الليل/70/ ومالا على نفوسهما كل الميل، فتارة يطرُقهما من مكان الخوف طارق، فتجري الدُموع السوابق، وتارة يبرق لهما من أفق الرجاء بارق، فيستريح إليه العاشق، وتارة يخفق لهما من عرق القبول خافق، فيسكن القلب الخافق، فما زالا بين انتهاض ونشاط، وانقباض وانبطاس، حتى طويا هذا البساط، ووافيا عقبة الموت التي لا يعلم منها إلى أين الانحطاط، فتهيأ الروح للفراق، وعزما إلى الانطلاق، ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾⁽⁶⁾.

فقال له الجسد وهو في السَّيَاق: أَيُّهَا الْخَلِيلُ أَهْنَا يَتْرَكَ الْخَلِيلُ خَلِيلَهُ، وقد حلَّ به ما لا يندفع بحيلة، وما كانت أيام الصُّحبة إِلَّا قليلة؟
فقال له الروح: إِنَّمَا أَسْبَقَكَ إِلَى التَّرُّلِ الْأَوَّلِ، وما عليه المعوّل، فَأَمْهَدُهُ بما معي من الرّاد، وَأَهَيَّئُهُ بما أعددت من الصّلاح والفساد، ثم أعود إليك أَيُّهَا الْجَسَدُ،

(1) المفاة: البرية لا نبات فيها ولا ماء، وتجمع على مفاوز، وسميت مفاة وهي مهلكة من باب الثَّاقُول، لأن من خرج منها فاز. (لسان العرب: 553/1).

(2) في (ع): (أجارتني)، والمثبت من: (و) كما في ديوان امرئ القيس (ديوانه: 32).

(3) البيت لامرئ القيس، وقبله:

أَجَارَتْنَا إِنْ الْخَطُوبُ تَنْوُبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

(4) في (ع): (بلغ).

(5) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾

[الأحزاب: 10، 11].

(6) القيامة: 30.

فلا نفرق بعدها إلى الأبد.

فتنطلق الرُّوح مع الدَّاعي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ازْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾⁽¹⁾، ويعود الجسد إلى منزل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾⁽²⁾:

[الوافر]

خُلِقْتُ مِنَ الثَّرَابِ فَصِرْتُ حَيًّا وَعَلِمْتُ الْفَصِيحَ مِنَ الْخَطَابِ
وَعُدْتُ إِلَى الثَّرَابِ فَصِرْتُ مَيِّتًا كَأَنِّي مَا بَرِحْتُ مِنَ الثَّرَابِ
(خُلِقْتُ مِنَ الثَّرَابِ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَأَرْجِعُ بِالذُّنُوبِ إِلَى الثَّرَابِ)⁽³⁾
فإذا جاء بشيرُ النُّشور⁽⁴⁾ ونُفِخَ في الصُّور⁽⁵⁾، تباشر/71/ أهل التَّوحيد، يوم
الوعيد، فهناك يُقال للرُّوح: عُذْ إلى جسدك المعهود، وهلمَّ إلى مَنْهَلِكِ المُرود،
وظلِّك الممدود، ومقامك المحمود، وحبيبك المشهود، فتلقى الرُّوحُ الجسدَ لقاء
الغائب لغيابه ويتعانقان تعانق المحبوب لأحبابه، ويتشاكيان ما لقا من أوصابهما⁽⁶⁾
ومصابهما واكتسابهما في اغترابهما ثمَّ يقال لهما: انطلقا إلى عرصة المَجْمَع،
ومحشر الخلائق أجمع، فثمَّ عدل يخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، وبما شاء بعبده
يصنع.

(1) الفجر: 27 - 28.

(2) طه: 55.

(3) غير وارد في: (خ).

(4) النُّشور: من النَّشْر، يقال نشر الميت ينشر نشورا أي بعث بعد الموت، ومنه يوم النشور وهو مراد المؤلف.

(5) الصُّور: قرن ينفخ فيه المَلَك يوم القيامة، ويسمى أيضا الناقور، وفي كلامه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 73]، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99]، وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: 102]، [المؤمنون: 101]، [النمل: 87]، [يس: 51]، [الزمر: 68]، [واق: 20]، [الحاقة: 13 - 15]، [النبا: 18].

(6) الأوصاب: مفردها وَصَبَ وهو المرض: (القاموس المحيط: 181/1).

فإذا قدم الأتراب من سفرة التراب، نادى الحبيب بالأحباب: حدّثوني ما حلّ بنفركم في سفركم يا معشر الغياب؟

فيقول لسان الحال في الجواب، قال صاحب الكتاب: ولم أستعر في كتابي هذا لغيري غير هذه الثلاثة أبيات، وبيتين مفردتين قبلها في هذا الباب، وقد عملت عليهما بقولي، فلله درّ القائل:

[الطويل]

إِذَا حَلَلْتُ فِيكَ الْمَكَارِهُ وَأَنْتَ هُتَ إِِلَى أَنْ تَرَكَ الْعَيْنُ صَارَتْ مَحَامِدًا
وَلِنْ بَلَغَتِ الصُّبَابَةُ جَهْدَهَا وَأَدْنَتْ إِِلَى رُؤْيَاكَ عَادَتْ فَوَائِدًا
وَمَا سَفَرَةٌ أَدْنَتْ إِِلَيْكَ بَعِيدَةً وَلَوْ أَقْنَتْ الْإِيَّامُ مَنْ كَانَ قَاصِدًا
أَيُّهَا الْحَزِينُ عَلَيْنَا، كَيْفَ وَصَلْتَ إِِلَيْنَا؟

قال: ركبْتُ جِوَادَ تَوَكُّلِي عَلَيْكَ، وَاشْتِيَاقِي إِِلَيْكَ، فَمَا أَنْزَلَنِي إِلَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

أَيُّهَا الْخَائِفُ مِنَ الْفَوْتِ، كَيْفَ وَجَدْتَ الْمَوْتَ؟

فقال: وَجَدْتُ وَصَلَهُ/72/ مَغَايِرًا لَصِدِّهِ، وَقَرَبَهُ مَنَاقِضًا لِبَعْدِهِ، وَعَرَفْتُ الشَّيْءَ بِضِدِّهِ، فَفَرَرْتُ مِنْ دَارِ قَوْمٍ لَا يَأْمَنُونَ مَنَكْرَهُ، إِِلَى دَارِ قَوْمٍ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْغُ الْأَكْبَرُ⁽¹⁾.

وَأَنْتَ أَيُّهَا الرَّاجِي، كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَاجٍ؟

فقال: ثَقَيْتِي بِفَضْلِكَ أَمْتَنَنِي مِنْ عَذَابِكَ؛ لِأَنَّ كِتَابَ الْفَضْلِ سَابِقٌ، وَجِوَادُ الْجُودِ سَابِقٌ، فَكَيْفَ لَا أَرْجُو أَنْ أُنْجُو وَأَنَا بِرَحْمَتِكَ وَاثِقٌ.

وَيَا أَيُّهَا الرَّاهِدُ، كَيْفَ عَهْدَكَ بِتِلْكَ الْمَعَاهِدِ؟

فقال: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾⁽²⁾، فَتَرَكْتُ مَا عِنْدِي لِمَا عِنْدَهُ ثُمَّ غَمَضْتُ عَيْنِي عَنِ الْفَانِي، فَمَا فَتَحْتُهَا إِلَّا عَلَى الْبَاقِي.
يَا أَيُّهَا الْمُحِبُّ لَنَا، كَيْفَ كَانَ اتِّصَالُكَ بِنَا؟

(1) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْغُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 103].

(2) النحل: 96.

فقال: وهل كانت إلا شربة شربتها في حضرة ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ فسكرت بها في حانة ﴿يُحِبُّونَهُ﴾ فما أفقتُ من ذلك المشروب، إلا بمشاهدة المحبوب.

فأنت أيُّها الذاكر ماذا جرى لك؟

فقال: غبتُ في لذة ذكره، فلمَّا حضرتُ إذا أنا في حضرة المذكور.

فأنت أيُّها الفقير كيف وصلت، وفي شبكتنا حصلت؟

قال: هتف بي هاتف: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾⁽¹⁾، فاستغرقتني لذة هذا الكلام، فما أفقتُ إلا في دار السَّلام بمنادي: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾⁽²⁾.

وأنت أيُّها العارف، كيف عرفت سبل المعارف؟

قال: سَمِعْتُ منادي: "من أتاني يمشي أتيتُه هَزُولَةً" فأخذني شبه الوله فتكرَّرت الأغيار، وما سكنتُ إلى قرار، وطلبتُ الجار/73/ قبل الدَّار⁽³⁾، فمشيتُ إليه على أقدام صدق طلبي له، فما فتحتُ عيني إلا ﴿فِي مَقْعَدِ صَدِّقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾⁽⁴⁾.

وأنت أيُّها الصُّوفي صف لنا صفوة حالك، في ارتحالك؟

قال: دعوة دُعِيْتُها في سماع: ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾، فما استتممتُ: لِيَبِكَ حَتَّى قَالَ لِي: أنا ناظر إليك، ومُتَجَلِّ عَلَيْكَ.

ثمَّ يقال: يا أهل التَّخَلُّف ما هذا التَّوَقُّف؟ اليوم يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي من عَمَلٍ

(1) يونس: 25.

(2) الحجر: 46، ق: 34.

(3) في الأثر: "الجار قبل الدار"، جمهرة الأمثال للعسكري: 219، والجار يصح بالرفع والنصب، قال البيهقي: «روي هذا حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق". ويروي: الجار والرفيق مرفوعين والنصب فيهما حسن، أي: التمس الجار قبل الدار والتمس الرفيق قبل الطريق. وقال أبو تمام في هذا المعنى:

مَنْ مَبْلَغُ أَفْنَاءٍ يَغْرُبُ كُلُّهَا أَنِي ابْتَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ؟»

(زهر الأكم: 85/2).

(4) القمر: 55.

(5) الأحقاف: 31.

بالمعاصي⁽¹⁾، (فقدَمَا)⁽²⁾ ما قَدَّمْتُمْ، وقولوا لنا بِأَيِّ وجه قَدِمْتُمْ؟ فيرتفع الصَّياح، ويكثر الثَّوَّاح، ثُمَّ يقولون: الآن فاتنا رفيق الصَّلاح، فما لنا عن باب رحمتك من بَرَّاح، وما لنا غير حسن ظَنِّنا بك من سلاح، ولا لظلمة معاصينا غير نور عفوك من مصباح، فيأتيهم الجواب من باب السَّماح: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁽³⁾، شعر في المعنى:

[الكامل]

يَا قَلْبُ لَا يُؤْذِي بِكَ الْخَفَقَانُ	رَضِيَ الْحَبِيبُ وَوَاضَلَ الْغَضْبَانُ
وَصَفَتْ أَوْيَقَاتُ السُّرُورِ بِوَضْلِهِ	فَعَلَيْكَ فِي حُكْمِ الْهَوَى شُكْرَانُ
الْيَوْمَ تَنْسَخُ بَيْنَنَا مِنْ بَيْنِنَا	لَا الصَّدُّ يُخْشَى (لَا) وَلَا الْهِجْرَانُ ⁽⁴⁾
تِلْكَ الصُّحَائِفُ بِالْعِتَابِ قَدْ انْطَوَتْ	لَمَّا مَحَاهَا الْعَفْوُ وَالْغُفْرَانُ
فَلَرُبَّمَا يَخْبُو الزَّيْنَادُ وَرُبَّمَا	يَكْبُو الْجَوَادُ وَتَغْتُرُ الْفُرْسَانُ ⁽⁵⁾
لَا يُبْعِدُنْكَ عَثْبِنَا عَنْ بَابِنَا	فَالْعَهْدُ بَاقٍ وَالْوِدَادُ مُصَانُ / 74
لَا (تُكْجَلُنْ) بِغَيْرِ نُورِ جَمَالِنَا	إِنْسَانَ عَيْنِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ⁽⁶⁾
فَبِحُسْنِنَا وَبِلُطْفِنَا وَبِوَضْلِنَا	شَاعَ الْحَدِيثُ وَسَارَتِ الرُّكْبَانُ
فَإِذَا ذَلَّلْتَ لِعِزِّنَا ذَلَّتْ لِعِزِّ	زَتِكَ الْمُلُوكُ وَهَابَكَ السُّلْطَانُ
فَاخْضَعْ وَذَلِّ لِمَنْ تُحِبُّ فَإِنَّهُ	حَكَمَ الْهَوَى أَنْ تَخْضَعَ الشُّجْعَانُ
يَا مَعْشَرَ الْعُشَّاقِ دُونَكُمْ السَّبَا	قُ فَهَذِهِ الشُّقْرَاءُ وَالْمَيْدَانُ



(1) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿يُغْفِرُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّئَاتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: 41].

(2) في (ع): (قدما)، والمثبت من: (ب) و(د).

(3) الزمر: 53.

(4) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب) و(د).

(5) الزَّيْنَاد: مفردة زَنْد، والزَّيْنَد والزَّيْنَدَة خشبتان يستقدح بهما. (لسان العرب: 196/3).

(6) في (ع): (تكحل)، وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (ب) و(د).

فصل

فاعلم (أن سبب)⁽¹⁾ ما أشرتُ إليه من أحوال القوم وانتقالهم من (هذه الدار)⁽²⁾؛ أنا نحن ننتقل من أوّل خلقنا إلى أن يستقرّ بنا المنزل في ستّة أسفار:

السّفر الأوّل: سفر (السّلالة)⁽³⁾ من الطّين.

السّفر الثّاني: سفر النّطفة من الصّلب إلى الرّحم.

السّفر الثّالث: سفر المولد من الرّحم إلى الدّنيا.

السّفر الرّابع: سفر من الدّنيا إلى القبر.

السّفر الخامس: من القبر إلى الموقف والغرض.

السّفر السّادس: من الموقف إلى إحدى المنزلّين؛ إمّا الجنّة وإمّا النّار ثمّ

يستقرّ بك المنزل، فعلمت أنّك في الدّنيا غريب أو عابر سبيل.

فأما أهل اليقظة فشمّروا حين سمعوا: ﴿وَاللّٰهُ يَدْعُوْا اِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾⁽⁴⁾، فهم

في لذّة هذا السّماع يشغلهم شوقهم، ويقلقهم (توقّعهم)⁽⁵⁾، عن التّمثّع بالدّنيا وزينتها

(بمعزل)⁽⁶⁾، همّهم في مطّلوّهم، (وراحتهم)⁽⁷⁾ في ذكر محبوبهم، فأبصارهم مُنْزَهة

في مُلْكِهِ، وبصائرهم تجول في ملكوته، وسرائرهم/75 تجول حول حمى جَبْروته

لا يريدون إلّا هو، ولا يرضون إلّا به، ولا يطلبون إلّا منه، ولا يسمعون إلّا عنه، ولا

يشتاقون إلّا إليه، إن ذكروه ناحوا، وإن شكروه باحوا، وإن وجدوه صاحوا، وإن

شهدوه استراحوا، وإن سرحوا في حضرة قلبه ساحوا.

فشهوّهم له بلا حجاب، ووصالهم له بلا انقطاع، وسكرهم به بلا صحو

(1) في (ب) و(د): (ثبت).

(2) في (ب) و(د): (هذه الدار وتلك الدار).

(3) في (ع): (السلامة)، والمثبت من: (د)، وفيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12].

(4) يونس: 25.

(5) في (ع): (وتوقّعهم)، والمثبت من: (س).

(6) غير وارد في: (ع)، والإضافة من: (س).

(7) في (ع): (وراحتهم)، والمثبت من: (و).

قد استصحب قلوبهم، ودرأت أحزانهم لذّة خطابه الأوّل في يوم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾⁽¹⁾، فصار ذلك كامناً في طوايا سرائرهم ومعاني صورههم، فإذا سمعوا مُذَكِّراً أو منشداً أو صائحا، أو نائحا أو بائحا، استثار ذلك السِّرّ الكامن فيهم، فيذكّرهم ذلك العهد الأوّل، فتارة يئنّوا، وتارة يحنّوا⁽²⁾.

فإذا غلبهم الوجد بغليانه، وشربوا من موارد وارداته، فَمِنْهُمْ من طرقت طوارق الهيبة (فحمد)⁽³⁾ وذاب، ومنهم من برقت له بوارق اللطف فتحرك وطاب، ومنهم من طلعت له طوالح الحب من مطالع القرب، فسكّر وغاب.

فإذا رجعوا من وُجدهم إلى وجودهم، ناقشهم لسان الحال، على تلك الأحوال، فقليل للصّائغ: لم صحت؟ وللتّائغ: لم نُحت؟ وللّبائغ: لم بُحت؟ وللمضطرب لم اضطربت؟ وللمن مرّق: لم مرّقت؟ وللمن صَفّق: لم صَفّقت؟ وللمن تحرّك: إلى من تشوّقت؟

فقال الصّائغ: كيف لا يصيح من قلبه في قبضة مُتّهبه ثم لا يدري ما يفعل به؟ /76/.

وقال التّائغ: كيف لا ينوح من الموت في طلبه، وهو زهن منقلبه؟ فقال البائغ: ليس من هو في طلبه، كمن هو في حربه، أمّا أنا فأبوح بما أوليت من وجود موجدي ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾⁽⁴⁾، قيل له: فاضطربك لنقر الدّف ونفخ الشّبابة⁽⁵⁾ لماذا؟

قال: تذكّرت بنقرة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي النَّاقُورِ﴾⁽⁶⁾، وبنفخة الشّبابة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي

(1) الأعراف: 172.

(2) ونحو هذا الكلام قول رويم (ت: 303هـ): «إِنَّ الْقَوْمَ سَمِعُوا الذِّكْرَ الْأَوَّلَ حِينَ خَاطَبَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فَكُمِّنَ ذَلِكَ فِي أَسْرَارِهِمْ كَمَا كُمِّنَ كَوْنُ ذَلِكَ فِي عَقُولِهِمْ، فَلَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ظَهَرَتْ كَوَائِنُ أَسْرَارِهِمْ، فَانْزَعَجُوا، كَمَا ظَهَرَتْ كَوَائِنُ عَقُولِهِمْ عِنْدَ إِخْبَارِ الْحَقِّ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، فَصَدَّقُوا». (التعرف: 178).

(3) في (ع): (جمد)، والمثبت من: (ب).

(4) الضحى: 11.

(5) الشّبابة: الزّمارة وتسمى أيضا البراعة. (تهذيب الأسماء واللغات، للنووي: 294/4).

(6) المدثر: 8.

الصُّور⁽¹⁾، وبنعمة الحادي: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ﴾⁽²⁾.

ثُمَّ قِيلَ لِمَنْ مَرْقُ: لَمْ مَرْقَتْ؟

قال: إشارة إلى تمزيق الحُجُب، وظهور المحجوب، ورفع الأستار وكشف الغيوب.

ثُمَّ قِيلَ: لَمْ صَفَّقَتْ؟

قال: إشارة إلى نيل المطلوب، والتقاء المحبِّ بالمحجوب.

قِيلَ: فَلَمْ تَحْرَكَتْ؟

قال: سَمِعْتُ دَاعِيَّ الْحَبِيبِ يَقُولُ: "هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبُ"⁽³⁾،
[البسيط]

فَقُمْتُ أَسْعَى عَلَى رَأْسِي وَحَقُّ لِمَنْ	دَعَاهُ مَوْلَاهُ أَنْ يَسْعَى عَلَى الرَّاسِ ⁽⁴⁾
مَا فِي التَّوَّاجِدِ إِنْ حَقَّقْتُ مِنْ حَرْجٍ	وَلَا التَّمَايِلِ إِنْ أَخْلَصْتُ مِنْ بَاسٍ
إِنَّ السَّمَاعَ صَفَاءَ نُورٍ صَفْوَتِهِ	يُخْفَى وَيُخَجَّبُ عَنْ مَنْ قَلْبُهُ قَاسِي
نُورٌ لِمَنْ قَلْبُهُ بِالنُّورِ مُنْشَرِّحٌ	نَارٌ لِمَنْ صَدْرُهُ نَاوُوسٌ وَشَوَاسٍ ⁽⁵⁾
رَاحٌ وَكَاسَاتُهَا الْأَزْوَاحُ فَهِيَ عَلَى	قَدْرِ الْكُؤُوسِ ثَرِيكَ الصَّفْوِ فِي الْكَاسِ

(1) المؤمنون: 101، والحاقة: 13.

(2) ق: 41.

(3) أخرج البزار في مسنده، الحديث: 8450، "عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسَّوَاك عند كل صلاة ولاخرت صلاة العشاء إلى ثلث الليل الأول - أو إلى النصف الشك من غيبه الله - فإن الله تبارك وتعالى إذا ذهب ثلث الليل الأول، أو نصفه، ينزل إلى السماء الدنيا فينادي هل من داع فأجيبه هل من مستغفر فأغفر له، أو سائل فأعطيه حتى يطلع الفجر".

(4) في معنى البيت يقول ابن سناء الملك:

متى أراني واطثا بساطه أسعى برأسي فوقه لا رجلي

(5) في (و): (ناقوس) وهو تحريف، والناووس: صندوق من خشب يضع النصارى فيه جثة الميت، ويطلق أيضا على مقابر النصارى. (المعجم الوسيط: 63/7). والوسواس: الشيطان، وكل ما يحدث به. (لسان العرب: 254/6). ومعنى البيت: أن السماع نور لمن قلبه منشرح بالنور، ونار لمن صدره قبر للشيطان ولوساوسه.

خَادٍ يَذْكُرُهُ الْعَهْدُ الْقَدِيمُ وَإِنْ تَقَادَمَ الْعَهْدُ، مَا الْمُشْتَأَقُ كَالنَّاسِي
فَلَيْسَ عَارِ إِذَا غَشَى لَهُ طَرَبًا بِأَنْ يَحِنَّ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ



فصل

واعلم أنه تحتم هنا ووجب ذكر السَّماع، وما هو منه محذور وما هو مباح وما هو مستحبٌ ومستحسن، فإن كثيراً من المتعمِّقين والمتقشِّفين كَرَّهوه وأنكروه/77/ أصلاً وفرعاً، وحقيقة وشرعاً، وهذا غلط منهم؛ لأنَّ ذلك يُفْضِي إلى تخطئة كثير من أولياء الله تعالى وتفسيق كثير من العلماء؛ إذ لا خلاف أنَّهم سمعوا (الغناء)⁽¹⁾ وتواجدوا وأفضى بهم إلى الضُّراخ والغَشِيَّةِ والصُّعْقِ⁽²⁾، فكيف يُنسب إليهم نقص وهم سالكون أتمَّ الأحوال؟

وإنما يحتاج ذلك إلى تفصيل ونظر في أحوال أهل السَّماع واختلاف طبقاتهم، فمن صَحَّ فهمه وحَسُنَ قصده، وصقلت الرِّياضة مرآة قلبه، وجلت نسمات العزيمة فضاء سرِّه، فصفا من تصاعد أكدار أرض طبيعته، وبخار بشرته وخیالات وشواسه، وعري عن حظوظ الشَّهوات، وتطهَّر من دَنَسِ الشُّبهات، فلا نقول إنَّ سماعه حرام وفعله ذلك خطأ.

قال أبو طالب المكي رضي الله عنه: «إنَّ من طعن في السَّماع فقد طعن في سبعين صديقاً»⁽³⁾.

وسئل الشبلي رضي الله عنه عن السَّماع، فقال: «ظاهرة فتنة، وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارة حلَّ له السَّماع، وإلَّا فقد استدعى الفتنة وتعرَّض للبلية»⁽⁴⁾. ومعلوم أنَّ السَّماع مُهَيِّج لما في القلوب محرِّك لما فيها، فلما كانت قلوب القوم معمورة بذكر الله تعالى صافية من كَدَرِ الشَّهوات محترقة بحبِّ الله فليس فيها

(1) في (خ): (الغنى).

(2) الصُّعْق: قال ابن منظور: «أَنْ يُغْشَى عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ صَوْتٍ شَدِيدٍ يَسْمَعُهُ وَرَبَّمَا مَاتَ مِنْهُ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي الْمَوْتِ كَثِيرًا». (لسان العرب: 198/10).

(3) نقله ابن تيمية في الاستقامة: 299/1.

(4) إحياء علوم الدين: 292/2، والاستقامة: 403/1.

سوى الله، فالشوق والهيجان والقلق كامن في قلوبهم ككُمون النار في الزناد، فلا يظهر إلا بمصادفة ما يُشاكلها/78، فمراد القوم في ما يسمعون إنما هو ما يُصادف ما في قلوبهم، فتستثير بصدمة طُرُوقه وقوة سلطانه، فتعجز القلوب عن الثبوت عند اضطلامه، فتنبعث الجوارح بالحركات والصّرخات والصّعقات⁽¹⁾ لثوران ما في القلوب لأنّه يحدث فيها شيئا.

وقال أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى: «السَّماعُ لا يُحدث في القلب شيئا، وإنما هو مُهَيَّجٌ لما فيه»⁽²⁾، فتراهم يهيجون من حيث وَجُدْهم، وينطقون من حيث قصْدْهم، ويتواجدون من حيث كامناتُ سرائرهم لا من حيث قولُ الشاعرِ ومُرَادُ القائل، ولا يلتفتون إلى الألفاظ لأنّ الفهم يسبق إلى ما يتخيّله الذّهن.

وشاهد ذلك ما حُكي أنّ أبا سليمان الصّوفي سَمِعَ رجلا يطوف وينادي: «يَا سَعْتَرُ بَرِّي» فسقط وعُشي عليه، فلمّا أفاق قيل له في ذلك قال: سمعته يقول: «اشعْ تَر بَرِّي»⁽³⁾، ألا ترى أنّ وجده وحركته من حيث ما هو فيه من وقته ووجده لا من حيث قول القائل وقصده.

وكما روي عن بعض الشيوخ أنّه سمع قائلا يقول: «الخيار عشرة بحبة، فغلبه الوجدُ فصاح، فسئل عن ذلك فقال: إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار؟»⁽⁴⁾.

فالمحترق بمحبة الله لا تمنعه الألفاظ الكثيفة من فهم المعاني اللطيفة، لم

(1) لم نقف على هذا الجمع في معاجم اللغة، والمعروف جمع صعقة على صواعق.

(2) نحو هذا قول أبي سليمان الداراني (ت: 215هـ): لما سئل عن السَّماع «قال: كلُّ قلب يريد الصّوت الحسن فهو ضعيف، يُدارى كما يُدارى الصَّبِيّ إذا أُريد أن يُتَوَمَّ. ثمّ قال: الصّوت الحسن لا يُدخل في القلب شيئا، إنّما يُحرِّك من القلب ما فيه». (الرّسالة القشيرية: 340، وطبقات الأولياء: 64/1).

(3) إحياء علوم الدين: 282/2، ومدارج السالكين: 413/2.

(4) إحياء علوم الدين: 282/2، ونحو هذا أيضا ما ورد في الرّسالة القشيرية: 340 قال: «سمع الشبلي قائلاً يقول: الخيار عشرة بذنّي، فصاح وقال: إذا كان الخيار عشرة بدانّي فكيف الشّرار؟».

يكن واقفاً مع صوت نغمة ولا مشاهدة/79 صورة.

فمن ظنَّ أنَّ السَّماعَ يرجع إلى رَقَّةِ المعنى وطِيبِ النُّغمة، فهو بعيد عن السَّماع، وإنَّما السَّماعُ حقيقة ربَّانية، ولطيفة روحانية تسري من السَّميع المُسمع إلى الأسرار، بلطائف الثُّحف والأنوار، فتمحُّق من القلب ما لم يكن، وتُبقى فيه ما لم يزل، فهو سماع حَقٍّ بحَقٍّ من حَقٍّ. وأمَّا الانزعاجُ الَّذي يلحق المتواجد فهو ضعف حاله عن تحمُّل الوارد؛ وذلك لازدحام (أنوار)⁽¹⁾ اللطائف في دخول باب القلب، فيلحقه دهش فينبعث بجوارحه ويستريح إلى الصُّرخة والصُّعقة والشَّهقة لغلبة وجده وقهر وارده، وأكثر ما يكون ذلك لأهل البدايات، وأمَّا أهل النهايات فالغالب عليهم السُّكون والثُّبوت لانشرائح صدورهم، واتِّساع سرائرهم للوارد عليهم، فهم في سكونهم مُتحرِّكون، وفي ثبوتهم مُتقلِّبون.

وقيل لأبي القاسم الجنيد: «ما لنا لا نراك تتحرَّك عند السَّماع؟

قال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾⁽²⁾»⁽³⁾.

وقيل له: وما معنى السَّماع؟ وما بال من سَمِعَ يكون ساكناً قبل السَّماع، فإذا سَمِعَ اضطرب وتحرك؟ فقال: «السَّماعُ تَذَكَارُ خطابِ الرُّوح من (الميثاق)⁽⁴⁾ الأوَّل حين قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾⁽⁵⁾»⁽⁶⁾، فَسَمِعَ من سَمِعَ كلامه حين لا حدَّ ولا رَسم ولا صفة إلَّا المعنى الَّذي سَمِعَ، فبقيت حلاوة ذلك السَّماع/80 في أذهانهم، فلمَّا أخرجهم وردَّهم إلى الدُّنيا ظهر ذلك فيهم، فإذا سمعوا نغمةً طيِّبةً وقولاً حسناً طارت قلوبهم إلى ذلك الأصل فسمعوا من الأصل، وأشاروا إلى الأصل.

فالعارف هو الَّذي سمع من الله، ومن لا يعرف الله كيف يسمع من الله؟ ومن لا يسمع من الله فالبهيمةُ خير منه.

(1) في (ع): (الوارد)، والمثبت من: (و).

(2) النمل: 88.

(3) اللُّمع، للطوسي: 366 - 367، وإحياء علوم الدين: 303/2.

(4) في (ع): (الميثاق)، والمثبت من: (ب) و(و) و(د) وكذا الرسالة القشيرية: 332.

(5) الأعراف: 172.

(6) الرسالة القشيرية: 332 - 333.

قال الله عز وجل: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا نَعَامٌ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾⁽¹⁾.

وقال أبو عثمان المغربي⁽²⁾: «من ادعى السَّماع ولم يسمع من صوت الطُّيور وصرير الباب وتصفيق الرِّياح، فهو مغترٌّ مُدَّعٍ، فالعارف يسمع ألطف الإشارات من أكثف العبارات»⁽³⁾.

ودخل يوماً أبو عثمان المغربي وواحد يسقي الماء من بئر على بكرة فتواجد فقيل له في ذلك، فقال: إنها تقول: الله الله⁽⁴⁾.

وسمع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه صوت ناقوس، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟

قالوا: لا.

قال: إنه يقول: سبحان الله حقاً حقاً، إن المولى صمدٌ يبقى⁽⁵⁾ حقاً حقاً صدقاً صدقاً، إن الدنيا قد غرَّتنا واستهوتنا واستغوتنا وأشغلتنا، يا فاني الدنيا تفنى تفنى الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنّا إلّا يهوى مئاً رُكناً.

وسمع أيضاً قوس قطّانٍ فقال لأصحابه: أتدرون ماذا يقول؟ قالوا: لا، قال: هو يقول: هَبْكَ إِنْ أَنْتَ عَشْتَ عُمْرَ نُوحٍ أَوْ ضِعْفَ ضِعْفِ ذَلِكَ أَلَسْتَ بَعْدَ تَمُوتٍ؟ فَتَقِ تَقِ تَقِ.

ومرّ/81/ الشبلي يوماً بفقّاعي⁽⁶⁾، فسمعه يقول: ما بقي إلّا واحد. فصاح صيحة وقال: وهل كان إلّا واحد؟

(1) الأعراف: 179.

(2) هو أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي من أكابر الصوفية، توفي بنيسابور سنة 373 هـ. (الرسالة القشيرية: 62).

(3) الرسالة القشيرية: 333، والاستقامة: 412/1.

(4) الرسالة القشيرية: 339، ومدارج السالكين: 412/2.

(5) الكواكب الدرية: 165/1.

(6) الفقّاعي: بائع الفَقْع، والفَقْع بفتح وكسر الفاء الرِّخو من الكَمأة وهو أردوها والجيد ما حفر عنه. (لسان العرب: 308/2، والقاموس المحيط: 255/8).

وقيل لبعض المشايخ من أصحاب الطريقة: لمن يصلح السماع؟
فقال: لمن لا يَفِرُّق بين صرير الباب والصُّوت الطَّيِّب.
ولقد قلتُ في ذلك المعنى شعرا:

[الخفيف]

مَا اسْتِمَاعِي مِنْ ضَرَبَاتِ الْمَثَانِي
خُلُوتِي خَمَزِي، وَسُكْرِي فِكْرِي
لَيْسَ فِي مَا سَمَعْتُ حَزْفٌ وَصُوتٌ
كُلُّ مَنْ كَانَ فِي اسْتِمَاعٍ وَوَجِدٍ
ذَاكَ لَا شَكَّ وَجْدُهُ مُسْتَعَارٌ
إِنَّمَا الْوَجْدُ فِي الْحَقِيقَةِ وَجْدٌ
فَسَمَاعُ الْقُلُوبِ مِنْ كُلِّ مَعْنَى
فَاسْتَمِعْ مَا يَقُولُ مَرَّ اللَّيَالِي
وَتَصَنَّتْ لِصَادِحَاتِ الْغَوَادِي
وَتَلَمَّخَ تَرَى الْحَقِيقَةَ تَبْدُو
تَجِدِ الْكُلَّ إِنْ تَأَمَّلْتَ فَزِدَا
فَلِهَذَا صَرَفْتُ وَجْهِي إِلَيْهِ
أَنَا لِي مُسْمِعٌ إِذَا قُلْتُ سَرَى
يَا عَذُولِي فَخَلِّنِي وَبَلَايِي
لَا تَلْمِزْنِي إِذَا سَكِرْتُ فَحُجِّي
قَطُّ مَا رُمْتُ شُرْبَةً لِعِظْمَائِي
لَا وَلَا جِئْتُ طَالِبًا لِحِمَاهُ

بَلْ سَمَاعِي مِنْ وَارِدَاتِ الْمَعَانِي
وَاسْتِمَاعِي مِنْهُ بِكُلِّ مَكَانٍ
لَا وَلَا نِعْمَةٌ بَدَتْ عَنْ قِيَانٍ
وَاقِفًا عِنْدَ رُتَّةِ الْعِيدَانِ
مُسْتَرْدٌّ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَانِي
غَيْرُ مُسْتَخْرَجٍ مِنَ الْأَلْحَانِ
يَتَجَلَّى بِصَفْوَةِ لِلْجَنَانِ
وَاعْتَبِرْ مَا يُشِيرُ صَرْفُ الزَّمَانِ
وَالْبَوَادِي وَشَاهِدَاتِ الْعِيَانِ
مِنْ خَفَايَا الْغُيُوبِ كَالْتُرْجُمَانِ
وَاحِدًا لَيْسَ فِي الْحَقِيقَةِ ثَانِي
مَا ثَنَانِي عَنِ الطَّرِيقَةِ ثَانِي
يَا حَبِيبِي يَقُولُ: هَا أَنَا دَانِي
وَهَوَايَ وَلَوْ يَكُونُ هَوَايَ
قَدْ سَقَانِي مِنْ صَرْفِ صَافِي الدَّنَانِ⁽¹⁾
بِكُؤُوسِ الْوَصَالِ إِلَّا سَقَانِي /82/
أَخْتَمِي مِنْ جَفَاهُ إِلَّا حَمَانِي

واعلم أنه قد حضر السماع، وسمع وما قنع بالسماع حتى كُشِفَ القناع،
وتواجد وتحرك كثير من الأكابر والمشايخ والتابعين، وسمع من الصحابة رضي الله

(1) الدَّنَان: مفردة دَنْ وهو الجرة الضخمة، وإذا عظم فهي خاية. (لسان العرب: 157/13).

عنهم؛ عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر وقد جاء عنه آثار في إباحة السماع.

وسمع ابن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية، وغيرهم.

وممن قال بإباحته من السلف: مالك بن أنس، وأهل الحجاز أجمع يُجيزون الغناء. وأما الخداء⁽¹⁾ فأجمع الكل على إباحته.

وكان ابن جرير يُرخص في السماع فقليل له: إذا أتى بك يوم القيامة ووزنت سيئاتك وحسناتك، ففي أيّ الجهتين سماعك؟

فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات؛ يعني أنه من المباحات⁽²⁾.

وأما الشافعي، رضي الله عنه، فإنه لا يُحرّمه ويجعله في العَوَام مَكْرُوهاً حتّى لو جعل الغناء له جِرفَةً وصناعةً فتردُّ به الشهادة، ويجعله ممّا يُسقط المروءة، ولا يلحقه بالمحرّمات.

وكان ابن مجاهد لا يُجيب دعوة إلا إذا كان فيها سماع⁽³⁾.

وقال يونس بن عبد الأعلى: سئل الشافعي، رحمه الله، عن إباحة أهل المدينة السماع، فقال: لا أعلم أحداً من علماء أهل الحجاز كره السماع إلا ما كان منه في أوصافه.

وأما الخداء وذكر الأطلال والمرباع وتحسين الصوت وتلحين الأشعار فلا أراه إلا مُباحاً.

وكان أبو مروان القاضي عنده جوار/83/ يُسمعن التلحين قد أعدّهنّ للصوفية.

وكان لعطاء جاريّتان يُلجّنان، فكان إخوانه يستمعون إليهما. وكان أبو الحسن العسقلاني يسمع ويتولّه في السماع، وصنّف فيه كتاباً ردّ فيه على

(1) الخداء: خذا الإبل وبها خدّوا وخدّاء وحِدَاء زَجَرها وساقها بالغناء لها برقيق البعير. (لسان العرب: 408/3).

(2) الرسالة القشيرية: 328، وإحياء علوم الدين: 270/2. وقال بعد «ولا في السيئات»: «لأنه شبيه باللغو وقال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾».

(3) إحياء علوم الدين: 269/2.

مُنكره، وكذلك صَنَّفُوا كُتُباً فِي الرَّدِّ عَلَى مُنْكَرِهِ.

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الْمَشَايخ أَنَّهُ قَالَ: «رَأَيْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا السَّمَاعِ الَّذِي اخْتَلَفَ فِيهِ أَصْحَابُنَا؟

فَقَالَ: هُوَ الصَّفَا الرُّلَالُ الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ إِلَّا أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ»⁽¹⁾.

وَحُكِيَ عَنْ مَمَّشَادِ الدِّينُورِيِّ⁽²⁾ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَنْكَرُ مِنْ هَذَا السَّمَاعِ شَيْئاً؟ فَقَالَ: مَا أَنْكَرَ فِيهِ شَيْئاً، وَلَكِنْ قُلْ لَهُمْ يَفْتَحُونَ قَبْلَهُ بِالْقُرْآنِ وَيَخْتَمُونَ بَعْدَهُ بِالْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يُؤْذُونَنِي وَيَتَسَلَّطُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: احْتَمِلْهُمْ يَا أَبَا عَلِيٍّ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُكَ، فَكَانَ مَمَّشَادٌ يَفْتَخِرُ بِهَا وَيَقُولُ: (كُنَّائِي)⁽³⁾ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»⁽⁴⁾.

وَرَوَى أَبُو طَاهِرٍ بْنُ بُلْبُلٍ الْهَمْدَانِيُّ الْوَرَّاقُ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ، قَالَ: «كُنْتُ مُعْتَكِفاً فِي جَامِعِ جَدَّةَ عَلَى الْبَحْرِ، فَرَأَيْتُ يَوْماً طَائِفَةً يَقُولُونَ فِي جَانِبِ مِنْهُ قَوْلًا وَيُسْمِعُونَ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ بِقَلْبِي، فَقُلْتُ فِي بَيْتٍ مِنْ بَيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُونَ الشَّعْرَ، قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ وَإِلَى جَانِبِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ شَيْئاً مِنَ الْقَوْلِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُ مِنْهُ وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ كَالْمُتَوَاجِدِ بِذَلِكَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا كَانَ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَنْكَرَ عَلَى أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا يُسْمِعُونَ، وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَسْتَمِعُ)⁽⁵⁾ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى جَانِبِهِ يَقُولُ، فَالْتَفَتُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: هَذَا حَقٌّ بِحَقِّ، أَوْ قَالَ: حَقٌّ

(1) إحياء علوم الدين: 270/2، ومن قوله: «وكان أبو مروان»، إلى قوله: «أقدام العلماء». منقول منه.

(2) هو ممشاد الدينوري من كبار مشايخ الصوفية، توفي سنة 299 هـ. (الرسالة القشيرية: 52، والطبقات الكبرى، للشعراني: 101/1 - 102).

(3) في (ع): (كفاني)، والمثبت من: (و) و(د).

(4) إحياء علوم الدين: 270/2، والوارد فيه إلى قول ممشاد: «ويختمون بعده بالقرآن».

(5) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و)، وإحياء علوم الدين: 108/2.

من حقّ، شكّ الراوي في ذلك»⁽¹⁾.

وقال أبو طالب المكي رضي الله عنه في كتابه بإسناده أنّ رجلاً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده قوم يقرأون القرآن، وقوم يُنشدون الشعر، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله قرآن وشعر؟ فقال: "من هذا مرّةً ومن هذا مرّةً".

وقد روى القشيري في "رسالته" عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن عائشة، رضي الله عنها، «أنّها أنكحت ذا قرابتها، يعني امرأةً من الأنصار، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أهديتم الفتاة؟ فقالت: نعم، قال: ألا فأرسلت من يغني؟ فقالت: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الأنصار فيهم غزلٌ ولو أرسلتم من يقول: أتيناكم أتيناكم فحيّانا وحيّاكم»⁽²⁾.

وروي أنّ رجلاً أشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

أَقْبَلْتُ فَلَاخَ لَهَا عَارِضاً كَالسَّبَجِ / 85/
أَذْبَرْتُ فَقُلْتُ لَهَا وَالْفَوَاذُ فِي وَهَجٍ:
هَلْ عَلَيَّ، وَيَحْكُمَا، إِنَّ عَشِيقْتُ مِنْ حَرَجٍ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حرج إن شاء الله»⁽³⁾.



فصل

واعلم أنّ السّماع إنّما هو عبارة عن الأصوات الحسنة والتّغيمات المطربة يصدر عنها كلام موزون ومفهوم، فالوصف الأهم في السّماع إنّما هو الصّوت الحسن والتّغمة الطّيبة، وهو مُنقسم إلى قسمين: مفهوم كالأشعار، وغير مفهوم كأصوات الجمادات، وهي المزامير كالشّبابة وغيرها من أصوات الطّيور المطربة، ولا قائل بتحريم الصّوت الطّيّب المُطرب من حيث هو صوت إلّا ما جاء النصّ بتحريم سماعه كالأوتار والملاهي.

(2) الرسالة القشيرية: 330.

(1) إحياء علوم الدين: 270/2.

(3) الرسالة القشيرية: 330.

وأما الصّوت المطرب بالشّعر الموزون المفهوم، فقد صحّت الأخبار، وتواترت الآثار بإنشاد الأشعار بالأصوات الطّيبة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يضع لحسان⁽¹⁾ منبراً في المسجد يقوم عليه ويُفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَانًا بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافِعٌ وَفَاخِرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"⁽²⁾.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الأشعار وهو يتبسّم، ولَمَّا أُنشده التّابغة⁽³⁾ شعره قال: "لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَأَكْ"⁽⁴⁾.

وأنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول أُمّية بن أبي الصّلّت⁽⁵⁾ يقول في كلّ ذلك: هِيَهْ هِيَهْ⁽⁶⁾، ثُمَّ قال: "إِنَّهُ كَادَ فِي شِعْرِهِ

(1) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، مخضرم متقدم الإسلام. (الشعر والشعراء لابن قتيبة: 305/1 - 308، وأسد الغابة: 7/2 - 11، والإصابة لابن حجر العسقلاني: 62/2 - 64،).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک، الحديث: 6058، "عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافِعٌ أَوْ فَاخِرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

(3) هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة، أبو لیلی نابغة بني جعدة شاعر قديم مخضرم مفلق، صنفه ابن سلام الجُمحي في الطبقة الثالثة من طبقات الجاهليين، عَمَّر طويلاً وبلغ فتنة ابن الزبير وتوفي بأصفهان. (طبقات فحول الشعراء: 123/1، والشعر والشعراء لابن قتيبة: 289/1 - 296).

(4) الشّعر والشّعراء لابن قتيبة: 298/1، والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة: (460/6)، وابن حجر في الإصابة: 588/5، 394/6، وقال ابن حجر عقبه: «فأتت عليه عشرون ومائة سنة كلما سقطت له سن نبت له أخرى» (588/5). وذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم.

(5) هو أُمّية بن أبي الصّلّت الشّاعر الجاهلي، أدرك الإسلام ولم يسلم، كان قرأ الكتب السماوية ويُخبر بِمَنْعَتِ النَّبِيِّ وَيُؤْمَلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَرَ بِهِ حَسِداً لَهُ. (الشعر والشعراء، لابن قتيبة: 459/1 - 462).

(6) هِيَهْ هِيَهْ: بالكسر يقال لشيء يَطْرُدُ، وهي كلمة استزادة بمعنى زد. (القاموس المحيط: 1/

أن يُسَلِّم⁽¹⁾.

وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُخَذِّي لَهُ فِي السَّفَرِ، وَأَنَّ أَنْجَشَةَ كَانَ يُخَذُّو بِالنِّسَاءِ، وَ(الْبَرَاءَ)⁽²⁾ بَنَ مَالِكَ كَانَ يُخَذُّو بِالرِّجَالِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا أَنْجَشَةُ كُفَّ صَوْتَكَ رِفْقاً بِالْقَوَارِيرِ"⁽³⁾.

فلا يجوز أن يكون الصَّوْت الطَّيِّب بالشَّعْر الموزون والمعنى المفهوم حراماً، إذ الأصوات الطَّيِّبَة غير مُنْكَرَة ولا مُحَدَّثَة، وقد ثبت ذلك بالنَّصِّ والقياس.



فصل

وأما الضَّرْبُ بالدُّفِّ والرَّقْصُ فقد جاءت الرُّخْصَة بإباحته للفرح والشُّرُور في أَيَّام الأعياد والأعراس، وقُدُوم الغائب والوليمة والعقيقة، وقد ثبت جواز ذلك بالنَّصِّ، فمن ذلك إنشادهم وضربهم بالدُّفِّ عند قدوم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(1) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ أَصْدَقَ كَلِمَةً قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةً لِبَيْدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ، وَكَادَ أُمِيَّةُ بَنَ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسَلِّمَ». (الشمائل المحمدية للترمذي: 201، و205).

وقال الإمام أحمد: "حدثنا روح حدثنا زكريا بن إسحاق حدثنا إبراهيم ابن ميسرة أنه سمع عمرو بن الشريد يقول: قال الشريد: كنت ردفا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لي: أمعك من شعر أمية بن أبي الصَّلْتِ شيئاً؟ قلت نعم قال: فأَنشدني فأنشدته بيتاً فلم يزل يقول لي كلما أنشدته بيتاً: هيه حتى أنشدته مائة بيت قال: ثم سكَّت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسكَّت".

وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة عن أبي تميم بن ميسرة به ومن غير وجه عن عمرو بن الشريد عن أبيه الشريد بن سويد الثقفي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي بعض الروايات فقال رسول الله: "إِنْ كَادَ يُسَلِّمَ".

والقصيدة المذكورة أولها قول أمية:

الحمد لله مُمَسِّنَا وَمَصْبِحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَحْنَا رَبِّي وَمَسَّنَا

(الوافي بالوفيات: 228/9).

(2) في (خ): (أنس)، والمثبت من: (و).

(3) في: (و) و(ب): (كف سوقك).

وسلم وقولهم:

[مجزوء الرمل]

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوُدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ⁽¹⁾

ولقد صَمَّمْتُ لهذين البيتين أبياتاً آخر وهي:

قُلْتُ فَقَدْ طَابَ سَمَاعِي أَوْ قَدْ غَنِيَّيَ وَاشْتِمَاعِي
مَا يَطِيبُ الْوَقْتُ إِلَّا بِخَلِيعٍ كَانْخِلَاعِي
أَنَا عَابِدٌ لِحَبِيبٍ سِرُّهُ غَيْرُ مُذَاعِ
أَنَا رَاضٍ فِي مَوَاهٍ يَهْوَانِي وَإِضْضَاعِي /87/
قُلْتُ فَهَاتِ الرِّاحَ صِرْفاً وَاشْتَقِيهَا لِانْتِفَاعِي
قَدْ رَضَعْنَاهَا قَدِماً قَبْلَ أَيَّامِ الرِّضَاعِ
مِنْ يَدِي سَاقٍ تُجَلَى وَمُؤَوِّدٍ لِلْعُشَّاقِ دَاعِ
وَمُعْتَبِي الْوَقْتِ غَنَى لَكَ فِي خَيْرِ الْبِقَاعِ
"طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوُدَاعِ"
"وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ"

فأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ذلك لإظهار الشُّرُور بقدمه صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم رضي الله عنهما "عن عُرْوَةَ عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أَيَّامِ مِنًى يُدْفِقَانِ وَيَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَغَيِّرٌ فِي ثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَقَالَ: دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامٌ عِيدٌ"⁽²⁾.

(1) دلائل النبوة، للبيهقي: 507/2، والخصائص الكبرى، للسيوطي: 313/1.

(2) صحيح البخاري، الحديثان: 934، و3266. صحيح مسلم، الحديث: 1480.

وفي حديث آخر قالت عائشة، رضي الله عنها، "دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان يُغَيَّيان بغناء ودِفاف، فاضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا. وكان يوم عيد/88 يلعب فيه السودانُ بالدَرْقِ⁽¹⁾ والجِرَابِ⁽²⁾، فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإِذَا قال: أتستهين أن تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه وخدي على خده، ويقول: دونكم يا بني أَرْفَدَةً⁽³⁾ حَتَّى إِذَا مَلَلْتُ قال: حسبك؟ قالت: نعم، قال: فاذهبي"⁽⁴⁾.

فهذه الأحاديث كلها نصّ صريح في الصّحيح على أنّ الغناء واللّعب ليس بحرام، ويدلُّ أيضاً على كثير من الرّخص منها اللّعب وإباحة ذلك في المسجد، ووقوفه مع عائشة رضي الله عنها حتّى ملّت مع صغر سنّها، وإنكاره على أبي بكر، ومنعه له على انتهاز الجاريتين، وكان يقرع سمعه صلى الله عليه وسلم صوت الدّفِّ وصوت الجاريتين ولو كان في موضع يُضرب فيه الأوتار لما جَوّز الجلوس فيه. ففيه دليل على أنّ صوت النِّساء أخفّ تحريماً من صوت الأوتار والمزامير.

وأما الشّبابَةُ فاحتجّ أهل التّحريم بحديث نافع مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين وضع أظبُعَيْهِ في أُذُنِهِ، وقد سمع زُمارة راع وعدل عن الطّريق ولم يزل يقول: يا نافع أسمع؟ حَتَّى قُلْتُ: لا، فأخرج أظبُعَيْهِ من أُذُنِهِ، وقال: هكذا رأيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صنع، فهذا ليس فيه دلالة على التّحريم (بل فيه دليل قويٌّ على إباحة الشّبابة بدليل)⁽⁵⁾ أنّه لم يأمر نافعاً بسدِّ أُذُنِهِ، ولم يُنكر عليه. وكذلك فعله صلى الله عليه وسلم لا يدلُّ على التّحريم لأنّه لم يأمر عبد الله بسدِّ أُذُنِهِ،

(1) الدرق: درق وأدراق ودراق، ضرب من الدُّروع تتخذ من الجلود. (لسان العرب: 95/10).

(2) الجراب: مفردها حَزْبَةٌ آلَةٌ وهي دون الرُّمَح. (لسان العرب: 306/1).

(3) بنو أرفدة: بفتح الفاء وكسرهما ورواية الكسر أشهر، وهو لقب للحيشة، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "دونكم" وهو من ألفاظ الإغراء، أي بمعنى: عليكم بهذا اللّعب الذي أنتم فيه.

(4) صحيح البخاري، الحديثان: 897، و2691، وصحيح مسلم، الحديث: 1482.

(5) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

ولم يُنكر على الرَّاعي فعله، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يمرَّ بمنكر ولم يُنكره، أو بباطل ولم يُبطله، إذ لم يُعرَف الحلال والحرام إلا من جهته، ولو كان حراماً لأخبر به أصحابه.

وأما سدُّ أذنيه صلى الله عليه وسلم فيحتمل معنيين:

أحدهما: أنَّه كان سالكاً أتمَّ الأحوال وأفضلها، ونحن نقول إنَّ الأولى تركه في أكثر الأحوال بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها.

الثاني: أنَّه صلى الله عليه وسلم قلَّمَا يخلو من فكر أو ذكر أو حال مع الله تعالى واشتغال به، فلعلَّه كان في حالة تشغله زمارة الرَّاعي عن تلك الحالة لتأثيرها في القلب، كما أنَّه خَلَعَ ثوبَ أبي جَهم بعد الفراغ من الصَّلَاة لأنَّه كان عليه السَّلام شغلته عن حالته ووقته، فلا نقول إنَّ ذلك يدلُّ على تحريم أعلام الثوب بل إنَّه استشعر أنَّها شغلت قلبه فخلعها، فلذلك سدَّ أذنيه.

وأما احتجاجُهم بقول ابن مسعود: «الغناء يُنبث في القلب البُغَاءُ كما يُنبث الماء البَقْلُ»⁽¹⁾، وبقول الفضيل⁽²⁾: «الغناء رُقِيَّةُ الرِّنَى»⁽³⁾، وبقوله صلى الله عليه وسلم: "ما رَفَعَ أَحَدٌ صَوْتَهُ بِغَنَاءٍ إِلَّا بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ شَيْطَانَيْنِ عَلَى مَنَكِبَيْهِ يَضْرِبَانِ بِأَعْقَابِهِمَا عَلَى صَدْرِهِ حَتَّى يُمْسِكَ"⁽⁴⁾.

وَيَقُولُ عِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ/90/ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْذَ أَسْلَمْتُ مَا تَغَنَّيْتُ وَلَا

(1) إحياء علوم الدين: 286/2، والمنسوب إلى ابن مسعود رضي الله عنه قوله: «الغناء يُنبث في القلب البُغَاءُ» بينما زاد بعضهم الباقي كما قال الغزالي.

(2) هو أبو علي الفضيل بن عياض من أكابر الصوفية، خراساني ولد بسمرقند وتوفي بمكة سنة 187 هـ. (الرسالة القشيرية: 19 - 20، وحلية الأولياء: 84/8 - 139).

(3) قال الغزالي في الإحياء: «وأما قول الفضيل: هو رُقِيَّةُ الرِّنَى. وكذلك ما عدها من الأقاويل القريبة منه. فهو منزل على سماع الفسَّاق والمغتلبين من الشبان. ولو كان ذلك عاماً لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم». (123/2).

(4) إحياء علوم الدين: (121/2) وقال بعده: «هو منزل على بعض أنواع الغناء الذي قدَّمناه وهو الذي يُحرِّك من القلب وما هو مراد الشيطان من الشَّهْوَةِ وعشق المخلوقين، فأما ما يُحرِّكُ الشَّوْقَ إلى الله أو الشُّرُورَ بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يُضادُّ مراد الشيطان. بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التي نقلناها من الصَّحاح».

تَمْنِيْتُ وَلَا لَمَسْتُ ذَكَرِي بِيَمِينِي مِنْذُ بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان إبليس أول من ناح وأول من تَغْنَى" (1).

وقول عائشة رضي الله عنها: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْقَيْنَةَ وَبَيْعَهَا وَثَمَنَهَا وَتَعْلِيمَهَا" (2). وبقوله تعالى: ﴿أَقِمْنَ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجِبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ (3). قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «هو الغناء بلغة جَمِير» (4). فيلزم من هذا إذا قلنا بتحريمه أن يُحَرَّمَ الضَّحْكُ أيضاً وعدم البكاء قياساً، ويُحَرَّمُ في حديث عثمان مَسُّ الذَّكَرِ باليمين قياساً، ويلزم من هذه الأحاديث إذا قلنا بإطلاق التحريم فيها أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل حراماً أو أمر بحرام أو رضي حراماً، ومن ظنَّ ذلك بنبيّه فقد كفر.

وقد ثبتت النصوص بالغناء في بيته، وضرب الدف في حضرته، ورقص الحُبُوش في مسجده، وإنشاد الشعر بالأصوات الطَّيِّبَةِ بين يديه، فلا يجوز أن نقول بتحريم الغناء واستماعه على الإطلاق ولا بإباحته على الإطلاق، بل يختلف ذلك باختلاف الأحوال والأشخاص، وأرباب الرِّياء والإخلاص.

واعلم أن السَّماع ينقسم على ثلاثة أقسام:

منه ما هو حرامٌ مُحَضَّرٌ/91/، لأكثر النَّاسِ من الشُّبَّانِ ومن غلبت عليهم شهواتهم ولذَّاتهم، وملِكهم حُبُّ الدُّنْيَا، وتكذَّرت بواطنهم وفسدت مقاصدُهم فلا يُحرِّكُ السَّماعُ منهم إلَّا ما هو الغالب عليهم وعلى قلوبهم من الصِّفَاتِ المذمومة ولا سيَّما في زماننا هذا وتكذُّرِ أحوالنا وفسادِ أعمالنا.

وقد رُوي عن الجُنيد رضي الله عنه أنه ترك السَّماع في آخر أمره فقليل له:

(1) أخرجه الغزالي في إحياء علوم الدين: 121/2، عن جابر.

(2) إحياء علوم الدين: 121/2.

(3) النجم: 59، 60.

(4) في تأويل لفظة: ﴿سامدون﴾ تسع تأويلات، المذكور أحدها، يراجع: تفسير القرطبي: 17/

123، وتفسير ابن كثير: 468/7.

كنت تسمع أفلا تسمع؟ فقال: مع من؟ فقليل له: تسمع أنت لنفسك، قال: ممن والسماع لا يحسن إلا بأهله، ومع أهله، ومن أهله فإذا غُدم أهله واندرس محله، فيجب على العارف تركه⁽¹⁾.

القسم الثاني منه ما هو مباح وهو لمن لا حظ له إلا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح أو يتذكر به غائباً أو ميتاً، فيستثير به حزنه فيستروح بما يسمعه.

القسم الثالث منه: ما هو مندوب، وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشوق إليه، فلا يحرك السماع منه إلا الصفات المحموده، وتضاعف الشوق إلى الله تعالى واستدعاء الأحوال الشريفة والمقامات العلية، والكرامات الشئبة والمواهب الإلهية.

ومحصل القول في ذلك أن من سمع فظهرت عليه صفات نفسه وذكر به حظوظ دنياه، واستثار بسماعه وساوس هواه فالسماع عليه حرام مخض. ومن سمع فظهر له ذكر ربه، وخوفه/92 من ذنبه، وتذكر آخرته فأنج له ذلك الذكر شوقاً إلى الله تعالى، وخوفاً منه ورجاءه لوعده وحذراً من وعيده، فسماعه ذكر من الأذكار، مكتوب في صحائف الأبرار. ولقد أشرت إلى هذا المعنى في هذه الأبيات:

[الوافر]

إِذَا مَا كُنْتُ مُسْتَمِعاً لِقَوْلٍ	فَبِالْقَلْبِ اسْتَمِعَ مِنْ قَبْلِ أَذْنٍ
وَأَلْقِ السَّمْعَ تَشْهَدُ كُلُّ مَغْنَى	وَتَسْمَعُ فِي شُهُودِكَ كُلِّ فَنٍ
وَمَنْ يَكُنْ وَجْدُهُ وَجْداً صَحِيحاً	فَلَمْ يَخْتَجْ إِلَى قَوْلِ الْمُغْنَى
لَهُ مِنْ ذَاتِهِ طَرَبٌ قَدِيمٌ	وَشُكْرٌ دَائِمٌ مِنْ غَيْرِ دَنْ
فَدَغْنِي مِنْ تَغْزِلِ قَيْنٍ لَيْلَى	وَمِنْ أَبْيَاتِ شِعْرِ جَمِيلِ بُشَيْنِ
فِي شَغَفٍ عَنِ الْأَسْعَارِ يُلْهِي	وَيَسِي طَرَبٍ عَنِ الْأَوْتَارِ يُغْنِي

وَفِي إِيَّايَ كُلِّ مَغْنَى لَطِيفٌ
وَمَا وَجَدِي بِمُنْقَطِعٍ وَلَكِنْ
فَإِنْ لَمْ تُذَرِكِ الْمَغْنَى وَتَذَرِي
وَمَنْ حَضَرَ السَّمَاعَ بِغَيْرِ قَلْبٍ
وَإِنْ تَكُ يَا عَذُولِي جَهَلْتَ أَمْرِي
أَغْنِي بِاسْمِ جَيْي لَا أَكْتَسِي
وَرَاجِي إِنْ شَرِئْتُ فَصَفْوُ وُدِّي
وَلَا أَرْضَى إِذَا لَمْ تَرْضَ عَنِّي
وَمَا نَفْسِي بِذَارٍ لَسْتُ فِيهَا

(فَمِنِّي) إِنْ سَمِعْتُ سَمِعْتُ عَنِّي⁽¹⁾
بَحْنِي يَكُونُ مَحْبُوبِي تَجِدُنِي
خَفَايَا مَا أَقُولُ فَلَا تَلْمِنِي
وَلَمْ يُطْرَبْ فَلَا يَلْمِ الْمَغْنَى
فَدَغَ عَنْكَ الْمَلَامَ وَخَلَّ عَنِّي
وَإِنْ كُنْتُ عَنْهُ فَذَاكَ أَغْنِي
وَرَادِي إِنْ قَصَدْتُ فَحُسْنُ ظَنِّي
نَعِيمًا لَا وَلَا جَنَائِ عِلْدِي
وَأَنْتَ الْقَضْدُ يَا أَقْصَى التَّمْنِي

فصل

اعلم أنَّ القلوب أوعية⁽²⁾، والآذان أوكية⁽³⁾، والتَّغْمَاتِ 93/ أشربة مَزْوِيَّة؛
لأنَّ الأصوات جمال تحمل التَّغْمَاتِ من الأغاني إلى الأواني، ولولا صَفْوَةُ الأواني
ما راقَت الأغاني، ولولا صَحَّةُ المعاني ما طابت المَثَانِي، فإذا وصلت الأشربة إلى
أوانيها فإن كانت صافية صَفَتْه ولطَفَتْه، وإن كانت كِدِرَةً خَبِثَتْه⁽⁴⁾، ولقد قلتُ

(1) في (ع): (فمتي) وينكسر بها الوزن، والمثبت من: (و).

(2) تشبيه القلوب بالأوعية مأخوذ من حديث أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" الحديث: 6655، قال: حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا حسن حدثنا بن لهيعة حدثنا بكر بن عمرو عن أبي الرحمان الحلبي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "القلوب أوعيةٌ وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عزَّ وجلَّ أنْ يُها النَّاسَ فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإنَّ الله لا يستجيب لعبد دعاءه عن ظهر قلب غافل".

(3) أوكية: مفردها وكاء وهو خيط يشده فم السقاء والوعاء، أو رباط القرية. (لسان العرب: 15/405).

(4) ونظير هذا أيضا قول المؤلف: «وَيْخَكَ وهل إلَّا جمال تحمل التَّغْمَاتِ من المعاني إلى المعاني؟ ولولا صَفْوُ الأواني ما راقَت الأغاني، ولولا صَحَّةُ المباني ما طابت المَثَانِي، فالقلوب أوعية، والآذان أوكية، والتَّغْمَاتِ أشربة مَزْوِيَّة، فإن كانت الأوعية صافية صَفَتْه ولطَفَتْه، وإن كدرت كدَرْتَه وكَثَفَتْه وخَبِثَتْه». (الفتوحات الغيبية: 38 - 39).

في ذلك شعرا:

[الرجز]

مَا حِيلَةَ السَّاقِي إِذَا طَافَ عَلَى
فَوَاحِدٍ قَدْ زَادَهَا بِصَفْوِهِ
قُلُوبُنَا أَوْ عِيَّةً فَكَلَّمَا
قَلْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ أَضْحَى رَوْضَةً
مَا مَنَبَتْ الْوَرْدَ كَمَنَبَتْ غَيْرِهِ
وَلَوْ سُقِيَ الْحَنْظَلُ شَهْدًا دَائِمًا
نُذْمَانِهِ بِالْخَمْرَةِ الْمُحَلَّلَةِ
صَفْوًا وَهَذَا رَدُّهَا مُحَلَّلَةِ
طَابَ الْوِعَاءُ طَابَ مَا قَدْ حَصَلَهُ
وَآخِرُ بِاللَّهِ صَارَ مَرْبَلَهُ
وَلَا شَذَا الْمِسْكِ كَرِيحِ الْبَصَلَةِ
مَا أَنْبَتَ الْحَنْظَلُ إِلَّا حَنْظَلَهُ

فصل

اعلم أن الخلق كلهم أطفال في حجر تربيته الحق سبحانه وتعالى يُغذي كل واحد من خلقه على (قدر)⁽¹⁾ احتمال معدة معرفته.

فغذاء الرجال لا يصلح للأطفال، ومراكب الأبطال لا تصلح للبطال، ألا ترى أن الطفل لما لم يطق/94 تناول الخبز واللحم أطمع ذلك بواسطة اللبن ولو أطمع ذلك مجردا لمات، ومن هاهنا يقال: من لا شيخ له لا قبله له ومن لا شيخ له فالشيطان شيخه.

هذا أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، لما كان في حجر تربيته النبي صلى الله عليه وسلم كان يلقيه مما كان يتلقمه من لقم الغيب بواسطة: "ما صب الله في صدري شيئا إلا صبيته في صدر أبي بكر"⁽²⁾ فما أطاق ذلك الغذاء إلا بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا أيضا قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا مدينة العلم وعلي بابها"⁽³⁾ لم

(1) غير وارد في: (ع)، ويقتضيها المعنى.

(2) المنار المنيف، لابن القيم: 240/2، وكشف الخفاء: 419/2.

(3) أخرجه أبو نعيم في الحلية: عن مجاهد عن ابن عباس بزيادة: "فمن أتى العلم فليأت الباب"، والحديث حسنه الحافظ أبو سعيد العلالي باعتبار طريقه، وكذا قال شيخ الإسلام ابن حجر.

يكن علي يحتمل ما تحتمله المدينة، وإنَّما كان بمنزلة الباب من المدينة ما يخرج من المدينة شيء حتَّى يمرَّ بالباب، ومن سرَّ هذا الكشف كان يقول كَرَّمَ الله وجهه: «لو كُشف الغطاء ما ازددتُ يقيناً»⁽¹⁾، معناه أنَّه لو كُشف غطاء المخلوقات حتَّى أشاهدها بعين البصر ما ازددتُ يقيناً على ما شاهدت بعين البصيرة ممَّا ورثته من علم الأولين (والآخرين عن سيِّد الأولين والآخرين)⁽²⁾.

فما أراد بكشف الغطاء إلَّا عن المخلوقات لا عن الخالق، فإنَّ الخالق لا يُوصفُ بذلك، فإذا كنتَ طفلاً في حجر عاداتك، محصوراً برباط مألوفاتك، فلا تتناول إلى تناول طعام الرِّجال، فإنَّ طعام الأصحاء يضُرُّ بذوي الاعتلال، وإشراق الشَّمس المنيرة يضُرُّ بذوي البصائر الضَّعيفة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تودعوا الحكمةَ غيرَ أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم"⁽³⁾.

فما كلُّ قلب يصلح للسرِّ، ولا كلُّ صَدَف ينطبق على الدَّر، فلكلِّ قوم/95 مقال⁽⁴⁾، وما كلُّ ما يُعلم يقال.

قال قائل لأبي يزيد البسطامي رضي الله عنه: «ما لنا لا نفقه كثيراً ممَّا تقول؟ قال: لأنَّ كلام الأخرس لا تفهمه إلَّا أمُّه». شعر:

(الدرر المنتشرة: 3/1).

(1) شرح نهج البلاغة: 245/7، 136/10، 165/11، 188، 5/13. وفي هذا الكلام بيان لمقامه كرم الله وجهه، فهو من شدة اليقين والمكاشفة بمنزلة من رأى، ولا ريب أن من كان في مقام المشاهدة يكون على قدم عظيم من العبادة والخوف والرجاء.

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (و).

(3) أخرجه أبو طالب المكي في القوت (220/1) برواية: "لا تضيعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم"، وأبو نعيم في الحلية: (1/ 492) عن ابن عباس برواية: "لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها، وقال مرة: فتظلموهم"، والعجلوني في كشف الخفاء، الحديث: 3124، برواية: "لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم".

(4) فيه تلميح إلى مثل تامه: «لكل مقام مقال ولكل دهر رجال». (مجمع الأمثال، للميداني: 2/ 202)، ويراد منه «أنَّ لكلِّ أمر أو فعل أو كلام موضعاً لا يُوضع في غيره» (198/2). وصرفه من المقام إلى القوم.

[الخفيف]

فَإِذَا كُنْتَ بِالْمَدْرَكِ غُرًّا ثُمَّ أَبْصُرْتَ صَادِقًا لَا تُمَارِي
وَإِذَا لَمْ تَرَ الْهَلَالَ فَسَلِمَ لِأَنْبَاسٍ رَأَوْهُ بِالْأَبْصَارِ

هذا تَرْجُمانُ القرآن عبد الله بن عباس، رضي الله تعالى عنه، يقول: «إني لأعلم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾⁽¹⁾ ما لو قلته لكفرتُموني»⁽²⁾. وهذا أبو هريرة، رضي الله عنه يقول: «أخذتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَرَابَيْنِ من العلم جَرَاباً أَلْقَيْتُهُ إِلَيْكُمْ، وَجَرَاباً لو أَبْدَيْتُهُ لَكُمْ لَرَجَمْتُمُونِي»⁽³⁾. وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: «إِنَّ بَيْنَ جَنْبِي عِلْماً لو قُلْتُهُ لَخَضَبْتُمْ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ» يعني لِيَحِيتَهُ مِنْ جِبْهَتِهِ. وقال أيضاً، رضي الله عنه:

[البيضا]

إِنِّي لَا عَلِّمُ عِلْماً لَوْ أَبُوحُ بِهِ لَقِيلَ لِي أَنْتَ مِمَّنْ يَغْبِذُ الْوَسْئَا
وَلَا نَسْتَحِلُّ رِجَالَ مُسْلِمُونَ دِمِي يَرْوُونَ أَقْبَحَ مَا يَأْتُونَهُ حَسَنًا
إِنِّي لَا أَكْثُمُ مِنْ عِلْمِي جَوَاهِرَهُ كَفِي لَا يَرَى الْحَقُّ ذُو جَهْلٍ فَيُفْتِنَا⁽⁴⁾

فأما أهل التَّمَكِينِ فَإِنَّهُمْ عَلِمُوا وَكْتَمُوا ما عَلِمُوا لما يعلمون من ضعف احتمال عقول أطفال العقول؛ فلهذا إِنَّ الْحَلَّاجَ⁽⁵⁾ لما علم شيئاً من هذا العلم وتفوّه به فَمُه، أُبَيحَ دَمُهُ، وكان خطؤه من حيث إظهاره ما يُكْتَم وإعلانه بما يُسَرُّ، فكان

(1) الطلاق: 12.

(2) قوت القلوب: 352/1.

(3) في حلية الأولياء: «عن أبي هريرة، قال، حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة جرب، فأخرجت منها جرابين، ولو أخرجت الثالث لرجمتُموني بالحجارة» (1/ 381).

(4) نسبها ابن حديد في شرح نهج البلاغة للحلاج: 208/11، ونسب الأول والثاني من المقطوعة ابن عربي في فتوحاته (الباب الثلاثون) لزين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ويبدو أن الصواب النسبة الثانية.

(5) هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج صاحب الجنيد والنوري وغيرهما، قتل ببغداد سنة 309 هـ. (طبقات الأولياء: 31/1، والطبقات الكبرى، للشعراني: 107/1 - 109).

حُكِمَ من باح، أن دمه مباح.

وقد رُوي عنه أنه لما أتني به ليصلب/96/ فرأى الخشب والمسامير، فضحك ضحكا عاليا ثم نظر في الجماعة فرأى الشبلي فقال: يا أبا بكر أما معك سَجَّادة؟ فقال: بلى، قال: أفرشها لي، ففرشها له، فتقدم فصلّي ركعتين فقرأ في الرّكعة الأولى بفاتحة الكتاب وبعدها ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾⁽¹⁾ إلى آخر الآية، وقرأ في الثانية فاتحة الكتاب ومن بعدها ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾⁽²⁾ إلى آخر الآية، ثم ذكر أشياء فكان ممّا حفظ منها: «اللَّهُمَّ بِحَقِّ قِيَامِكَ بِحَقِّي وقِيَامِي بِحَقِّكَ، وقِيَامِي بِحَقِّكَ يخالف قِيَامِكَ بِحَقِّي؛ لأنّ قِيَامِي بِحَقِّكَ ناسوتية وقِيَامِكَ بِحَقِّي لاهوتية مع أنّ ناسوتيي مُستهلك في لاهوتيّتك غير ممزوج إياها، ولاهوتيّتك مستولية على ناسوتيي غير مُماسّة لها، أسألك أن توفّقني لشكر هذه النعمة التي أنعمت بها عليّ حيث كشفت لي عن مطالع وجهك، وحرّمت عليّ غيري ما أبحت لي من النّظر في مكنونات سرّك، وهؤلاء عبادك اجتمعوا لقتلي تعصبا لدينك، وتقربا إليك فاغفر لهم، فإنّك لو كشفت لهم ما كشفت لي ما فعلوا ما فعلوا، ولو سترت عني ما سترت عنهم ما ابتليت بما ابتليت، فلك الحمد في ما تفعل ولك الحمد في ما تريد.

ثم تقدّم أبو الحارث السّيف ولطمه لطمه هشم بها وجهه وأنفه، وصاح الشبلي ومزّق جُبَّتَه وغُشي عليه وعلى ابن الحسن الواسطي وعلى جماعة من المشايخ المشهورين»⁽³⁾.

وقال عبد الكريم/97/ بن عبد الواحد⁽⁴⁾: «دخلت على الحسين بن منصور في مسجد وحوله جماعة فكان أوّل ما قال في كلامه: لو يلقى ممّا في قلبي ذرّة على الجبال لذابت، وإنّي لو كنت يوم القيامة في النّار لأحرقت النّار، ولو كنت في

(1) البقرة: 155.

(2) آل عمران: 185، والأنبياء: 35، والعنكبوت: 57.

(3) أخبار الحلاج: 1.

(4) هو عبد الكريم بن عبد الواحد الزعفراني.

الجنة لهُدمت الجنة»⁽¹⁾.

ودخل يوما إلى جامع المنصور ببغداد وقال: «يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا مِنِّي حديثا، فاجتمع عليه خلق كثير فمنهم محبٌ ومنهم منكر، فقال: اعلموا أنَّ الله تعالى قد أباح لكم دمي فاقتلوني، فبكى القوم، فتقدَّم إليه عبد الودود بن سعد الزَّاهد وقال: يا شيخ كيف نقتل رجلا يصلي ويصوم ويقرأ القرآن؟ فقال: يا شيخ، المعنى الَّذي يحقن الدِّماء خارج عن الصَّلَاة والصِّيَام وقراءة القرآن، فاقتلوني تُؤجروا، وأستريح فتكونون أنتم مجاهدين وأنا شهيد، ثم ذهب فتبعته إلى باب داره، وقلتُ: يا شيخ ما معنى هذا؟ فقال: يا بني ليس للمسلمين شغل أهمُّ من قتلي، فاعلم أنَّ قتلي قيام بالحدود ووقوف مع الشريعة، فإنَّ من تجاوز الحدود، أقيمت عليه الحدود»⁽²⁾.

وفي معنى ذلك أقول شعرا:

[الطويل]

وَحَلَّ لَهَا فِي حُكْمِهَا مَا اسْتَحَلَّتْ
عَرُوسُ هَوَاهَا فِي ضَمِيرِي تَجَلَّتْ
فَلَاخَ لِبُلَاسِي خَبَايَا طَوَّيْتِي
فَعَبْتُ بِهَا عَنْ كُلِّ كَلْبِي وَجُمَلْتِي/98/
فَإِيَّايِ إِيَّاهَا إِذَا مَا تَبَدَّتْ
عَلَيَّ بِهَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ نَمَّتْ
بِقَائِي إِذَا أَفْنَيْتُ فِيكَ هَوِيَّتِي
هُوَ الْحَقُّ فِي حُسْنِ بَغْيَرِ مَعِيَّةِ
حَكَمْتُ بِتَمْزِيْقِ الْقُوَادِ الْمُفْتَتِ
وَنَارُ الْهَوَى لِلْعَاشِقِينَ أَعْدَتْ

أَبَاخْتُ دَمِي مُذْ بَاخَ قَلْبِي بِحُبِّهَا
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يُظْهَرُ السِّرُّ إِنَّمَا
فَأَلْقَتْ عَلَى سِرِّي أَشْعَةَ نُورِهَا
وَشَاهَدْتُهَا فَاسْتَعْرِقْتَنِي فِكْرَةً
وَحَلْتُ مَحَلَّ الْكُلِّ مِنِّي بِكُلِّهَا
وَنِمْتُ عَلَى سِرِّي فَكَانَتْ هِيَ الَّتِي
إِذَا سَأَلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا الَّذِي
أَنَا الْحَقُّ فِي عِشْقِي كَمَا أَنَّ سَيِّدِي
فَلِإِنْ أَكُ مِنْ سُكْرِي شَطَحْتُ فَإِنِّي
وَلَا غَرَوْ أَنَّ أَضْلَيْتُ نَارَ تَحَرُّقِي

(1) أخبار الحلاج: 11.

(2) نفسه: 50.

وَمِنْ عَجَبِي أَنَّ الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ وَقَدْ أَغْلَقُوا أَيْدِي الْهَوَى بِأَعْنَتِي
 "سَقُونِي وَقَالُوا لَا تُغْنِي وَلَوْ سَقُوا جِبَالُ حُنَيْنٍ مَا سَقُونِي لَعَنْتُ"⁽¹⁾

فناداه لسان الحال: يا حلاج كيف رأيت المحبة؟ قال: رأيت حبة قد نُصبت على فَنَحْ جمالية المحبوب، فطارت إليها عصافير القلوب، فلمّا سقطوا ليلتقطوا، انقلبت عليهم حبة الفَنَحْ فاختبطوا، فحدّقوا إلى حقيقة تلك الحبة، فإذا هي نقطة بَاء المحبة قد قلبتها يد الفتنة فانقلبت إليه المحبة محنة⁽²⁾، يا حلاج فأنت تحت رِقِّه تحترق، وبجبل عشقه تختنق، فمتى تفرّغ من الخنق، حتّى تقول: «أَنَا الْحَقُّ»، فلو كان لك في البقاء نيّة، ما شربت بكأس الأنانيّة، فقال: يا قوم، أنتم اليوم في النّوم، لمّا أخذني مَنِيّ، وسلبني عَنِيّ، تلاشت أوصاف حدثي، لمّا ظهر سلطان قدمه فكان الحدث كأن لم يكن، وبقي القديم كأن لم يزل، ثُمَّ فَنَيْتُ أَنَانِيَّتِي فِي أَنَانِيَّتِهِ، وَذَهَبَتْ هَوِيَّتِي فِي هَوِيَّتِهِ، وَتَلَاشْتُ نَاسَوِيَّتِي فِي لَاهَوِيَّتِهِ، ثُمَّ نَظَرْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ فَلَمْ أَرِ إِلَّا هُوَ، وَسَمِعْتُ مِنْهُ عَنْهُ فَلَمْ أَسْمَعْ إِلَّا هُوَ، وَنَطَقْتُ بِهِ لَهُ فَلَمْ أَذْكَرْ إِلَّا هُوَ/99، فَعَلِمْتُ أَنَّ لَيْسَ هُوَ إِلَّا هُوَ، فَقُلْتُ: «أَنَا هُوَ»، وَلِئِنْ قُلْتُ: «أَنَا الْحَقُّ»، فَمَا عَدَلْتُ عَنِ الْحَقِّ، أَنَا الْحَقُّ فِي مُحَبَّتِهِ، وَهُوَ الْحَقُّ فِي مَمْلَكَتِهِ، وَلِئِنْ كَانَ سَكْرِي نَمَّ عَلَى سَرِّي، فَقَدْ عَرَبِدَ وَجَدِي عَلَى وَجُودِي، وَجَعَلَ حَذِي مُحَقَّ حُدُودِي.

ولقد قلت:

[مجزوء الرمل]

اقتُلُونِي بِإِنْفَاتِي إِنَّ فِي قَتْلِي حَيَاتِي
 فَمَمَاتِي فِي حَيَاتِي وَحَيَاتِي فِي مَمَاتِي
 أَنَا عِنْدِي مَحْوُ دَاتِي مِنْ أَجْلِ الْمَكْرُمَاتِ

(1) البيت مضمن ينسب غلطا للحلاج، والصواب أنه لشاعر قديم، وقد روى عجزه الأصمعي: بـ"جبال شروري".

(2) ومما لمحّه أيضا أبو القاسم النصرآبادي في نقطتي المحبة والمحنة بشفوف بصيرته قوله: «في المحبة والمحنة نقطتان مقرونتان (...)، فينبغي للمحب أن ينظر إلى المحنة بعين المحبة» (المقدمة في التصوف: 11).

وَبَقَائِي بِصِفَاتِي مِنْ قَبِيحِ الشَّيْئَاتِ
سَمِثْتُ نَفْسِي حَيَاتِي فِي الرُّسُومِ الْفَانِيَاتِ
فَأَقْتُلُونَنِي وَآخِرُ قَوْلَنِي بِعِظَامِي الْبَالِيَاتِ
ثُمَّ مُرُّوا بِرَفَاتِي فِي الْقُبُورِ الدَّارِسَاتِ
تَجِدُوا سِرَّ حَيِّي فِي طَوَائِنِ الْبَاقِيَاتِ⁽¹⁾

فَقِيلَ يَا حَلَّاجُ أَنْتَ شَرِبْتَ بَيْنَ نَدْمَاءٍ لَا يَحْتَمِلُونَ عَرِيدَتِكَ، وَلَقَدْ صَنَعْنَا لَكَ دَعْوَةً فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، فَفَارَقَ وَوَافَقَ فَنَمَّ نَدْمَاءٌ ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمَ﴾⁽²⁾، شَرَابُهُمْ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾⁽³⁾، سَمَاعُهُمْ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْنِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾⁽⁴⁾، مُشَاهَدَتُهُمْ: ﴿وَجُودَةٌ يُؤْمِتُهَا نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾⁽⁵⁾. فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ، وَلَكِنْ غَارَ عَلَيْهِ أَحِبَابُهُ فَعَيَّبُوهُ⁽⁶⁾، (شعر)⁽⁷⁾

[المجث]

هَنِيهَاتَ مَا قَتَلُوهُ كَلًّا وَلَا صَلَبُوهُ
لَكَيْتُهُمْ حِينَ غَارُوا عَنْ وَجْدِهِ غَيَّبُوهُ
سَقَوْهُ صَرْفًا وَزَائِمًا كِثْمَانًا مَا أَوْدَعُوهُ
فَمَا أَطَاعَ ثُبُوتًا لِثِقَلِ مَا حَمَلُوهُ
فَتَاءَ سُكْرًا/100/ وَنَادَى: أَنَّ الْإِلَهَ تَغَرَّفُوهُ
يَا لَائِمِّي كَيْفَ أَخْفَى فِي الْحُبِّ مَا أَظْهَرُوهُ

(1) ديوان الحلاج: 133.

(2) الطور: 23.

(3) الإنسان: 21.

(4) الواقعة: 26.

(5) القيامة: 22 - 23.

(6) قوله: وما قتلوه، يراجع: ذكر مقتل الحلاج، لابن زنجي: 98، قال: «وزعم بعض أصحاب الحلاج أن المضروب عدو الحلاج».

(7) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب).

أَمْ كَيْفَ يَكُونُ قَلْبٌ بِالسُّؤْقِ قَدْ مَزَّقُوهُ

فصل

واعلم أن الأجساد تنمو بنمو الأقوات، كذلك الأحوال تصفو بصفاء الأوقات، فقوت جسدك ما غذّيته به من الطّيّبات، وقوت روحك بما ربّيته به من أقوات الطّاعات في أوقات الخلوات، وكلّما صفت الأواني جلت ما فيها من جواهر المعاني، فإذا كانت عين بصيرتك منطمسة، ومنايع فكرك مُندَمِسة⁽¹⁾، ومعالم علومك مندرسة⁽²⁾، وأعلام عزيمتك متكسة، وخيول همّتك عن اللّحاق بالقوم محتبسة، فما بالك والتّطاول إلى منازل قوم عيون قلوبهم منبجسة⁽³⁾، وسرائرهم لأنوار معارفهم من جدوة الغيب مقتبسة، فلا تدع ما ليس فيك، ولا تتمدّع بفيك ما ليس فيك، وحسبك ما يعلمه الله منك ويكفيك.

فينبغي لك أن تقف مواقف الأصاغر، وتتأدّب بأداب الأكابر. هذا موسى كليم الله صلى الله عليه وسلم لما كان طفلاً في حجر تربية الحقّ سبحانه وتعالى ما تجاوز حدّه، ولا تعدّى قصده، بل قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁽⁴⁾، فلما كبر وترعرع وبلغ مبلغ الرّجال، ما رضي بطعام الأطفال، بل قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾⁽⁵⁾، فكان غاية طلبه في طفوليّة بدايته طعام وشراب، وكان منتهى أربه في رجوليّة نهايته/101/ رفع الحجاب ومشاهدة الأحياء.

فإذا تأدّبت بهذه الآداب، تيسّرت لك الأسباب، وفتحت لك الأبواب، وإذا وجدت من وجد ما لم تكن واجداً، وشهدت ما لم تكن مشاهداً، ورأيت من ورد ما لم تكن وارداً، وسمعت بأرباب الأحوال والموارد، فلا تكن لآيات ربّك جاحداً،

(1) مندمسة: مستورة أو مظلمة. (لسان العرب: 87/6).

(2) مندرسة: مطموسة ومنذرّة.

(3) منبجسة: متدفقة.

(4) الأعراف: 143.

(5) القصص: 24.

ولا في تأويلها لاحدا⁽¹⁾، وسل من أعطاهم أن يعطيك، فإنَّ مولاك ومولاهم واحد.
وقد أشرتُ في هذه الأبيات إلى ما يرشد كلَّ قاصد:

[البسيط]

أَهْدِي إِلَى الشَّدَا مِنْ عَزْفِهِ خَبْرًا
فَهَمْتُ بِالسَّيْرِ لَمَّا أَنْ إِلَيَّ سَرَى
وَطَبْتُ بَيْنَ أَضْحَابِي وَمَا عَلِمُوا
مَا قَدْ جَرَى مِنْ حَدِيثِ الْعِشْقِ كَيْفَ جَرَى
تَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ سُكْرِي وَلَوْ شَرِبُوا
بِكَأْسِ سُزْبِي لَمَّا لَامُوا لِمَنْ سَكَّرَا
فِي خَمْرَةِ الْعِشْقِ مَغْنَى لَيْسَ يُذَرِّكُهُ
إِلَّا فَتَى مَرْقُ الْأَطْمَارِ وَاشْتَهَرَا
عِنْدِي رُمُوزُ كُنُوزٍ لَيْسَ يُذَرِّكُهَا
مِنْ أُمَّةِ الْعِشْقِ إِلَّا مَنْ عَلَيَّ قَرَا
فَأَشْرَبَ بِكَأْسِ صَفَاءٍ قَدْ شَرِبْتُ بِهَا
وَانْظُرْ تَرَى عَلَمَ الْعِزْفَانِ قَدْ ظَهَرَا
دَغَ مَنْ سَعَى وَدَعَا أَوْ طَافَ مُجْتَهِدًا
وَمَنْ أَتَى الْبَيْتَ وَالْأَزْكَانَ وَالْحَجَرَا
وَلَذَّ بِحَائِةِ ذِكْرِي وَاجْتَلَى قَدْحِي
فِي صَفْوِ حَالِي وَدَغَ مَنْ صَدَّ أَوْ مَجَرَا
طُفَ حَوْلَ كَفْبَةِ قَلْبِي إِنْ عَزَمْتَ عَلَى
وَضَلَّ الْحَبِيبِ وَدَغَ مَنْ لَامَ أَوْ عَذَرَا

(1) لحد: حاد وجار، قال ابن السكيت: الْمُلْحَدُ العَادِلُ عن الحقِّ المُدْخَلُ فيه ما ليس فيه. (لسان

قَدْ أَزْجَبَ الْحُبُّ حَجِّي وَالْوُكُوفُ عَلَى

عَرَافَاتٍ مَعْرِفَتِي إِنْ كُنْتُ مُفْتَدِرًا

فَامْنَحُ الْعُلُومَ وَلَا تُبْقِي الرُّسُومَ وَلَا

تَنْظُرْ لِإِيَّاكَ لَا عَيْنًا وَلَا أَثَرًا

وَعِبَ عَنِ الْإِسْمِ تَشْهَدُ عِنْدَ غَيْبِهِ

ذَاكَ الْمُسَمَّى فَمِنْكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ / 103/

هُنَاكَ تَشْهَدُ أَهْلَ الْعِشْقِ كُلِّهِمْ

فِي خِدْمَةِ الْحُبِّ فِي حُكْمِ الْهَوَى أُسْرَى

فأيها الغائب عن حضرة الحبايب إن طلبت ما طلبوا وجدت ما وجدوا، وإن وردت ما وردوا شهدت ما شهدوا، فالباب مفتوح للطُّلاب لا حاجب عليه ولا بواب، وإنما المحجوب عن المسبب، من وقف مع الأسباب، وعلى قدر الخطاب يرد الجواب، والمشروب حاضر والمحروم من حرم الشراب، والمحجوب ناظر والمطرود من وقف وراء الحجاب.

فمن أينس بسواه فهو (مستوحش)⁽¹⁾ منه، ومن ذكر غيره فهو غافل عنه، ومن عوّل على سواه فهو مشرك به، فإذا لم تجد إليه سبيلا ولا في (ظليّه)⁽²⁾ مقيلا، ثم رأيت من أولاه الله جميلا، وأعطاه جزيلا، واتّخذة صفيّا أو خليلا، وألقى إليه من أسرار معرفته قولاً ثقيلاً⁽³⁾، وباح بما لم يقم لك عليه دليلا، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽⁴⁾، فأحسن الناس من أسلم، وأسلمهم من سلّم، وأحبّهم إلى الله من استسلم، ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا﴾⁽⁵⁾.

(1) في (ع): (متوحش)، ولا تستقيم معنى، والمثبت من: (ب) و(و) و(س) و(د).

(2) في (ع): (طلبه)، ولا تستقيم معنى، والمثبت من: (و) و(د).

(3) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا سُلِّقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [الزمل: 5].

(4) الإسراء: 36.

(5) النساء: 59، والإسراء: 35.

ولقد أنصف الإمام أبو حامد الغزالي، رضي الله عنه، حيث أجرى ذكر هذه الطائفة في كتابه المنعوت بـ"إحياء علوم الدين" فقال عند ذكرهم: «هؤلاء غلبت عليهم الأحوال حتى قال قائلهم: «سُبْحَانِي»، وقال الآخر: «مَا أَغْظَمَ شَأْنِي»، وقال الآخر: «أَنَا اللَّهُ»، وقال الآخر: «مَا فِي الْجُبَّةِ إِلَّا اللَّهُ»، فهؤلاء قوم سكارى ومجالس السكر تطوى ولا تُحكى معناه، تسلم/104/ إليهم أحوالهم، ولا تردُّ عليهم أقوالهم، لأنَّ كلامهم نطق عن ذوق وشوق، فمن ذاق عرف، ومن لم يذق لا حرج عليه إذا سلَّم واعترف»⁽¹⁾.



فصل

واعلم أنَّ طائفة مئمن عدموا العقل وخالفوا الثقل عدلوا عن الحقِّ فصُدُّوه، وعمدوا إلى هذا الباب فسُدُّوا، وقالوا بإبطال كرامة الأولياء، ومكاشفات الأصفياء، كالمعتزلة في اعتزالهم ومن وافقهم على ضلالهم، وقالوا: لا تكون هذه الكرامات والمعجزات إلَّا للأنبياء ومن ادَّعى ذلك سواهم فهو محال⁽²⁾، نكذبهم في ما أنكروه وجحدوه بالعقل والثقل⁽³⁾.

فأما العقل فمن وجهين:

أحدهما: أنَّه لا معنى للكرامة إلَّا ما يكشف الله تعالى لعبده ويطلعه عليه من حقائق الأشياء، وهذا من مقدور الله تعالى داخل تحت مشيئة الله تعالى، فيجب وصف الله تعالى به، وبالقدرة على إيجاده، فكيف يستحيل وجوده مع قدرة الله تعالى عليه.

وكما لا معنى للنبي إلَّا أنَّه عبد اختصَّه الله تعالى وأطلعه على غيبه وكاشفه بحقائق الأشياء، كذلك الولي عبد كاشفه الله بما شاء من غيبه ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ

(1) لم نقف عليه.

(2) احتج المعتزلة في إنكارهم للكرامة بسبعة أمور تراجع في: الكواكب الدرية: 64/1 - 65، ورد عليها الشيخ المناوي يراجع رده في: الكواكب الدرية: 66/1 - 68.

(3) للمؤلف كتاب في الموضوع سمَّاه: "شرح أحوال الأولياء ومناقب الأنقياء".

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»⁽¹⁾، وهي في حَقِّ النَّبِيِّ معجزة، وفي حَقِّ الولي كرامة، ثُمَّ إِنَّهَا ملحقة بمعجزات نَبِيِّهِ منسوبة إليه؛ لأنَّ الكرامة لا تظهر إِلَّا على من صدق في إيمانه وإسلامه، وإيمانه وإسلامه مستفاد من ذلك النَّبِيِّ ومن بركته/105، فكلُّ ما (ظهر)⁽²⁾ على هذا الولي من كرامة كانت ملحقة بمعجزات نَبِيِّهِ ولا تكون في رتبة النُّبُوَّة.

والفرق بين المعجزة والكرامة، أنَّ المعجزة يدَّعيها النَّبِيُّ لنفسه ويستدعيها متى أراد، والكرامة لا يدَّعيها الولي لنفسه ولا هي بحكمه، بحيث يستدعيها حيث أراد، بل تارة تظهر عليه اختياراً، وتارة تظهر عليه اضطراراً، وتارة لا تظهر، وليس من شرط الولي أن تكون له كرامة ولا يؤثر ذلك في ولايته، ولا كذلك النَّبِيُّ، فإنَّه يجب أن تكون له معجزة لأنَّ الرُّسل والأنبياء بعثوا حُجَّةً على النَّاس، يدعونهم إلى الله سبحانه وتعالى، فلا بدَّ لهم من المعجزة لإقامة البرهان.

وقد سُئل أبو يزيد⁽³⁾، عن هذه المسألة فقال: «ما مثل ما حصل للأنبياء عليهم السَّلام إِلَّا كمثِّل زَيْقٍ فيه عسل يترشَّح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما حصل لسائر الأولياء، وما في الزَّيْقِ مثل ما حصل لنبيِّنا محمَّد صلى الله عليه وسلم»⁽⁴⁾. ثُمَّ الخلائق مفتقرون إلى ظهور معجزة النَّبِيِّ لأنَّه مبعوث إليهم ليصدِّقوه، وأمَّا الولي فلا يفتقر إلى ذلك ولا يبالى صدِّقوه أو كذِّبوه.

وقد اختلف أهل العلم في الولي هل من شرطه أن يعلم أنَّه ولي أم لا، فكان الإمام أبو بكر بن فورك⁽⁵⁾ يقول: «لا يجوز أن يعلم أنَّه ولي لأنَّ ذلك يسلبه

(1) الحديد: 21، والجمعة: 4.

(2) غير وارد في: (ع)، والمثبت من: (ب) (و) (و) (س).

(3) هو أبو يزيد البسطامي، سبقت ترجمته.

(4) الرسالة القشيرية: 159.

(5) هو محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأنصاري الأصبهاني، إمام فقيه أصولي متكلم واعظ، توفي مسموماً شهيداً. (طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: 127 / 1 - 135، وسير أعلام النبلاء: 214/17 - 216).

الخوف ويوجب له الأمن»⁽¹⁾.

وأما الذي يؤثره أهل التحقيق، وهو الحق، أنه يجوز⁽²⁾، وليس بواجب أن الولي لا يعلم نفسه بل يجوز أن يعلم بعضهم، فمن علم أنه ولي كانت كرامة⁽³⁾ في حقه، إذ أطلعه الله على ما وهبه/106/ وكشف له ما كان حجه.

ومن قال: «إن ذلك يسلبه الخوف»⁽⁴⁾، فهو ضعيف لأن من كان بالله أعرف، كان من الله أخوف، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا أعرفكم بالله وأشدكم خوفاً منه"⁽⁵⁾، فمن عرفه الله نفسه اشتدت مهابته وتعظيمه لله، وتلك الهيبة من معرفة الله تزيد على أضعاف من مخافات الخائفين.

ومن شرط الولي، وإن علم نفسه أنه ولي، أن يستصحب الخوف ولا يفارقه ولا يسكن إلى تلك الكرامات ولا يلاحظها، ولا يساكنها بقلبه مخافة أن يكون ذلك

(1) والرسالة القشيرية: 158.

(2) هذا مذهب أبي علي الدقاق والقشيري صاحب الرسالة والسبكي صاحب طبقات الشافعية وغيرهم، وقد انتصر لرأي أبي القاسم السبكي بقوله: «وما ذكره أبو القاسم هو الحق الذي لا مرية فيه والعلم بالولاية لا ينافي الخوف بل ولا النبوة ألا ترى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر الناس خوفاً لربهم تعالى وهم يعلمون أنهم أنبياء». (طبقات الشافعية الكبرى: 135/4).

(3) ونحو هذا قول ابن شرف: «وليس ذلك بواجب في جميع الأولياء حتى يكون لكل ولي يعلم أنه ولي واجبا ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ذلك كما لا يجوز أن يعلم بعضهم فإذا علم بعضهم أنه ولي كانت معرفته تلك كرامة له». (بستان العارفين: 1/ 22).

(4) القول لابن فورك.

(5) المقاصد الحسنة: 53/1، وأخرج البخاري في صحيحه: الحديث: 19 من حديث عبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا إننا لسنا كهيتك يا رسول الله إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ثم يقول إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا"، وبهذا الحديث استدلل الحافظ السخاوي وشيخه على صحة الحديث المذكور وذلك حملا على ترادف اللفظتين: "أعرفكم" و"أعلمكم"، ويقوي صحته أيضا الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه، الحديث: 1742، عن جابر ابن عبد الله قوله صلى الله عليه وسلم: "فأنا، والله أعلمكم بالله وأتقاكم له".

استدراجاً، فهو في سائر حالاته يكون خائفاً راجياً.

قال السري السَّقْطِي رضي الله عليه: «لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه أشجارٌ كثيرةٌ على كلِّ شجرة طائرٌ يقولُ له بلسانٍ فصيح: عليك السَّلام يا ولي الله، فلو لم يخف أنه مكر فهو مَمْكُور به»⁽¹⁾.

وأما الوجه الثاني من العقل فهو عجائب ما يراه النَّائم من عجائب الرؤيا الصادقة والكشوفات الخارقة وذلك بمشاهدة روحه للمَلَكُوتِيَّاتِ الغَيْبِيَّاتِ ثُمَّ يظهر صدق ذلك في اليقظة.

ولا معنى للرؤيا إِلَّا رُكُونُ الحَوَاسِّ وُخْمُودُهَا، وَخُنُوسُهَا عَنِ الإِحْسَاسِ وعدم اشتغالها بالمحسوسات، فكأنَّ الولي إذا مَنَعَ نفسه عن الشَّهَوَاتِ ضَعُفَتْ قُوَى الحَوَاسِّ حَتَّى صَارَتْ كَالْمَعْدُومَةِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَشْغَلُ عَنِ الإِطْلَاعِ عَلَى المَلَكُوتِيَّاتِ الغَيْبِيَّةِ لِأَنَّ الرُّوحَ مِنْ هُنَاكَ أُقْنِصَتْ/107/، وفي هذه الهياكل خُبِستْ، فَإِذَا ضَعُفَتْ القُوَى التَّفْهِيمِيَّةُ الجُثْمَانِيَّةُ، قَوِيَّتِ القُوَى الرُّوحَانِيَّةُ التُّورَانِيَّةُ، فَتَصْفُو الرُّوحُ وَتَتَلَطَّفُ النَّفْسُ بِالرِّيَاضَاتِ فَتَشَاهِدُ فِي اليَقَظَةِ مَا تَشَاهَدُهُ أَنْتَ فِي نَوْمِكَ عِنْدَ خُمُودِ إِحْسَاسِكَ، وَكَمْ مِنْ مُسْتَقِظٍ لَا يَبْصُرُ مِنْ يُحَازِيهِ، وَلَا يَسْمَعُ مِنْ يُنَادِيهِ، ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾⁽²⁾.

فإن قال قائل: هل يجوز أن يكون الولي معصوماً أم لا؟

فَنَقُولُ: لا يجب أن يكون معصوماً، لِأَنَّ العَصْمَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ أَجْمَعِينَ، أَمَّا الْأَوْلِيَاءُ فَجَائِزٌ أَنْ تَبْدُوا مِنْهُمْ الْهَفَوَاتِ وَالزَّلَّاتِ، وَإِنَّمَا مِنَ الْجَائِزِ أَنْ يَكُونَ مُحْفُوظًا مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى الزَّلَّاتِ وَالْأَوْزَارِ، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَبْدُو مِنْهُ زَلَّةٌ أَوْ هَفْوَةٌ.

وقد سئل الجنيد رضي الله عنه عن العارف هل يزني؟ فأطرق مَلِيّاً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُقْدُورًا﴾⁽³⁾.

(1) الرسالة القشيرية: 159، وبستان العارفين، لابن شرف النووي: 23/1.

(2) الأعراف: 198.

(3) الأحزاب: 38.

واعلم أن أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات،
والعصمة عن المعاصي والمخالفات.
وأما ما يكذبهم من الثقل، فكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

فأما الكتاب ما أظهره الله سبحانه وتعالى من الكرامة في قصة مريم عليها السلام، وليست نبوي في قصتها مع زكريا عليه السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا/ زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾⁽¹⁾ الآية، وهذه كرامة ظاهرة. وكذلك قصتها في النخلة، ﴿وَهَزِيَ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ﴾⁽²⁾ الآية.

وكذلك قصة أهل الكهف⁽³⁾ وما ظهر من عجائب كلام الكلب، ومن قصة الخضر عليه السلام مع موسى صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾، وما فيها من الكرامات، وليس نبوي. ومن ذلك قصة صاحب سليمان عليه السلام الذي أتاه بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليه طرفه⁽⁵⁾، وما خصه الله به مما لا يدخل تحت قدرة سليمان عليه السلام.

وأما الأخبار في ذلك فمنها ما ورد في الصحيح من حديث جريج الزاهد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم، وصبي جريج وصبي آخر، فأما عيسى فقد عرفتموه، وأما جريج فكان عابداً في بني إسرائيل وكانت له أم فكان يوماً يُصلي إذا اشتاقت إليه أمه فقالت: يا جريج، فقال: يا رب الصلاة خير لي أم إجابتها؟ ثم صلى، ودعته فقال مثل ذلك وصلى، فدعته

(1) آل عمران: 37.

(2) مريم: 25.

(3) تراجع قصة أهل الكهف في سورة الكهف: 9 - 26.

(4) تراجع القصة في سورة الكهف: 65 - 82.

(5) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْمِينُ بِغُرُوبِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ قال عَفْرِيْتُ مِنَ النَّجَى أَنَا أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ* قال الذي عنده عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: 38 - 40]، وأما المراد بصاحب سليمان عليه السلام ففي اسمه أقوال أحدها آصف بن برخيا قاله ابن عباس رضي الله عنه. (تفسير ابن كثير: 378/22).

فقال مثل ذلك، فاشتدَّ على أمِّه، فقالت: اللَّهُمَّ لا تُمتِه حتَّى تُرِيَه المومِسات، وكانت زانية في بني إسرائيل، فقالت لهم أنا أَفْتِنُ لكم جُرَينِجاً حتَّى يزني، فلم تقدر منه على شيء، وكان راع يأوي بالليل إلى صومعته، فلَمَّا أَغياها راودت الرّاعي على نفسها فأناها فولدت ثُمَّ إِنَّها قالت: ولدي هذا من جُرَينِج، فأناه بنو إسرائيل فكسروا صومعته وشتموه ثُمَّ صَلَّى ودعا، ثُمَّ نَحَسَ الغلام. فقال أبو هريرة، وهو الرّاعي، فكأنِّي أنظر إلى النّبي صلى الله عليه وسلم حيث قال/109/ بيده: يا غلام من أبوك؟ فقال: الرّاعي، فندموا على ما كان منهم فاعتذروا إليه، وقالوا: نبني لك صومعتك من ذهبٍ أو من فضة، فأبى عليهم، فبناها كما كانت.

وأما الصّبي الآخر فإنَّ امرأة كان معها صبي تُرضعه إذ مرَّ عليها شاب جميل ذو شارة، فقالت: اللَّهُمَّ اجعل ولدي مثل هذا، فقال الصّبي: اللَّهُمَّ لا تجعلني مثله، قال أبو هريرة: كأنِّي أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يحكي الغلام وهو رضيع، ثُمَّ مرَّت بها امرأة ذكروا أَنَّها سرقت وزنت وعوقبت فقالت: اللَّهُمَّ لا تجعل ابني مثل هذه فقال الغلام: اللَّهُمَّ اجعلني مثلاً، فقالت له أمُّه في ذلك، فقال: إِنَّ الشَّابَّ جَبَّارٌ من الجبابرة، وإنَّ هذه قيل: إِنَّها زنت ولم تَزَن، وقيل سرقت ولم تسرق، وهي تقول: حسبي الله". وهو حديث صحيح⁽¹⁾.

ومن ذلك حديث الغار وهو صحيح، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "انطلق ثلاثة زُهَطٍ مَثْنٍ كان قبلكم فَأَوَاهم المَبِيتُ إلى غار، فدخلوا فأنحدرت عليهم صخرة من الجبل فسَدَّتْ عليهم الغار فقالوا: والله لا يُنجيكم من هذه إلَّا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللَّهُمَّ إِنَّه كان لي أبوان شيخان كبيران لا أُغْبِقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فبينما أنا في ظِلِّ شجرة نائم يوماً فلم أَرَحْ إليهما حتَّى ناما، فحلبتُ لهما غَبُوقَهُما فجنّتهما به، فوجدتهما نائمين فتحرّجتُ أن أُوقِظهما، وكَرِهْتُ أن أُغْبِقَ قبلهما أهلاً ومالاً، فقمْتُ والقِدْحُ في يدي أنتظر استيقاظهما/110/ حتَّى برق الفجرُ فاستيقظا فشربا غَبُوقَهُما. اللَّهُمَّ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عَنَّا ما نحن فيه من هذه الصّخرة، فانفجرت انفراجاً لا يستطيعون

(1) صحيح البخاري، الحديث: 3181، وصحيح مسلم، الحديث: 4626.

الخروج منه".

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وقال الآخرُ اللَّهُمَّ إِنِّي كَانتَ لِي ابْنَةً عَمٌّ، وَكَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَرَاوَدْتَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَاِمْتَنَعْتُ مِنِّي حَتَّى أَلَمْتُ بِهَا سَنَةً مِنَ الْبَيْنَيْنِ فَجَاءَنِي فَأَعْطَيْتُهَا عَشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلْتُ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: أَتَى اللَّهُ وَلَا تَفْضُ الْحَاطَمُ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانصرفتُ عنها وهي أحبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَأُفْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجْرَاءً فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجُورَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ تَرَكَ الَّذِي لَهُ عِنْدِي وَذَهَبَ، فَثَمَرْتُ أَجْرَتَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهَا الْأَمْوَالُ، فَجَاءَ بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِلِّي أَجْرَتِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى هَا هُنَا مِنْ أَجْرَتِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرَكْ مِنْهُ شَيْئًا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ لَوْجْهِكَ الْكَرِيمِ، فَأُفْرِجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ وَخَرَجُوا مِنَ الْغَارِ يَمْشُونَ".

وهذا حديث صحيح متفق على صحته⁽¹⁾.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينما رجل يمشي يسوقُ بقرَةً وَقَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا فَالْتَفَتَ/111 البقرةُ وَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أَخْلُقْ لِهَذَا وَإِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ بِقَرَةٍ تَتَكَلَّمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(1) صحيح البخاري، الحديث: 2111، عن عبد الرحمان بن عوف عن أبي هريرة، وصحيح مسلم، الحديث: 4229، عن سعيد بن المسيب وأبو سلمة عن أبي هريرة، وتمام حديث مسلم: "قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينما راع في غنمه عذًا عليه اللَّيْثُ فَأَخَذَ مِنْهَا شاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ اللَّيْثُ فَقَالَ لَهُ مِنْ لَهَا يَوْمَ الشُّبُعِ يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: فَإِنِّي أَوْمَنُ بِذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ".

صلى الله عليه وسلم: آمَنْتُ بهذا، وآمن أبو بكر وعمر"، وهذا خبر صحيح⁽¹⁾.
ومن ذلك ما رُوي عن ابن عمر، رضي الله عنهما، كان في بعض الأسفار
فلقي جماعة قد وقفوا على الطريق من خوف السَّيِّع، فطرد السَّيِّع من طريقهم حين
نزل إليه وأمسك بأذنيه، ثم قال: "لَئِنَّمَا يُسَلِّطُ عَلَى ابْنِ آدَمَ مَا يَخَافُهُ، فَلَوْ لَمْ يَخَفْ
غَيْرَ اللَّهِ لَمَا سَلَّطَ عَلَيْهِ شَيْئًا"، وهذا خبر مشهور.
ومن ذلك الحديث الصَّحيح: "فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مُكَلِّمُونَ فَأَنْتَ مِنْهُمْ يَا
عمر"⁽²⁾.

ومن ذلك قِصَّةُ سَارِيَةِ مع عمر رضي الله عنه وهو يُناديه على منبره: "يا
سَارِيَةُ الْجَبَلِ الْجَبَلِ"⁽³⁾، وسَارِيَةُ⁽⁴⁾ حينئذٍ في نَهَاؤُنَدٍ في قتال أعداء الله تعالى،
فأسمعه الله صوته.

ومن ذلك ما رُوي أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء
ابن الحضَرَمي⁽⁵⁾ في غزاة فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر، فدعا الله تعالى
باسمه الأعظم فمشوا على الماء⁽⁶⁾.

(1) صحيح البخاري، الحديث: 3390، عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر، وصحيح مسلم،
الحديث: 4229، عن نافع عن عبد الله بن عمر.

(2) طرح الشريب، للعراقي: 188، عن أبي هريرة، وفيه برواية: "كان فيمن كان قبلكم من بني
إسرائيل رجالٌ مُكَلِّمُونَ من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أُمَّتِي أَحَدٌ فَعَمْرٌ".

(3) أي الزم الجبل، أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة، 140/2، "عن نافع أن عمر بعث
سرية استعمل عليها رجلا يقال له: سارية. فبينما عمر رضي الله عنه يخطب يوم الجمعة فقال:
يا سارية الجبل يا سارية الجبل فوجدوا سارية قد انحاز إلى الجبل في تلك الساعة يوم
الجمعة وبينهما مسيرة شهر".

(4) هو سارية بن زُئيم بن عمرو الصحابي الشاعر. (أسد الغابة: 364/2 - 365، والإصابة: 3/
4 - 6).

(5) هو العلاء بن عبد الله بن عمار الحضرمي من الصدف من حضرموت، كان عامل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على البحرين وتوفي وهو عليها. (الاستيعاب: 1085/3 - 1087،
والإصابة: 541/3).

(6) كان الحضرمي رضي الله عنه مستجاب الدعوة، ودعاؤه الذي دعا به في ما رواه أنس

ومن ذلك الحديث الصَّحيح: "رَبِّ أَشَعْتَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ بِهِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ"⁽¹⁾.

وهذه الأخبار حذفتنا أسانيدنا لشهرتها وصحتها والاستقصاء على ما جاء وصحَّ من كرامات الأولياء وعجائب أحوالهم وغرائب مواهبهم يؤدي إلى الإكثار والإطناب وليس هو القصد هنا. وإنما القصد إقامة الدليل على صحة كراماتهم ووجود مُكاشفاتهم، إرغاماً للجاحدين وإبطالا لقول اللّاحدين، وكيف لا يمكن إبطال ذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتَّقُوا فِرَاسَةَ/112/ المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى"⁽²⁾، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾⁽³⁾، قال أهل التفسير: أي المُتَفَرِّسينَ⁽⁴⁾.

وقد صحَّ عن عثمان بن عفَّان، رضي الله تعالى عنه، أنه دخل عليه إنسان وقد نظر إلى امرأة في الشُّوق فقال عثمان رضي الله عنه: يدخل عليَّ أحدكم وآثار الرِّزى في وجهه، فقال الرَّجل: أُوخِّي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا، ولكنَّه ميزة وفِرَاسَة صادقة

فلا يُنكر ذلك إلَّا طاعن في كتاب الله وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم والمتكاشفين من الصَّحابة والتَّابعين رضوان الله عليهم أجمعين.



وأبو هريرة وسهم بن منجاب عن منجاب بن راشد رضي الله عنهم أنهم غزوا مع العلاء الحضرمي على البحرين، فقال: يا أرحم الراحمين، يا عليم يا حكيم، يا علي، يا عظيم، يا عزيز يا كريم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اجعل لنا سبيلا إلى عدوك، ثم قال: أجيروا بسم الله، قال: فأجزنا. (سبل الهدى والرشاد، للشامي الصالحي: 241/10).

(1) سبق تخريجه.

(2) سنن الترمذي، الحديث: 3052، عن أبي سعيد الخدري.

(3) الحجر: 75.

(4) تفسير الطبري: 120/17، قاله ابن مجاهد، والدر المنثور، للسيوطي: 91/5، قاله أبو سعيد الخدري.

فصل

واعلم أن هذه الأوصاف الشريفة لا تكون إلا لمن شُرُفت أوصافه، وصفت أحواله، وخلُصت أعماله، وصدقت أقواله، وقصُرت آماله وقام بما عليه وترك ما له، ولا يتشَوَّف إلى ذلك ولا يستدعيه، ولا يتعاطاه ولا يدَّعيه، ولا يُظهر من الخير ما ليس فيه، ولا يكتُم من حاله ما الله مُبديهِ، فإنَّ المعالي لا تثبت بالدُّعَاوى، والأُماني لا تُنال بالتَّواني، وإنَّما المعالي تحصل بالتَّقوى، والصَّبْر على البلوى، والتَّوَكُّل على الله في السَّير والنَّجوى، فمن اتَّقى ارتقى بالتَّقوى، وإلَّا هبط في مهاوي الشَّقَا.

وأما من ظهر من جُهَّال الطَّرِيق، وبرز بالعدول عن التَّحقيق، وتَقَشَّف تَقَشَّف أهل التَّجريد والتَّمزِيق، حتَّى أوقع عقول العامَّة في الحرج والضِّيق، وهَوُوا بأهوائهم في مكان سحيق، فأولئك، والله، هم الأسوءون حالا، الأخسرون أعمالا، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾⁽¹⁾.

ولقد سئلتُ عن الفقير⁽²⁾ وما صفته، فقلتُ/113/: أئِها المُرَائِي باللباس، المُساوي بين الحقِّ والباطل بالالتباس، أنظرُ أنَّ التَّكْحُل كالكحل⁽³⁾ في القياس، أو تعتقد أنَّ من أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان كمن بنى بلا أساس⁽⁴⁾، تَبَأْ لقوم

(1) الكهف: 104.

(2) قال عم المؤلف عبد الله بن غانم في الفقير:

فراء الفقير فناؤه عن ذاته	وفراغُه من نفسه وصفاته
والقاف قوَّة قلبه بحبيبه	وقيامُه بالصدق في مرضاته
والياء يرجو ربَّه ويخافه	ويقوم في التَّقوى بحق تقاته
والراء رقة قلبه وضياؤه	ورجوعُه لله عن شهواته

(ذيل مرآة الزمان: 1/ 360).

(3) الكحلُّ: أن يعلو منابت الأشجار سواد خلقه، والتكحل: أن تسود مواضع الكحل. وفيه تلميح إلى المثل: "ليس التَّكْحُل في العينين كالكحل" زهر الأكم لليوسي: (305/2)، ونحوه المثل: "إنَّ التخلُّق يأتي دونه الخلق". زهر الأكم: (148/1)، ويراد منه أن الشيء إن كان طبعاً أفضل مما يأتي بالطلب والتكلف.

(4) فيه تلميح إلى قوله تعالى: ﴿أَفَمَنَ اسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنِ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ اسَّسَ

صرفتهم النفوس عن المنفوس، وقلبهم المحسوس إلى الرأى المعكوس، ورضوا من الفقر بحلق الرؤوس وترقيع الملبوس، واقتصروا في العبادة على حمل السجادة، وفي الزهادة على تخشين الوسادة. أقرؤا بالتوبة، وأصروا على الحوبة، حملوا السبحة للمدحة، ولبسوا (الطاقة)⁽¹⁾ للبقية، واعتمدوا على العكاز ليقال إنه قد فاز، سبّحوا ليحمدوا، وذكروا ليذكروا، وصلوا ليوصلوا، وصاموا ليسالموا، واجتمعوا للبدعة، واستمعوا للسمعة، وخشعوا للرفعة، فنفطوهم للطمع، لا للورع، وتخشعهم للرئاسة، لا للسياسة، إن صحبوا ملأوا، وإن وهبوا غلّوا، وإن (خوفوا) قَلُّوا⁽²⁾، وإن نوقشوا ذلّوا، إن أعطوا كتموا، وإن مُنعوا شتموا، وإن أخذوا المال بغير حقّه قالوا: تمتّعنا برزقه، وإن صالوا على أحد من خلقه قالوا: صولة لحقّه.

اعتقدوا أنّ الرّيبة مُثبّة، واعتمدوا أنّ الغيبة طيّبة، إن جادلوا بغير علم قالوا فتّحا، وإن خرجوا عن الشريعة قالوا شطّحا.

فو الذي ذلّ الملوك، وأعزّ العبد المملوك، وهياً السالك للسلوك، لا يُقبل ففرك إن لم يكن إليه، ولا يُرفع قدرك إن لم تتضع لديه، ولا تُفيد ذلوكك حتّى تلوح من أفق التوفيق بُزوقك، ولا تُسمع دعاوك حتّى تقوم بينة معنالك، ولا تُقبل طواقيك مع وجود بواقيك، ولا تتنفع بتسبيحك مع وجود تقبيحك، ولا يقوم تجريدك بتبديدك/114، ولا تزهيدك بتقييدك، ولا تمزيقك بتزويقك، وعار عليك تمزق الخرق، قبل أن تمزق الخرق. ظلمة نفسك تحجب شمس قدسك، ومألوف حبك يوحشك من حضرة أنسك، ودخان خيالك يُسودّ وجه خلالك، وعواصف فخرك تنسف جبال فقرك، تأكل أكل البهيم⁽³⁾، وتشرب شرب البهيم⁽⁴⁾، وتتخلّق

بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفِ هَارٍ فَأَنهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿التوبة: 109﴾.

(1) في (خ): (الطقية)، والمثبت من: (و).

(2) في (ع): (حوققوا فلوا)، والمثبت من: (د)، والمراد إن اختبروا بامتحان المحن قلوا.

(3) كذا في: (خ) و(و) و(ب)، واستعملها طلبا للتسجيع، والصواب: البهائم.

(4) البهيم: جمع أمهيم، وهي الإبل التي أصابها داء فلا تروى الماء، وفيه تلميح إلى قوله تعالى:

بالخلق الذميمة، وليس هذا هو الأمر القويم، ولا الطريق المستقيم.

ولأنما المراد من المرید صدقُ الطَلَب وحسنُ الأدب، وصحَّةُ التَّربُّة، ولو لیس الأقبیة، والقیام بالأوامر ولو أنه أمير أمر، وتمزيق النفوس قبل تمزيق الملبوس، وتصفية القلوب قبل تنقية الجيوب، والشروع في الشريعة قبل الشروع في الشيعة، والتَّحقيق بالحقيقة قبل الجواز في الطريقة، فإنه لا ينال الثواب بترقيع الأثواب، ولا يرتفع الحجاب لمن يخطُر في ثياب الإعجاب، ولا يجلس على موائد الأحباب من لم يذق لباب أولي الأبواب، ولا يسلك طريق الإيجاب إلا من أجاب، ولا يثبت المقام إلا لمن استقام، ولا يصحُّ الحال لمدعي المُحال، ولا يرتقي إلى ذلك الفناء إلا من فنى في الفناء، ولا تصحُّ الإرادة إلا بترك العادة، ولا يُعرَف المعروف إلا بترك المألوف، ولا يُعرَف التفرقة والجمع إلا من علم حقيقة الشرع، ولا ينال الكرامة، إلا من قال للكرى مه⁽¹⁾، ولا تظهر الكشوف لمن أعماله زُيوف، ولا تصدق الفراسة، لمن طلب الرياسة، ولا يحسب الحضور، لمرتكب المحذور، ولا يصحُّ الوجد والوجود إلا لمن جاد/115/ بالموجود.

كيف يُنسخ الضياء بالضباب؟

أم كيف يُغني السراب عن السراب؟

أم كيف يعرف ذوق السراب من قلبه خراب؟

أم كيف يصل إلى الاعتبار من هو إلى الآن ما تاب؟

كيف تقبل توبة الكذاب وهو من خوف العذاب ما ذاب؟

كيف يُفتح الباب لمن هو غائب ما آب؟

كيف يسمع الخطاب من هو من الخبث ما طاب؟

﴿لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رُفُومٍ فَمَا لَثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: 52 - 55].

(1) مه: أكف، يقال: مهممه قال له: مه مه. (القاموس المحيط: 3/387). وبين الكرامة والكرى مه جناس تركيب. (يراجع: خزائن الأدب، للحموي: 54/1 - 63، والصنيع البديع، لابن زاكور الفاسي: 75 - 76).

كيف يُشاهد الأحياء من هو محجوب محسوب مع الغياب؟
وقلت في معنى ذلك هذه القصيدة:

[البسيط]

بِالدُّوقِ وَالشُّوقِ نَالُوا عِزَّةَ الشَّرَفِ
وَمَذْهَبَ الْقَوْمِ أَخْلَاقَ مُطَهَّرَةً
صَبَرَ وَشُكْرَ وَإِيثَارَ وَمَخْمَصَةً
وَالزُّهْدَ فِي كُلِّ فَنٍّ لَا بَقَاءَ لَهُ
قَوْمٌ لِتَضْفِيَةِ الْأَزْوَاجِ قَدْ عَمَدُوا
لَا بِالتَّخَلُّفِ فِي الْمَعْرُوفِ تَغْرِفُهُمْ
مَا ضَرَّهُمْ رَتْكَ أَطْمَارٍ وَلَا خُلِقِ
وَأَشْفَوْتِي إِذْ تَوَلَّتْ أُمَّةٌ سَلَفَتِ
يُسْتَمَقُونَ تَزَاوِيْقَ الْغُرُورِ لَنَا
لَيْسَ التَّصَوُّفُ عَكَّازًا وَمُسَبِّحَةً
وَأَنْ تَرَوْحَ وَتَعْدُو فِي مَرْقَعَةٍ
وَتُظْهِرُ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ عَلَى
الْفَقْرِ سِرٌّ وَعَنْكَ النَّفْسُ تَحْجُبُهُ
وَفَارِقِ الْحُسْنَ وَافِنِ النَّفْسِ فِي نَفْسٍ
وَاخْضَعْ لَهُ وَتَذَلَّلْ إِنْ دُعِيَ لَهُ
وَقِفْ عَلَى عَرَفَاتِ الدَّلِّ مُنْكَسِرًا
وَادْخُلْ إِلَى خَلْوَةِ الْأَفْكَارِ مُبْتَكِرًا
وَائْتَلِ الْمَثَانِي وَوَحِّدْ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى
وَلِنْ سَقَاكَ مُدِيرُ الرِّاحِ مِنْ يَدِهِ

لَا بِالدُّلُوقِ وَلَا بِالْعُجْبِ وَالصِّلَفِ⁽¹⁾
بِهَا تَخَلَّقَتِ الْأَجْسَادُ فِي التُّطْفِ
وَأَنْفُسٌ تَقْطَعُ الْأَنْفَاسَ بِاللَّهْفِ
كَمَا مَضَتْ سُنَّةُ الْأَخْيَارِ وَالسَّلَفِ
وَسَلَّمُوا عَرْضَ الْأَشْبَاحِ لِلتَّلَفِ
وَلَا التَّكَلُّفِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْكُلْفِ
كَالِدِرِّ مَا ضَرَّهُ مُخْلَوْلُ الصَّدْفِ
حَتَّى تَخَلَّقْتَ فِي خَلْفٍ مِنَ الْخَلْفِ⁽²⁾
بِالزُّورِ وَالْبُهْتِ وَالْبُهْتَانِ وَالْخَلْفِ
كَلًّا وَلَا الْفَقْرَ زُورًا ذَلِكَ التَّرَفِ
وَتَحْتَهَا مُوَبِقَاتُ الْكِبَرِ وَالسَّرَفِ
عَكُوفُهَا كَعُكُوفِ الْكَلْبِ فِي الْجَنَفِ/116/
فَارْفَعْ حِجَابَكَ تَجَلَّوْا ظِلْمَةَ السَّرَفِ
وَعِبْ عَنِ الْحَيِّسِ وَاجْلُبْ ذِمَّةَ الْأَسَفِ
وَاعْرِفْ مَحَلَّكَ مِنْ إِيَّاكَ وَاعْتَرِفْ
وَخَوِّلْ كَغَبَةِ عَرَفَاتِ الصَّفَا فَطُفِ
وَعُدْ إِلَى خَانَةِ الْأَذْكَارِ بِالصُّخْفِ
ذَكْرِ الْحَبِيبِ وَصِفْ مَا شِئْتَ وَاتَّصِفِ
كَأَيِّ التَّجَلِّيِ فَخُذْ بِالطَّائِسِ وَاعْتَرِفِ

(1) الصِّلَف: اليَّبه والكبر والتمدح بما ليس عندك. (القاموس المحيط: 400/2).

(2) عجز البيت مكسور.

وَأَشْرَبَ وَعَنَ وَلَا تَمْنَعْ لِذِي ظَمَلٍ فَإِنْ رَجَعْتَ بِلَا رَيْ فَوَا أَسْفِي
ولقد أضفتُ إلى الأبيات ⁽¹⁾ أبياتاً أُخَرَّ قَلْتُهُنَّ فِي مَعْنَى ذَلِكَ أَخْتَمَ بِهَا هَذَا
الكتاب، والله الموفق للصواب.

[الكامل]

ذَهَبَ الرِّجَالُ وَحَالَ دُونَ مَجَالِهِمْ
زَعَمُوا بِأَنَّهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ
لَبِسُوا الدَّلُوقَ مُرَقَّعاً وَتَقَشَّشُوا
قَطَعُوا طَرِيقَ السَّالِكِينَ وَأَظْلَمُوا
عَمَرُوا ظَوَاهِرَهُمْ بِأَثْوَابِ الثَّقَى
إِنْ قُلْتُ: قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
وَيَقُولُ قَلْبِي قَالَ لِي عَنْ سِرِّهِ
عَنْ حَضْرَتِي عَنْ فِكْرَتِي عَنْ خَلْوَتِي
عَنْ صَفْوِ وَفْتِي عَنْ حَقِيقَةِ حِكْمَتِي
دَعَاؤِي إِذَا حَقَّقْتُهَا أَلْفَيْتُهَا
تَرَكُوا الشَّرَائِعَ وَالْحَقَائِقَ وَافْتَدَوْا
جَعَلُوا الْمِرَا قَتْحاً (وَأَلْفَاظُ الْحَنَاءِ)
وَتَرَصَّدُوا أَكْلَ الْحَرَامِ تَخَادَعاً
فَهَنَّاكَ طَابَ الْمُخْلِصُونَ وَأَضْبَحُوا
زُمِرَ مِنَ الْأَوْبَاشِ وَالْأَنْذَالِ ⁽²⁾
سَارُوا وَلَكِنَّ سِيرَةَ الْبَطَالِ
كَتَقَشَّشِ الْأَفْطَابِ وَالْأَبْدَالِ
سُبُلَ الْهُدَى بِجَهَالَةٍ وَضَلَالِ
وَحَشُوا بَوَاطِنَهُمْ مِنَ الْأَذْغَالِ
هَمَزُوكَ هَمَزَ الْمُتَهَيِّ الْمُتَغَالِي
عَنْ سِرِّ سِرِّي عَنْ (صَفَا) أَحْوَالِي ⁽³⁾
عَنْ جَلَوْتِي عَنْ شَاهِدِي عَنْ خَالِي
عَنْ ذَاتِ ذَاتِي عَنْ صِفَاتِ فِعَالِي
أَلْقَابَ زُورٍ لَفَقْتُ بِمُحَالِ /117/
بِطَرَائِقِ الضَّلَالِ وَالْجُهَّالِ
شَطْحاً وَصَالُوا صَوْلَةَ الْإِذْلَالِ ⁽⁴⁾
كَتَخَادَعِ الْمُتَلَصِّصِ الْمُحْتَالِ
مُسْتَبْرِينَ بِضُورَةِ الْأَشْكَالِ

(1) الأبيات الأولى (من البيت الأول إلى قوله: جعلوا المرأ) من قصيدة طويلة واردة في "إغاثة اللهفان": 231/1، للقيم ابن الجوزية بدون نسبة، وأوردها المؤلف في سياق ذم السماع.

(2) الأوباش: واحده وبش وبش، وهم الأخلاط من الناس المتفرون السفلة والرعاع. (القاموس المحيط: 153/2).

(3) في (ع): (صفر)، والمثبت من: (س) و(د)، وأيضاً في "إغاثة اللهفان": 23/1.

(4) في (ع): (أنواع الخطأ)، وفي (س) و(د): (ألفاظ الخطأ)، والمثبت من: إغاثة اللهفان: 232/1.

فَهُمْ خَوَاضُ اللَّهِ حَيْثُ تَيَمَّمُوا
وَالْقَانِثُونَ الْمُخْبِثُونَ لِرَبِّهِمْ
الْتَّارِكُونَ حَظوظَهُمْ وَنَفُوسَهُمْ
مَا شَأْنُهُمْ فِي شَأْنِهِمْ دَعَاوَى وَلَا
عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا وَجَادُوا بِالَّذِي
يَمْشُونَ بَيْنَ النَّاسِ هَوْنًا كُلَّمَا
وَإِذَا بَدَأَ لَيْلٌ سَمِعَتْ أَنِيَّتَهُمْ
وَعُيُونُهُمْ تَجْرِي بِفَيْضِ دُمُوعِهِمْ
مُتَفَاوِثِينَ بِقُرْبِهِمْ وَبُحْبُوبِهِمْ
فِي اللَّيْلِ زُهْبَانٌ لِحُدُومَةِ رَبِّهِمْ
تَاهُوا عَلَى كُلِّ الْمُلُوكِ وَإِنَّهُمْ
وَلَرُبَّ أَشْعَثَ حَقَرْتُهُ دُلُوقُهُ
بُوجُوهِهِمْ أَثَرُ السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ

وَالذَّاكِرُونَ اللَّهَ فِي الْأَصَالِ
الْنَّاطِقُونَ بِأَصْدَقِ الْأَقْوَالِ⁽¹⁾
الْمُرْشِدُونَ بِخَالِصِ الْأَمْوَالِ
عَمِلُوا لِقَصْدٍ مِرَا وَلَا لِحَدَالٍ
وَجَدُوا وَمَا بَخَلُوا بِفَضْلِ نَوَالٍ
صَدَّ الْجَهْلُ بِدَوِّهِ بِالْإِجْمَالِ⁽²⁾
وَحَيْنِيَّتُهُمْ بِتَضَرُّعٍ وَسُؤَالٍ
مِثْلُ انْهَمَالِ الْوَابِلِ الْهَطَالِ⁽³⁾
كَتَفَاوَتْ الْعُمَالِ فِي الْأَعْمَالِ
وَتَخَالَهُمْ فِي الْجُودِ كَالْأَبْطَالِ
لَهُمُ الْمُلُوكُ بِعِزَّةِ الْإِقْبَالِ
وَلَدَى الْمَلِكِ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَالِي⁽⁴⁾
وَبِهَا أَشْعَثُ نُورِهِ الْمُتَالِي⁽⁵⁾

(1) القانتون: القنوت في الأصل الطاعة، ثم سمي القنوت الدعاء في آخر الوتر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]، وقوله: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَجْرَةَ وَيَزْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ﴾ [الزمر: 9]، (اللسان: 73/2، والصحاح: 90/2).
المخبثون: المتوَقِّفون للمآثم، وقيل المتخشعون والمطمثون.

(2) في صدر البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: 63].

(3) الوابل: والوئل؛ المطر الشديد الضخم المطر. (اللسان: 718/11، والقاموس المحيط: 17/3).

(4) في صدر البيت تلميح إلى الحديث: "رَبُّ أَشْعَثَ ذِي طُفْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ" صحيح ابن حبان، الحديث: 6483.

(5) في صدر البيت تلميح إلى قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَتَذَكَّرُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: 29].

خُمْصُ الْبَطُونِ لِمَا بِهِمْ مِنْ فَاقَةٍ
لَمْ تَخُلْ أَرْضٌ مِنْهُمْ قَدْ حَكَمُوا
سَوَى لَهُمْ بَيْنَ الثَّرِيَّا وَالثَّرَى
لَا يَنْظُرُونَ إِلَى سَوَى مَحْبُوبِهِمْ
فَبِهِمْ إِلَيْكَ وَسِيلَتِي يَا سَيِّدِي
وَ خَيْبَةَ الْأَمَالِ إِنْ أَقْصَيْتَنِي
شُعْتُ الرُّؤُوسِ لِرُزْعَةِ الْأَهْوَالِ⁽¹⁾
ذَاتَ الْيَمِينِ بِهَا وَذَاتَ الشِّمَالِ
وَالْفَرْشِ وَالْعَرْشِ الرَّفِيعِ الْعَالِي/118/
شُغِلُوا بِهِ عَنْ سَائِرِ الْأَشْعَالِ
إِلَّا وَصَلْتُ حَبَالَهُمْ بِحَبَالِي
عَنْ بَابِهِمْ وَ خَيْبَةَ الْأَمَالِ⁽²⁾



تَمَّ حُلُّ الرُّمُوزِ وَ(مفاتيح)⁽³⁾ الكنوز، بحمد الله تعالى وحسن عونه
وتوفيقه الجليل، ولا حول ولا قوة إِلَّا بالله العلي العظيم،
وهو حسبنا ونعم الوكيل.
انتهى. /119/.

(1) خمص: الهضم والضمور، وهو مما تمدح به العرب، لأن كثرة الأكل وعظم البطن معيب،
وتَكَنَّى به أيضا عن الغفاف، ففي الحديث الَّذِي أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي "مستدركه": "خفاف
البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دمائهم"؛ أي أعفَ عن أموال الناس فهم ضامروا
البطون من أكلها.

(2) ورد بعده في: (ع) بيتان وهما:

تَمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَأَرْضٌ عَنِ الصَّخْبِ الْكَرِيمِ جَمِيعِهِمْ
وَكَذَا السَّلَامُ عَلَيْهِ تَمَّ الْآلِ
وَالثَّابِعِينَ وَاعْطِنِي مَسْئُولِ

ولم يردا في: (و)، (س) و(د)، وهما من إضافة الناسخ، وقد كانت عادة النُساخ المغاربة،
كما لاحظناه في مخطوطات كثيرة أخرى، إضافة بيتين في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
في آخر الأشعار.

(3) في (ع): (مفتاح)، والصواب ما أثبتناه.

الفهارس العامة

- 1 - فهرس الآيات القرآنية.
- 2 - فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
- 3 - فهرس القوافي.
- 4 - فهرس المصطلحات الصوفية.
- 5 - فهرس الأعلام.
- 6 - فهرس مصادر ومراجع التقديم والتحقيق.
- 7 - فهرس المحتويات.

1 - فهرس الآيات القرآنية

﴿البقرة (1)﴾

- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [31] : 65.
- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ [186] : 96.
- ﴿كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ [249] : 118.

﴿آل عمران (2)﴾

- ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [19] : 65.
- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ [31] : 95.
- ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾ [37] : 170.
- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [185] : 159.

﴿النساء (4)﴾

- ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [80] : 95.
- ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [113] : 63.

﴿المائدة (5)﴾

- ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [54] : 135، 92، 88، 56.

﴿الأعراف (7)﴾

- ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [143] : 163.
- ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [172] : 142، 138، 83.
- ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [179] : 143.
- ﴿وَتَرَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ﴾ [198] : 169.

﴿التوبة (9)﴾

- ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ﴾ [109] : 62.

﴿ يونس (10) ﴾

- ﴿وَاللهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [25] : 136، 139، 142.

﴿ يوسف (12) ﴾

- ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [31] : 109.

﴿ الرعد (13) ﴾

- ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [28] : 55، 106، 107.

﴿ الحجر (15) ﴾

- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ [29] : 110.

- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [75] : 174.

﴿ النحل (16) ﴾

- ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ [96] : 134.

- ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [102] : 103.

﴿ الإسراء (17) ﴾

- ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَخْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [35] : 165.

- ﴿وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [36] : 165.

- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ﴾ [42] : 111.

- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً﴾ [79] : 71.

﴿ الكهف (18) ﴾

- ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [67]، [72]، [75] : 77.

- ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [104] : 175.

﴿ مريم (19) ﴾

- ﴿وَهَزَبْنِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [25] : 170.

﴿ طه (20) ﴾

- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [5] : 120، 121.

- ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [55] : 133.

- ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ [114] : 103 .
- «الأنبياء (21)»
- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾ [22] : 111 .
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [107] : 65 .
- «الحج (22)»
- ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [35] : 104 .
- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [28] : 84 .
- «المؤمنون (23)»
- ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ﴾ [91] : 111 .
- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [101] : 187 .
- «النور (24)»
- ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً﴾ [31] : 68 .
- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [35] : 125 ، 34 .
- ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [35] : 127 .
- ﴿لَا شَرْيْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ [35] : 127 .
- ﴿مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [35] : 130 .
- «الشعراء (26)»
- ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [16] : 119 .
- ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [23] : 120 .
- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [24] : 120 .
- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [193 ، 194] : 101 .
- «النمل (27)»
- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [88] : 142 .
- «القصص (28)»
- ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ﴾ [24] : 163 .

- ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [88] : 83.
- ﴿العنكبوت (29)﴾
- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [69] : 62.
- ﴿الأحزاب (33)﴾
- ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [38] : 169.
- ﴿ص (38)﴾
- ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [30] : 69.
- ﴿الزمر (39)﴾
- ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [53] : 136.
- ﴿غافر (40)﴾
- ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ [39] : 131.
- ﴿الشورى (42)﴾
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [11] : 112.
- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْخَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [52] : 101.
- ﴿الزخرف (43)﴾
- ﴿وَلَيْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ﴾ [87] : 119.
- ﴿الأحقاف (46)﴾
- ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [31] : 135.
- ﴿الفتح (48)﴾
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [10] : 95.
- ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ [29] : 128.
- ﴿ق (50)﴾
- ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [16] : 97 - 98.
- ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [33] : 69.
- ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ [34] : 135.

- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ [37] : 119 .
- ﴿يَوْمَ يَنَادِ الْمُنَادِ﴾ [41] : 139 .
- «الذاريات (51)»
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [56] : 108 .
- «النجم (53)»
- ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [10] : 64 ، 102 .
- ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [11] : 101 .
- ﴿أَقْمِنِ هَذَا الْحَدِيثَ تَعْجَبُونَ﴾ [59] : 153 .
- «القمر (54)»
- ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [55] : 135 .
- «الواقعة (56)»
- ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [26] : 162 .
- «الحديد (57)»
- ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [4] : 59 ، 97 ، 120 .
- ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [21] : 166 - 167 .
- «المجادلة (58)»
- ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى﴾ [7] : 97 .
- «الجمعة (62)»
- ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [41] : 166 - 167 .
- «المدثر (74)»
- ﴿فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّافُورِ﴾ [8] : 138 .
- «القيامة (75)»
- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [22 ، 23] : 162 .
- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [30] : 132 .

﴿ الفجر (89) ﴾

- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [27] : 118، 133.

﴿ الضحى (93) ﴾

- ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [11] : 138.

﴿ العلق (96) ﴾

- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [1] : 65.

- ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [3] : 65.

2 - فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار

« أ »

- "اتقوا فراسة المؤمن" : 174.
- "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه" : 66.
- "أدبني ربي فأحسن تأديبي" : 64.
- "ألا وإن في الجسد مضغة" : 68، 115.
- "أنا أعرفكم بالله" : 168.
- "أنا جليس من ذكرني" : 58.
- "إن أفضل ما يتقرب به عبادي" : 97.
- "إن الله خلق الخلق في ظلمة" : 125.
- "إن الله يؤيد حسانا بروح القدس" : 148.
- "أنا مدينة العلم وعلي بابها" : 156.
- "انطلق ثلاثة رهط" : 171.
- "إنما أنا بشر مثلكم" : 100.
- "إن من العلم كهيئة المخزون" : 60.
- "إنه ليغان على قلبي" : 103.
- "إني لست كأحدكم" : 59.
- "أهديتم الفتاة" : 147.

« ب »

- "بينما رجل يمشي يسوق بقرة" : 172.
- "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوس" : 63.

﴿ ت ﴾

- "تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي" : 59.

- "توبوا فإنني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة" : 68.

﴿ ح ﴾

- "الحج عرفة" : 67.

﴿ د ﴾

- "دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم" : 151.

- "دعهما يا أبا بكر" : 150.

﴿ ر ﴾

- "رب أشعث أغبر ذي طمرين" : 174.

﴿ ع ﴾

- "العلم علمان علم باللسان" : 77.

﴿ ف ﴾

- "فإن لم تكن تراه فإنه يراك" : 66، 63.

- "فإن يكن من أمتي مكلمون" : 173.

- "فبي يسمع وببي يبصر وببي يبطش" : 94، 81، 79، 75، 58.

﴿ ك ﴾

- "كاد في شعره أن يسلم" : 148.

- "كان إبليس أول من ناح" : 153.

- "كنت له سمعا وبصرا" : 93، 81-80، 79، 58.

- "كنت كنزا لا أعرف" : 108، 62.

- "كن في الدنيا كأنك غريب" : 19، 34.

﴿ ل ﴾

- "لا تشغلي قلبك فإنه من أحب الله" : 95.

- "لا تودعوا الحكمة غير أهلها" : 157.

- "لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل" : 80، 58.
- "لا يفضض الله فاك" : 148.
- "لا يكون أحدكم كالعبد السوء" : 70.
- "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة" : 170.
- "لست كأحدكم" : 105، 100.
- "لو تقدمت قدر أنملة لاحتزقت" : 64.
- "لو خشع قلب هذا" : 127، 71.
- "لي وقت لا يسعني فيه غير ربي" : 105، 103، 100، 59.

﴿ م ﴾

- "ما أدري ما يفعل بي ولا بكم" : 100.
- "ما رفع أحد صوته بغناء" : 152.
- "ما صب الله في صدري شيئاً" : 156.
- "ما وسعني سماواتي وأرضي" : 81، 58.
- "من أتاني يمشي أتيت هرولة" : 135، 58.
- "من أخلص لله أربعين صباحاً" : 71.
- "من تقرب إلي شبراً" : 58.
- "من عرف نفسه عرف ربه" : 114، 113، 110، 34.
- "من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم" : 63.

﴿ ن ﴾

- "الندم توبة" : 67.
- "نعم العبد صهيب" : 70، 34.

﴿ ه ﴾

- "هل من داع فأستجيب" : 139.

﴿ و ﴾

- "ووسعني قلب عبدي المؤمن" : 85، 82، 81، 58.

﴿ ي ﴾

- "يا أنجشة كف صوتك" : 149.
- "يا ابن آدم مرضت فلم تعدني" : 59.
- "يا حارثة كيف أصبحت؟" : 76.

3 - فهرس القوافي

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
« الهمة »				
- كالأنواء	الكامل	ابن غانم المقدسي	4	.78
« الباء »				
- المحبوب	الكامل ابن غانم	المقدسي	3	.57
- في شرب	الطويل	ابن غانم المقدسي	4	.75
- ومغرب	الكامل	؟	1	.130
- الخطاب	الوافر	ابن غانم المقدسي	3	.133
- نسيب	الطويل	امرؤ القيس	1	.132
- تلهي	الطويل	ابن غانم المقدسي	3	.95
« التاء »				
- استحلت	الطويل	ابن غانم المقدسي	13	.160
- حياتي	مجزوء الرمل	الحلاج	8	.162 - 161
« الدال »				
- العباذ	السريع	ابن غانم المقدسي	9	.118
- رشادي	الخفيف	ابن غانم المقدسي	6	.100 - 17
- واحد	الكامل	ابن غانم المقدسي	5	.96
- وجدا	الخفيف	ابن غانم المقدسي	25	.131 - 130
- محامدا	الطويل	؟	3	.134

القافية	البحر	الشاعر	عدد الأبيات	الصفحة
﴿ الجيم ﴾				
- السيج	-	-	3	147.
﴿ الميم ﴾				
- المعظما	الطويل	ابن غانم المقدسي	2	86 - 22.
﴿ النون ﴾				
- يخطبنا	الرمل	ابن غانم المقدسي	7	79 - 22.
- الحزن	مجزوء الكامل	؟	2	91.
- تجدني	الوافر	ابن غانم المقدسي	10	155 - 98.
- إعلانا	البسيط	ابن غانم المقدسي	33	123 - 122.
- المعاني	الخفيف	ابن غانم المقدسي	17	144.
- قبل أذن	الوافر	ابن غانم المقدسي	15	154.
- الغضببان	الكامل	ابن غانم المقدسي	11	136.
- الوثنا	البسيط	علي بن أبي طالب	3	158.
﴿ السين ﴾				
- على الراس	البسيط	ابن غانم المقدسي	7	139.
﴿ الراء ﴾				
- أسطر	المتقارب	ابن غانم المقدسي	30	109.
- لا تماري	الخفيف	ابن غانم المقدسي	2	158.
- إلي سري	البسيط	ابن غانم المقدسي	13	164.
﴿ الفاء ﴾				
- الصلف	البسيط	ابن غانم المقدسي	20	178.

الصفحة	عدد الأبيات	الشاعر	البحر	القافية
◀ اللام ▶				
179.	33	ابن غانم المقدسي	الكامل	- الأندال
113.	17	ابن غانم المقدسي	الرمل	- يطول
◀ العين ▶				
150.	2	نساء المدينة	مجزوء الرمل	- الوداع
150.	10	ابن غانم المقدسي	مجزوء الرمل	- استماعي
◀ الهاء ▶				
80.	5	ابن غانم المقدسي	المتقارب	- إلفها
84.	9	ابن غانم المقدسي	مخلع البسيط	- تاهوا
156.	6	ابن غانم المقدسي	الرجز	- المحلله
162.	7	ابن غانم المقدسي	المجثث	- صلبوه
◀ الواو ▶				
106.	10	ابن غانم المقدسي	الطويل	- يروى

4 - فهرس المصطلحات الصوفية

«الهمزة»

الاتحاد، 59

الإحسان، 12، 63، 65، 66

الأحوال، 31، 61، 62، 63، 138، 140، 152، 153، 154، 163، 166

الإخلاص، 62، 73، 82، 83، 101، 125

الأدب، 21، 77، 177

الأذكار، 154، 178

الأقطاب، 179

الإنبابة، 68، 69

الأنس، 9، 11

الأنوار، 30، 81

الأوبة، 68، 69

الأولياء، 10، 15، 21، 35، 59، 60، 63، 66، 69، 72، 89، 90، 92، 104، 128،

141، 152، 158، 166، 167، 168، 169، 174

الاصطلام، 78

اصطلم، 78، 102

«الباء»

البقاء، 83، 92، 161

البيين، 66، 80، 87، 93، 96

«التاء»

تاب، 68، 177

التجلي، 103، 178

التجليات، 103

التلوين، 104، 107

التمكين، 98، 104، 107، 158

التواجد، 139

الثوبة، 67، 68، 69

التوحيد، 36، 84، 124، 127، 133

التوكل، 118

« الجيم »

الجبروت، 102

الجذبات، 100

« الحاء »

الحال، 62، 67، 105، 134، 138، 161، 177

الحجاب، 79، 163، 165، 177

الحجب، 139

الحضرة القدسية، 74

حضرة المشاهدة، 71، 105

حق اليقين، 101

الحقيقة، 33، 57، 65، 76، 78، 81، 93، 94، 97، 103، 105، 116، 129، 131،

144

الحلول، 82، 85، 114

الحياء، 106، 110

« الخاء »

الخلوات، 163

الخوف، 62، 70، 91، 116، 132، 159، 168

« الدال »

دار الملك، 107

دار الملكوت، 107

« الذال »

الذكر، 20، 138، 153، 154

الذوق، 32

﴿الراء﴾

الرجاء، 110، 116، 132

الرضا، 106

الروح، 63، 64، 66، 74، 82، 94، 98، 101، 111، 112، 113، 131، 132، 133،
142، 169

الروحانية، 85، 111، 169

﴿الزاي﴾

الزاهد، 8، 10، 134، 160

الزهد، 71، 178

﴿السين﴾

السالك، 67، 71، 176

السَّير، 64، 80، 101، 110، 123، 138، 160، 175

السَّرائر، 55، 83

السُّكر، 75، 166

السُّكينة، 116

السلوك، 63، 65، 97

السَّماع، 35، 137، 139، 140، 141، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 153،
154، 155

﴿الشين﴾

الشُّطْح، 60

الشُّكر، 150

الشُّهود، 55، 56، 65، 72، 76، 130

الشُّوق، 85، 123، 152، 154

الصَّبْر، 130

الصِّدْق، 37، 116

الصدِّيق، 124، 146، 156

﴿الطاء﴾

الطَّرِيقَة، 11، 62، 72، 144، 177

﴿ العين ﴾

العاشق، 22، 79، 132

عالم الشَّهادة، 107

عالم الغيب، 102، 107، 133

عالم الملك، 102، 103

عالم الملكوت، 102

العشق، 164، 165

علم القلب، 77

العلم اللدني، 77

علم اليقين، 101

العلوم اللدنية، 74

عين اليقين، 33، 101، 116

﴿ الغين ﴾

الغربة، 129، 132

﴿ الفاء ﴾

الفتح، 21، 60، 73، 95، 128، 180

الفراسة، 116، 177

الفقير، 35، 36، 42، 43، 135، 175

الفناء، 83، 92، 177

﴿ القاف ﴾

قطب، 109

القطيعة، 68، 81، 128

﴿ الكاف ﴾

الكرامات، 35، 73، 166، 168، 170

الكرامة، 35، 167، 170، 177

﴿ اللام ﴾

اللطايف الربانية، 56

اللطف، 32، 78، 86، 99

اللطيفة، 141

لوح الشهود، 65

لوح الوجود، 65

﴿ الميم ﴾

المتواجد، 142

المجاهدة، 71، 72

مجذوب، 56، 92

المحبة، 38، 39، 57، 78، 80، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 131، 161

المحبوبة، 80

المحبية، 80

المحو، 92

المراد، 30، 56، 76، 96، 119، 170، 177

المراقبة، 116

المريد، 177

المشاهدة، 81، 94، 101، 102، 157

المقام، 11، 38، 61، 64، 71، 72، 86، 104، 129، 157، 177

المقامات، 37، 67، 104

الملك، 107، 133

الملكوت، 102

الملكوتيات، 85، 169

﴿ النون ﴾

النفس الأمارة، 117

النفس، 69، 72، 73، 74، 77، 81، 117، 118، 133، 169، 178

﴿ الهاء ﴾

الهوى، 57، 106، 107، 117، 118، 119، 131، 136، 160، 161، 165

﴿ الواو ﴾

الوجد، 138، 141، 144، 177

الورع، 8، 116

الوصل، 81، 98

الوصلة، 93

الولاية، 73، 116

الولي، 36، 166، 167، 168، 169

«الياء»

اليقظة، 57، 137، 169

اليقين، 101، 116، 157

5 - فهرس الأعلام

« أ »

إبراهيم، 7، 79، 91، 100، 117، 127، 149

أبو الحارث، 159

أبو المعالي، 122

أبو بكر بن فورك، 167

أبو حامد الغزالي، 166

أبو طالب المكي، 140، 147، 157

أبو طاهر بن بلبل، 146

أبو عثمان المغربي، 72، 143

أبو مروان القاضي، 145

أبو هريرة، 158، 171، 172

أحمد بن حنبل، 121

أمية بن أبي الصلت، 148، 149

أنجشة، 149

أنس بن مالك، 63، 99، 149

ابن الحسن الواسطي، 159

ابن الزبير، 145، 148

ابن جرير، 145

ابن عباس، 100، 153، 156، 157، 170

ابن عطاء، 33، 62، 73، 129

ابن مجاهد، 145، 174

ابن مسعود، 101، 152

« ب »

البخاري، 58، 59، 68، 100، 102، 150، 151، 168، 171، 172، 173

البسطامي، 60، 66، 72، 93، 157، 167

بلقيس، 170

«ج»

جابر بن عبد الله، 102، 147

جبريل، 34، 64، 101، 103

جريج الراهب، 170

الجنيد، 67، 89، 90، 92، 141، 142، 153، 158، 169

«ح»

حارثة، 9، 76

حسان، 148

الحسين بن منصور، 158

الحلاج، 33، 158، 159، 160، 162

حنيفة، 121

«خ»

خدبجة، 60، 102، 103

الخضر، 77، 146، 170

«د»

- داوود عليه السلام، 9، 59، 66، 70، 124

«ذ»

ذو النون، 91، 121

«ر»

- رابعة (العدوية)، 128

«ز»

زليخا، 38، 105

«س»

سارية، 173

السري السقطي، 90، 104، 169

سليمان عليه السلام، 170

سيدنا محمد، 24، 40، 41، 42، 44، 55، 95، 126

«ش»

الشافعي، 121، 145

الشبلي، 90، 120، 140، 141، 143، 159

«ص»

الصديق، 124، 146، 156

صهيب، 34، 70

«ع»

عائشة، 102، 111، 147، 148، 150، 151، 153، 168

عبد الكريم بن عبد الواحد، 159

عبد الله بن جعفر، 145

عبد الله بن عمر، 129، 151، 173

عبد الودود بن سعد الزاهد، 160

عثمان بن عفان، 128، 152، 174

عروة، 150

علي بن أبي طالب، 109، 124، 143، 158

عمر بن الخطاب، 63، 70

عيسى ابن مريم، 170

«ف»

فرعون، 119

الفضيل، 152

«ق»

القشيري، 147

قضيبة البان، 60

قيس ليلي، 154

«ك»

الكرخي، 91، 104

«ل»

ليلي، 59، 93، 148

«م»

مالك بن أنس، 145

المجنون، 93

المحاسبي، 90

مسلم، 58، 59، 63، 64، 72، 100، 102، 103، 149، 150، 151، 171، 172،
173

معاوية، 129

ممشاد الدينوري، 146

موسى عليه السلام، 77، 105

«ن»

نافع، 151، 173

النصر آبادي، 90، 161

«ي»

يوسف عليه السلام، 105

يونس بن عبد الأعلى، 145

6 - فهرس مصادر ومراجع التقديم والتحقيق

- القرآن الكريم.

« حرف الهمزة »

- 1 - ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب،
لعبد الرّحمان الفاسي (ت: 1096هـ). رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا،
مرقونة بخزانة كلية الأدب بالرباط، المغرب.
- 2 - إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت: 505هـ). دار المعرفة،
بيروت.
- 3 - أخبار الحلاج، طبع مع ديوانه. تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1،
دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
- 4 - أزهار الرياض، في أخبار القاضي عياض، لأبي العباس المقري
التمساني (ت: 1041هـ).
- 5 - الأزهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار، لجلال الدين
السيوطي (ت: 911هـ). تحقيق: د. علي حسين البواب، المكتب الإسلامي، 1991م.
- 6 - أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري (ت: 538هـ). دار الفكر، بيروت،
1979م.
- 7 - الاستقامة، لابن تيمية (ت: 728هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة
الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، 1403هـ.
- 8 - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (ت: 463هـ). تحقيق:
علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.
- 9 - أسد الغابة، في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري (ت: 630هـ).
تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م.

- 10 - الإصابة، في تمييز الصُّحابة، لابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ).
تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، 1992م.
- 11 - اصطلاحات الصوفية، لابن عربي (ت: 638هـ)، ويليهِ: رشح الزلال
في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال. لعبد الرزاق القاشاني
(ت: 730هـ). تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي. ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت،
2005م.
- 12 - الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب، لخير
الدين الزركلي (ت: 1396هـ). ط 3.
- 13 - أعيان العصر وأعوان النصر، للصفدي (ت: 764هـ).
- 14 - إغاثة اللفهان، للقيم ابن الجوزية (ت: 751هـ). تحقيق: محمد حامد
الفاقي، دار المعرفة، بيروت، 1975م.
- 15 - الإمتاع بالأربعين المتبينة السماع، لابن حجر للعسقلاني (ت: 852
هـ). تحقيق: أبو عبد الله محمد الحسن، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 16 - الأنس الجليل، بتاريخ القدس والخليل، لمجير الدين الحنبلي
العلمي (ت: 927هـ). تحقيق: عدنان يوسف عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس،
عمان، 1999م.
- 17 - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا
البغدادي (ت: 1339هـ). دار الفكر، بيروت، 1982م.
- 18 - إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة التطواني (ت: 1224هـ).
ضبط وتصحيح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ❦ حرف الباء ❦
- 19 - بحر الفوائد، المسمى بمعاني الأخيار، لأبي بكر محمد الكلاباذي
(ت: 384هـ). تحقيق: محمد حسن محمد، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب
العلمية، بيروت، 1999م.
- 20 - البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774هـ). مكتبة

المعارف، بيروت.

21 - بستان الواعظين، ورياض السامعين، لابن الجوزي (ت: 597هـ).
تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.

«حرف التاء»

22 - تاريخ إربل، لشرف الدين الإربلي (ت: 937هـ). تحقيق: سامي الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1980م.

23 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: 748هـ). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م.

24 تاريخ ابن الوردي (ت: 749هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

25 - تأييد الحقيقة العلية وتشيد الطريقة الشاذلية، لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيلاني، ط 1 دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

26 - التذكرة في الأحاديث المشتهرة، أو اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، لبدر الدين الزركشي (ت: 794هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

27 - التعرف لمذهب التصوف، لأبي بكر محمد الكلاباذي (ت: 380هـ).
تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

28 - التعريفات، للشريف الجرجاني (ت: 816هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

29 - تفسير الطبري (ت: 310هـ)، المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط 1، مؤسسة الرسالة، 2001م.

30 - تفسير القرطبي (ت: 671هـ)، المسمى: الجامع لأحكام القرآن. دار الشعب، القاهرة.

31 - تفسير ابن كثير (ت: 774هـ). دار الفكر، بيروت، 1401هـ.

32 - تلخيص العبارة في نحو أهل الإشارة، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي (ت: 678هـ). تحقيق: د. خالد زهري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

33 - تهذيب الأسرار في أصول التصوف، للخرکوشي (ت: 407هـ). اعتنى به: إمام سيد محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

34 - تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكرياء محيي الدين السنوي (ت: 676هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

«حرف الجيم»

35 - جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري (ت بعد: 395هـ). دار الفكر، بيروت، 1988م.

«حرف الحاء»

36 - الحقائق الإلهية في التائيات الصوفية. جمع وإعداد: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

37 - الحكم العطائية الكبرى والصغرى، لابن عطاء الله السكندري (ت: 709هـ). بعناية د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م.

38 - حل الرموز ومفاتيح الكنوز، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي (ت: 678هـ). تحقيق: أحمد علي الشاذلي، وحسين فهمي، مطبعة جريدة الإسلام، مصر، 1317هـ/ 1899م.

- حل الرموز ومفاتيح الكنوز، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. نسخة خاصة مخطوطة، مصورة من خزانة الفقيه العلامة سيدي عبد الحي العمراوي بفاس.

- حل الرموز ومفاتيح الكنوز، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. نسخة خاصة مخطوطة، مصورة عن نسخة أحمد بن قاسم البادشي بفاس.

- حل الرموز ومفاتيح الكنوز، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. مخطوط مكتبة جامعة الملك سعود، (قسم المخطوطات)، الرياض، رقم: 4802 ف

أول مجموع (اللوحة: 1 - اللوحة: 66).

- حل الرموز ومفاتيح الكنوز، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. مخطوط مكتبة جامعة الملك سعود، (قسم المخطوطات)، الرياض، رقم: 5509 ف.

- حل الرموز ومفاتيح الكنوز، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي. مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، رقم: 1/د74. (اللوحة: 1 - اللوحة: 39).

39 - حلية الأولياء وطبقات الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: 430هـ). دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.

40 - حياة الحيوان الكبرى، للدميمي (ت: 808هـ).

« حرف الخاء »

41 - خبيثة الكون (شرح الصلاة الأنموذجية في المعارف الإلهية الأحمدية). لمحمد بن عبد الكبير الكتاني (ت: 1327هـ). تحقيق: محمد حمزة الكتاني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م.

42 - خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي (ت: 837هـ). شرح: عصام شعيتو، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1987م.

43 - الخصائص الكبرى، لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

44 - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (ت: 1111هـ). دار صادر، بيروت.

« حرف الدال »

45 - درر الحجال في مناقب سبعة رجال، لأبي عبد الله محمد الإفرائي المراكشي. تحقيق: د. حسن جلاب، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، 2000م.

46 - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ). تحقيق: محمد عيد، دار المعارف العثمانية، الهند، 1972م.

47 - الدر المنثور في التاويل بالمأثور، لجلال الدين السيوطي

(ت: 911هـ). دار الفكر، بيروت، 1993م.

48 - الدر النقيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس،

لعبد الحي الحلبي (ت: 1120هـ). طبعة حجرية، فاس، 1300هـ.

49 - دلائل النبوة، للبيهقي (ت: 458هـ).

50 - دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني (ت: 430هـ).

51 - ديوان الحلاج (ت: 309هـ). تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1،

دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.

52 - ديوان الصبابة، لابن أبي حجلة التلمساني (ت: 776هـ). تحقيق:

محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية.

53 - ديوان امرئ القيس. شرح وضبط: د. عمر فاروق الطباع، دار القلم،

بيروت.

«حرف الذال»

54 - ذكر مقتل الحلاج، طبع مع ديوانه.

تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م

55 - ذيل مرآة الزمان للسبط ابن الجوزي، لموسى بن محمد اليونيني (ت: 727هـ).

«حرف الراء»

56 - الرسالة القشيرية، لأبي القاسم القشيري (ت: 456هـ)، وبهامشه شرح

شيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي. ط1، مؤسسة الكتاب الثقافية،

بيروت، 2000م.

57 - رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق

والأحوال. لعبد الرزاق القاشاني (ت: 730هـ). تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي،

ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

«حرف الزاي»

58 - زبدة خلاصة التصوف، المسمى: حل الرموز ومفاتيح الكنوز،

للعز بن عبد السلام (ت: 660هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمان الشاغلوي.

- 59 - زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسن اليوسي (ت: 1102هـ).
تحقيق: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، ط1، الدار البيضاء، (منشورات معهد الأبحاث والدراسات للعريب) دار الثقافة، 1981م.
- 60 - الزهد، لابن المبارك (ت: 181هـ). تحقيق: حبيب الرحمان الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

« حرف السين »

- 61 - سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الصالحي (ت: 942هـ).
- 62 - سنن أبي داود (ت: 275هـ). تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
- 63 - السنن الكبرى، للبيهقي (ت: 458هـ). دار المعارف النظامية، ط1، الهند، 1344هـ.
- 64 - السنن الكبرى، للنسائي (ت: 303هـ). تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.
- 65 - سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت: 748هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ.

« حرف الشين »

- 66 - الشجرة، لعز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي (ت: 678هـ). طبع مع كتاب: شجرة المعارف والأحوال وصالح الأعمال والأقوال، لعز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ). تحقيق: أحمد فريد المزيدي. ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- 67 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد (ت: 1089هـ). تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط، دار بن كثير، دمشق، 1406هـ.
- 68 - شرح حزب البحر، لأحمد زروق (ت: 899هـ). تحقيق: أحمد فريد المزيدي. دار جوامع الكلم، القاهرة (بدون تاريخ).

- 69 - شرح منازل السائرين، لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت: 1031هـ).
تحقيق: د. محمد عبد القادر نصار، وأحمد إبراهيم عبد الحميد. ط1، الدار الجورية، 2010م.
- 70 - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد البغدادي (ت: 656هـ).
- 71 - الشُّمائل المحمدية والخصائص المصطفوية، لمحمد بن عيسى الترمذي (ت: 279هـ). تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1412هـ.
- 72 - شمامة العنبر والزهر المعنبر، لمحمد بن مصطفى الغلامي (ت: 1186هـ).
- 73 - الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ت: 276هـ). تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، ط3، دار الحديث، 2001م.
- « حرف الصاد »
- 74 - صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ). تحقيق: مصطفى البغا، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1407 / 1987م.
- 75 - صحيح ابن حبان (ت: 354هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
- 76 - صحيح ابن خزيمة (ت: 311هـ). تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1970م.
- 77 - صحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 78 - صفة الصفوة، لابن الجوزي (ت: 597هـ). تحقيق: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، 1979م.
- 79 - الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع، لابن زاكور الفاسي (ت: 1120هـ). تقديم وتحقيق: بشرى البداوي، منشورات كلية الآداب الرباط، 2002م.

«حرف الطاء»

- 80 - طبقات الأولياء، لابن الملقن (ت: 804هـ). تحقيق: نور الدين شريبه، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي 1993م.
- 81 - طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي (ت: 771هـ). تحقيق: محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ.
- 82 - طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمان محمد الأزدي (ت: 412هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- 83 - طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (ت: 231هـ). تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
- 84 - الطبقات الكبرى، المسماة: لوائح الأنوار في طبقات الأخيار، للشعراني (ت: 973هـ). تحقيق: خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 85 - طرح الشريب، في شرح التقريب، لزين الدين عبد الرحيم العراقي (ت: 806هـ). تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

«حرف العين»

- 86 - العبر في خبر من غبر، لشهاب الدين محمد الذهبي (ت: 748هـ). تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1984م.
- 87 - عقد الجمان، في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين العيني (ت: 855هـ). (المجلد الرابع)

«حرف الفاء»

- 88 - الفتح المبين، والدر الثمين، في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، لعبد الله محمد الخياط الهاروشي (ت: 1175هـ)، طبع مع كنوز الأسرار، بتحقيقنا، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010م.
- 89 - الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، لابن عجيبة

(ت: 1224هـ). طبع بهامش إيقاظ الهمم، دار الفكر.

90 - الفتوحات الغيبية في الأسرار القلبية، لعز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي (ت: 678هـ) تحقيق: د. ماجد مصطفى الصعيدي، ط1، دار الكرز، مصر، 2010م.

91 - الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه الديلمي (ت: 509هـ). تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

92 - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد الحجوي الثعالبي الفاسي (ت: 1376هـ). ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007م.
«حرف القاف»

93 - القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت: 817هـ). مؤسسة الرسالة، بيروت.

94 - قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد. لأبي طالب المكي (ت: 386هـ).
«حرف الكاف»

95 - كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار، لعز الدين عبد السلام بن غانم المقدسي (ت: 678هـ). تحقيق: محمد مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

96 - الكشف والبيان في تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، لأبي إسحاق الثعلبي (ت: 427هـ). تحقيق: الإمام ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002م.

97 - كشف الخفاء، ومزيل الالتباس لما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت: 1162هـ). تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1402هـ.

98 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (ت: 1067هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

99 - الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى)، لمحمد عبد الرؤوف المناوي (ت: 1031هـ). تحقيق: محمد فتحي أبوبكر، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2009م.

« حرف اللام »

100 - الآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، للزركشي (ت: 794هـ). المكتبة الإسلامية.

101 - لسان العرب، لابن منظور المصري (ت: 711هـ). ط1، بيروت، دار صادر.

102 - اللمع، لأبي نصر عبد الله علي السراج الطوسي (ت: 378هـ). تحقيق: د. عبد الرحيم محمود طه وطه سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960م.

« حرف الميم »

103 - المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده (ت: 458هـ). تحقيق: عبد الحميد هندوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

104 - المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: 405هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

105 - مجاني الأدب في حقائق العرب، للويس شيخو (ت: 1346هـ).

106 - مجمع الأمثال، لأحمد بن محمد الميداني النيسابوري (ت: 518هـ).

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

107 - مدارج السالكين، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية (ت: 751هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م.

108 - المدخل، إلى تنمة الأعمال بتحسين النيات والتنبية على بعض

البدع، لابن الحاج الفاسي (ت: 737هـ). دار الفكر، بيروت، 1981م.

109 - مرقة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن سلطان محمد

القاري (ت: 1014هـ). تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

- 110 - مرآة الجنان، وعبرة اليقظان، في معرفة حوادث الزمان. لأبي محمد عبد الله اليافعي (ت: 768هـ). القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1993م.
- 111 - مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ). مؤسسة قرطبة، مصر.
- 112 - مسند البزار، (البحر الزخار)، لأبي بكر أحمد البزار (ت: 292هـ). تحقيق: محفوظ الرحمان زين الله، مؤسسة القرآن، مكتبة العلوم والحكم، 1409هـ.
- 113 - مسند الشافعي (ت: 204هـ). دار الكتب العلمية، بيروت.
- 114 - مسند الشهاب القضاعي (ت: 454هـ). تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.
- 115 - مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي (ت: 741هـ). تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، المكتب الإسلامي، 1985م.
- 116 - المصباح المنير، في غريب الشرح الكبير، لأحمد المقرئ الفيومي (ت: 770هـ). دار الكتب العلمية، بيروت.
- 117 - مصنف ابن أبي شيبة (ت: 235هـ). تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ.
- 118 - معجم المؤلفين، تراجم الكتب العربية، لعمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 119 - معجم المطبوعات، لسركيس (ت: 1351هـ) مكتبة الأزهرية للتراث، مصر، 2005م.
- 120 - المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر. تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
- 121 - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لمحمد بن عبد الرحمان السخاوي (ت: 902هـ). تحقيق: محمد عثمان الخشت، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م.
- 122 - مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (ت: 395هـ). تحقيق: محمد عبد السلام هارون، إتحاد كتاب العرب، 2002م.

123 - المقدمة في التصوف، لابن عبد الرحمان محمد بن الحسين السلمي (ت: 412هـ). تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005م.

124 - المنار المنيف، في الصحيح والضعيف، لابن القيم الجوزية (ت: 751هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط3، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، 1983م.

125 - منازل السائرين إلى الحق عز شأنه، للهروي (ت: 481هـ). ط3، شركة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي، مصر، 1966م.

126 - المشور لابن الجوزي.

127 - المنهل الصافي في المستوفي بعد الوافي، لابن تغري بردي (ت: 874هـ).

« حرف النون »

128 - النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي (ت: 874هـ). وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

129 - نواذر الأصول، في أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي (ت: 360هـ). تحقيق: عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، 1992م.

130 - الثور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبد القادر العيدروسي (ت: 1037هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ.

« حرف الهاء »

131 - هدية العارفين، في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي (ت: 1139هـ). مكتبة المثنى، بغداد، 1955م.

132 - الهم والحزن، لابن أبي الدنيا (ت: 281هـ). تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار السلام، القاهرة، 1991م.

« حرف الواو »

133 - الوافي بالوفيات، للصفيدي (ت: 764هـ). تحقيق: أحمد الأرناؤوط

ومصطفى تركي، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

134 - وصية ابن عربي الحاتمي (ت: 638هـ). مخطوطة خاصة، أمدني بصورة منها العلامة الحاج عمر بناني.

«حرف الياء»

135 - اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، لعبد الوهاب الشعراني (ت: 973هـ). ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

7 - فهرس المحتويات

القسم الأول: التقديم: التعريف بالمؤلف وبالكتاب	3
الفصل الأول: التعريف بالمؤلف	5
التعريف بالشيخ عز الدين عبد السلام ابن غانم المقدسي	7
المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه	7
المبحث الثاني: مولده ونشأته، ورحلته، وحجّه	10
أ - مولده ونشأته	10
ب - رحلته إلى مصر وإقامته بالقاهرة	12
ج - حجّه	12
المبحث الثالث: شيوخه وتلامذته	13
المبحث الرابع: مؤلفاته	13
المبحث الخامس: شعره	17
المبحث السادس: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه، واحتفاؤهم بتصانيفه والثقل عنها	20
أ - مكانته العلمية وثناء العلماء عليه	20
ب - احتفاء العلماء بتصانيفه والثقل عنها	20
المبحث السابع: وصيته ووفاته	22
أ - وصيته	22
ب - وفاته	24
الفصل الثاني: التعريف بكتاب "حل الرّموز"	27
المبحث الأول: تأصيل عنوان الكتاب ونسبته	29
أ - تأصيل عنوان الكتاب	29
ب - تأصيل نسبة الكتاب	29
المبحث الثاني: موضوع الكتاب	29
المبحث الثالث: منهج الكتاب	34

1 - تأويل الآيات القرآنية.....	34
2 - تأويل الأحاديث النبوية والقدسية والآثار.....	34
3 - تأويل ما جاء في الآثار المأثورة؛ أي أقوال الصوفية.....	34
4 - تأويل ما صدر عن الصوفية حالا. ويتضمن حديثا عن السماع والكرامات.....	35
5 - بيان صفات الفقير الصادق.....	36
- موضوعات فرعية أخرى.....	36
المبحث الرابع: أسلوب الكتاب.....	37
المبحث الخامس: النسخ المعتمدة ومنهجنا في التحقيق.....	40
أ - النسخ المعتمدة.....	40
ب: عملنا في التحقيق.....	43
صور من النسخ المعتمدة في التحقيق.....	45
القسم الثاني: النص المحقق.....	55
افتتاح.....	55
مقدمة.....	62
فصل.....	65
فصل.....	71
فصل.....	73
فصل.....	79
فصل.....	88
فصل.....	93
فصل.....	96
فصل.....	99
فصل.....	104
فصل.....	107
فصل.....	110
فصل.....	114
فصل.....	119
فصل.....	124

128	فصل
131	فصل
137	فصل
140	فصل
147	فصل
149	فصل
155	فصل
156	فصل
163	فصل
166	فصل
175	فصل

الفهارس العامة

185	1 - فهرس الآيات القرآنية
191	2 - فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار
195	3 - فهرس القوافي
198	4 - فهرس المصطلحات الصوفية
204	5 - فهرس الأعلام
208	6 - فهرس مصادر ومراجع التقديم والتحقيق
222	7 - فهرس المحتويات